موسوعة الأساطير

الجزء الأول

اسم الكتاب / موسوعة الأساطير (الجزء الأول)
إعداد / حسين عبدالله
رقم الإيداع / 171507 - 2016
الترقيم الدولي / 3 - 035 - 355 - 977 - 978
تصميم الغلاف / محمد زهران
الناشر / مكتبة زهران
بالاشتراك مع / دار الراوي

موسوعة الأساطير

الجزء الأول

إعداد

حسين عبدالله

مكتبة زهران

مقدمـــة

لا تقف معاجم اللغة العربية كثيراً أمام كلمة الأساطير.. بل يرى الدكتور (أحمد كمال زكي) صاحب كتاب (الأساطير) أن معاجمنا اللغوية تقف عاجزة عن إعطاء المدلولات الحقيقية لكلمة الأسطورة.. فالأساطير في هذه المعاجم هي (الأحاديث التي لا نظام لها) وهي (الأباطيل والأحاديث العجيبة) و(سطر تسطيراً ألَّف وأتى بالأساطير)، والأسطورة هي (الحديث الذي لا أصل له).

وقد استعمل القرآن الكريم لفظة الأساطير فيما لا أصل له من الأحاديث.. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (سورة الأنفال: 31).

وقال جل شأنه: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (سورة الفرقان: 5).

العلم الموجود حالياً والمختص بدراسة الأساطير هو علم الميثولوجيا Mythologia، وكلمة ميثولوجيا ـ كما يقول د. إبراهيم سكر صاحب كتاب (الأساطير الإغريقية) ـ تستخدم للتعبير عن ثمرة إنتاج معين لخيال شعب من الشعوب في شكل حكايات وروايات يتناقلونها جيلاً بعد جيل.. وكان الإغريق يسمون هذه الروايات والحكايات (ميثوي Mythoi) ومعناها (ألفاظ وكلمات).. وبالرغم من أن كلمة ميثولوجيا لا تعني أصلاً من ناحية الاشتقاق أكثر من (قص الحكايات)، إلا أنها تستعمل الآن لتدل على الدراسة

المنظمة للروايات التقليدية لأي شعب من الشعوب أو لكل الشعوب بقصد معرفة الطريقة التي تمّت بها حتى أصبحت رواية تُروَى، وإلى أي مدى كان الاعتقاد بها، وكذلك بقصد حل المشاكل الأخرى المتعلقة بها مثل علاقتها بالدين، وأصولها، وعلاقاتها بروايات أخرى لشعوب أخرى، وغير ذلك..

وعند محاولة العلماء تفسير نشأة الأساطير؛ بدايتها، وأسبابها، نجدهم لا يتفقون على أسباب محددة.. فجيمس فريزر وإدوارد تيلور مثلاً يَريان أن كلمة الأسطورة ترتبط ببداية الإنسانية، حيث كان البشر يمارسون السحر ويؤدون طقوسهم الدينية التي كانت سعيًا فكريّاً لتفسير ظواهر الطبيعة.. ولكن هربرت ريد يؤكد أن فريزر وتلاميذه يخطئون في زعمهم أن أساطير الأولين كانت محاولة لتفسير الكون.. ويؤيده ليفي برول قائلاً: (لم تنشأ الأساطير والطقوس الجنائزية وعمليات السحر - فيما يبدو - عن حاجة الرجل البدائي إلى تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً قائماً على العقل، لكن نشأت استجابة لعواطف الجماعة القاهرة (.. ويرى لويس هورتيك أن الأسطورة التي هي الفترة الدينية للجيولوجيا وعلم الحيوان نشأت على أطلال كانت يوماً قصوراً أو مدناً عامرة).. في حين ترى جين هاريسون أن الأسطورة (هي التفكير الحالم لشعب من الشعوب تماماً مثلما يعتبر الحلم أسطورة الفرد).

وفي محاولة للوصول إلى أرضية علمية مشتركة في تفسير أصل الأسطورة يقرر توماس بوليفينشي في كتابه (ميثولوجية اليونان وروما) وجود أربع نظريات في أصل الأسطورة.. وهذه النظريات هي:

النظرية الدينية: التي ترى أن حكايات الأساطير مأخوذة كلها من الكتاب المقدس مع الاعتراف بأنها غُيِّرت أو حُرِّفت، ومن ثَمَّ كان هرقل اسماً آخر لشمشون، والمارد ديوكاليون بن بروميثيوم الذي أنقذه زيوس مع زوجته من

الغرق فوق أحد الجبال هو نوح، وهكذا.

النظرية التاريخية: التي تذهب إلى أن أعلام الأساطير عاشوا فعلاً وحققوا سلسلة من الأعمال العظيمة، ومع مرور الزمن أضاف إليهم خيال الشعراء ما وضعهم في ذلك الإطار الغرائبي الذي يتحركون خلاله في جو الأسطورة.

النظرية الرمزية: وهي تقوم على أن كل الأساطير بكل أنواعها ليست سوى مجازات فُهمت على غير وجهها الصحيح أو فُهمت حرفيّاً، من ذلك ما يقال عن أن (ساتورن) يلتهم أولاده أي الزمن يأكل كل ما يوجد فيه.

النظرية الطبيعية: وبمقتضاها يتم تخيل عناصر الكون من ماء وهواء ونار في هيئة أشخاص أو كائنات حية، أو أنها تختفي وراء مخلوقات خاصة.. وعلى هذا النحو وجد لكل ظاهرة طبيعية - ابتداءً من الشمس والقمر والبحر وحتى أصغر مجرى مائي - كائن روحي يتمثل فيه وتتبني عليه أسطورة أو أساطير.

وعلى هذا الأساس قام العلماء بتقسيم الأساطير إلى ثلاثة أنواع هي:

الخرافة البحتة Myth proper وهي محاولة خيالية سابقة على العلم لتفسير بعض الظواهر الطبيعية الحقيقية أو المزعومة والتي تثير فضول مبتكر الخرافة، أو بمعنى أدق هي محاولة الوصول إلى شعور بالرضا والاقتناع في أمر مقلق محير يتعلق بتلك الظواهر، وخرافات هذا النوع غالباً ما تخاطب العواطف لا العقل.. فالخرافة البحتة هي ثمار إنتاج التخيل الساذج في البحث عن الحقائق التي تعرف بالخبرة، والتي يكشف لنا عنها فيما بعد كلٌّ من الفن والعلم.. وقد أطلق على هذا النوع من الروايات اسم Aetiological أي ما يهتم بالبحث عن علة وجود الأشياء من حركة ظاهرة

للأجرام السماوية، إلى شكل تل، أو أصل عادة محلية، وفي هذه الحالة الأخيرة غالباً ما تخبرنا الروايات بما يوحي بأنه تاريخ أو ما يشبه التاريخ.

والنوع الثاني من الروايات هو ما يسمى Saga وهي كلمة إسكندناوية: الأصل وتعني (قصة أو رواية) وعادة ما تذكر الآن للتعبير عن تلك الروايات التي تعالج أحداثاً تاريخية أو شبه تاريخية.. وغالباً ما تتناول في خطوطها العريضة أموراً تتعلق بالبشر ومعاركهم ومغامراتهم.. لكنها تغفل الكثير من التفاصيل التاريخية وتركز على الأبطال وقدراتهم الخاصة وتدخل الآلهة في الأحداث معهم أو ضدهم.

أما النوع الثالث فهو القصص الشعبية Marchen : وهذا النوع يهدف أولاً وأخيراً إلى التسلية والإمتاع، ولا يعمل حساباً لأي شيء آخر، فلا تسجيل لأحداث تاريخية أو شبه تاريخية، ولا محاولة لتعليل ظاهرة طبيعية، ولا ملاحظة لأفكار المستمعين وعقولهم فيما يتعلق بأمر الضرورة والاحتمال، بل هو في مجموعه عبارة عن قصص شعبية بسيطة أنتجها الخيال في دور الطفولة المبكرة للشعوب وتناقلتها الأجيال، وأبرز ما يميز هذه القصص هو تشابه كثير من أحداثها عند الشعوب المختلفة.

هذا التنوع في النظر إلى الأساطير من حيث أصلها أو نوعها أو الوطن المنتمية إليه أو غرضها أو بنائها أو غير ذلك؛ لا يبرره إلا الغموض الذي يحيط بهذا الموضوع، والذي يبدو من المستحيل أن يصل فيه أحد إلى الكلمة النهائية، أو الجامعة المانعة كما يقول المناطقة.

اقترنت الأسطورة في لغة العرب بمفهوم الأحاديث المنمقة، أو المزخرفة التي لا نظام لها. فهي مشتقة من السطر: بمعنى الصف من الكتاب والشجر

والنخل ونحوها . وسطر: إذا كتب وسطرها بمعنى ألفها، وسطر علينا: أتانا بالأساطير، وسطر فلان على فلان، إذا زخرف له الأقاويل، ونمقها، وتلك الأقاويل: الأساطير. وكلمة (أساطير) وردت في القرآن الكريم جمعاً، ولم ترد مفردةً (أسطورة)، كما إنها جاءت دائماً مضافة إلى (الأولين) في تسع آيات هي:

1 . ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (الإنعام / 25).

2 . ﴿قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآۙ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال/ 31).

3 . ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (النحل/ 24).

4 . ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون/ 83).

5 . ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (النمل/ 68).

6 . ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (الأحقاف/ 17).

7 . ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ (الفرقان/ 5).

8 . ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (القلم/ 15).

9 . ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (المطففين/ 13).

وهي بمعنى الأباطيل مقابل مصطلح الحق الذي جاء به القرآن الكريم ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ (الإسراء/ 81).

وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ خبر لابتداء محذوف، والمعنى: وقالوا الذي جاء به أساطير الأولين، معناه سطره الأولون.

وعند الأوربيين، انضمت الأساطير تحت فرع جديد من فروع المعرفة

يعني بدراستها وتفسيرها، دعى ب Mythology. والشق الأول من الكلمة Mytho مأخوذة من اليونانية Mutho التي تعني حكاية تقليدية عن الآلهة والأبطال، أما الشق الثاني Logy فيعني العلم. وإن كلمة أسطورة تعارض العقل (لوغوس) في اليونانية.

وقد ذهب أحد المستشرقين إلى أن (أسطورة) قريبة الصلة بقرينتها اليونانية اللاتينية (ايسطوريا Historia) بمعنى أنها أخبار تُؤْثَر عن الماضين، لا سيما أن (أساطير الأولين) إنما وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى في سور مكية، وفي سياق جدل واحتجاج بين النبي ﷺ وكفار قريش، لأنهم اعتبروا تلك الأخبار من الأوهام والأباطيل.

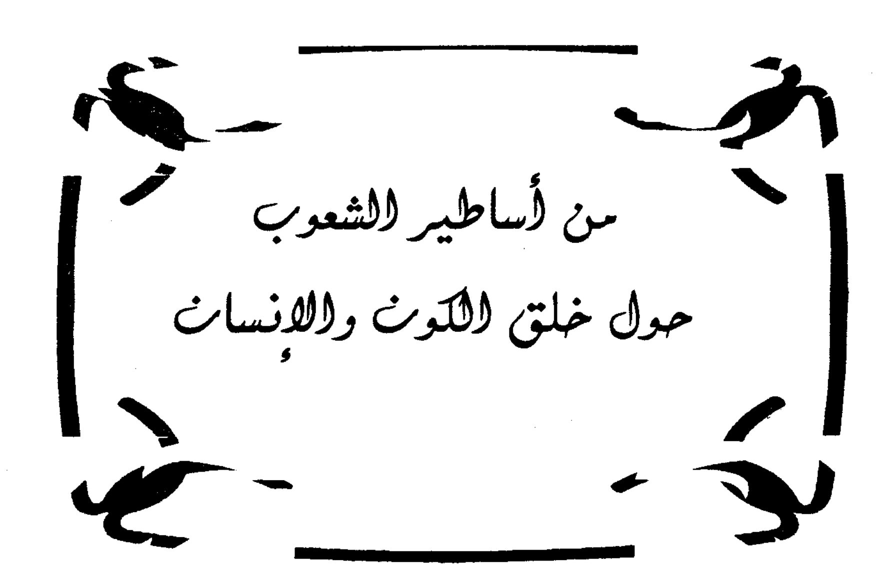
الأسطورة: هي كل شيء يناقض الواقع أو ليس له في الواقع وجود. والراجح أن هذا التفسير جاء من اجتهاد المترجمين في أوائل النهضة عندما جعلوا الأسطورة ترجمة لكلمة (Myth) التي كانت تعني (ما يناقض الواقع).

***

وفي هذا الكتاب نعرض نماذج من الأساطير التي شغلت بال الشعوب طويلاً عبر مسيرة التاريخ.

ويسعدنا أن نقدم هذا الكتاب للقارئ العربي في كل مكان، عسى أن يجد فيه الأساطير والحكايات والقصص الشائقة والمفيدة.

***



من أساطير الشعوب حول خلق الكون والإنسان

1 - أسطورة الظلام

في إحدى الروايات يرى الفلاسفة:

ان الظلام هو أول الموجودات ومنه ولد الخواء.. والتقيا أحب أحدهما الآخر.. تقابلا.. تعانقا عناق العاشقين وكانت ثمرة هذا الحب أن أنجبا نوكس (الليل) وهيميرا (النهار) و اريبوس العتمة والهواء.

ثم التقى الليل وأريبوس فأنجبا (الحظ العاثر و الشيخوخة و الموت والقتل والزهد والنوم والأحلام والنزاع والبؤس والنكد والنقمة والبهجة والصداقة والشفقة.

وأنجبا أيضا ربات القدر الثلاث والهيبسبيرات الثلاث).

التقى الهواء بالنهار أنجبا الأرض الأم والسماء والبحر. التقى الهواء بالأرض الأم أنجبا الذعر والخداع والغضب والخصام والكذب والعهود والانتقام والإسراف والشجار والصلح والعفو والخوف والفخر والصراع.

أنجبا أيضا اوكيانوس وميتيس والتياتن وتارتاروس والايرينيات الثلاث. التقى تارتاروس بالأرض الأم. أنجبا العمالقة.

التقى البحر بأنهاره فأنجب حوريات البحر النيريديات

حتى ذلك الحين لم يكن الإنسان قد خُلق بعد، بعد موافقة الربة أثينا خلق بروميثوس الإنسان. منحه صورة الآلهة.

خلط بروميثيوس كمية من مياه مجرى بانوبيوس بالتراب في منطقة فوكيس صنع هيكل إنسان.

نفخت الربة أثينا من روحها. دبت في الإنسان الحياة.

2 - أسطورة الطبيعة

يرى الفلاسفة أن هناك إلاها هو رب كل شيء، يدعونه بعدة أسماء وبعدة صفات..

ذلك الرب هو الذي خُلق أولا.

هذا الرب الذي لم يخلقه خالق يدعوه البعض الطبيعة.. لقد ظهر في الخواء فجأة. فصل الأرض عن السماء.. فصل اليابس عن الماء.. فصل الطبقات العليا عن الطبقات السفلَى..

هذا الرب حلل العناصر وفصل بينها ورتبها في نظامها المعروف.

هذه الطبيعة قسمت الأرض إلى مناطق حارة جدا ومناطق شديدة البرودة.. ومناطق معتدلة الحرارة.

شكلت هذه الطبيعة السهول والجبال وكساها بالحشائش والأشجار، وأقام قبة السماء الدوارة وجعلها تلمع بنجومها المتلألئة...

أنشأت هذه الطبيعة محطات للرياح الأربع.. جعل الشمس والقمر والكواكب الخمسة في السماء..

وأخيرا.. خلقت الإنسان..

هذا الإنسان المخلوق الوحيد بين كل الكائنات الذي يرفع وجهه نحو السماء... يراقب الشمس...

يراقب القمر... يراقب النجوم...

لم يكن بروميثوس هو الذي خلق جسد الإنسان من تراب وماء، وإن عناصر مقدسة ظلت باقية بعد انتهاء مرحلة الخلق الأولى قد بعثت في جسد الحياة.

3 - أسطورة خلق الإنسان

تختلف الأساطير فيما بينها...

رواية بروميثيوس تقول إنه خلق الإنسان من تراب وماء.

رواية أخرى تفند ذلك وتقول ان بروميثوس لم يخلق الإنسان من طين. الربة أثينا لم تبعث في جسده الروح.

رواية ثالثة تنكر ان الإنسان نشأ من أسنان الأفعوان من باطن الأرض، الرواية التالية تقول:

إن الأرض الأم تفيض خصوبة.. هي التي أنجبت ذاتيا.. إن تربتها الخصبة كانت قادرة على الإنتاج...

هكذا أنجبت الأرض الإنسان.. وهو أفضل ما أنتجته الأرض وخاصة أرض أتيكا حيث تربتها فائقة الخصوبة غزيرة الإنتاج.

أنجبت الأرض الالكومينيوس بالقرب من بحيرة كوبايس في منطقة بيوتيا.. لقد حدث ذلك قبل أن يوجد القمر..

هذا الإنسان كان له شأنه بين الآلهة.. إذ أصبح مستشارا لكبير الآلهة زيوس أثناء خلافه مع شقيقه وزوجته الرسمية (هيرا).

وهو معلم الربة أثينا وموجهها عندما كانت في مقتبل عمرها.

انحدر من سلالة هذا الإنسان بشر آخرون كانوا يتصفون بنفس صفاته.. وأطلقت الأساطير عليهم لقب الجنس الذهبي..

هؤلاء البشر عاشوا تحت حكم كرونوس الزمن وعاشوا برفاهية ونعيم..

هؤلاء البشر لا يعملون في الصيد أو الزراعة أو التجارة أو الملاحة، لذا عاشوا بلا هموم ولا اهتمامات...

كانوا يأكلون من ثمار أشجار البلوط الحلوة والفواكه البرية ويرتشفون العسل الذي تتساقط قطراته من فروع الأشجار... ويشربون الحليب الصافي الطازج من أثداء الماعز والنعاج.

كانوا يرقصون.. يمرحون.. لا تدركهم الشيخوخة ولا تصيبهم الأمراض.. أما الموت فكان بالنسبة لهم نوعًا من أنواع النوم البغيض.

هؤلاء هم الجنس الذين وهبوا السعادة للبشر والمحققين العدالة لهم.

وبالنوم البعض للجنس الذهبي جاء أفراد الجنس الفضي.

عندما جاء أفراد الجنس الفضي تغذوا على الخبز...

كان أفراد هذا الجنس أيضا من نسل الآلهة.. فخضع هذا الإنسان لأمه خضوعا تاما لم يعص لها أمرا.

وعندما بلغ هذا الإنسان من العمر نحو مائة عام وهو ـ متوسط عمره في ذلك العصر ـ لقد اختلف هذا الإنسان بسلوكه وأخلاقياته وكان كثير الشجار والخصام مع أخيه الإنسان...

لم يكن له عقل مفكر وكان جاهلا بكل ما يحيطه ولم يكن مبجِّلا للآلهة فهو لم يقدم لها القرابين ولم يتوسل إليها في صلواته.. بل لم يكن يعرف شعائر الصلاة إلا ان هذا الإنسان الفضي مع هذا لم يفكر بالحروب أو التكتلات العسكرية.

وعندما تولى الإله زيوس مقاليد الحكم قضى على إنسان العصر الفضي... قضى نهائيا على كل سلالته.. جعله يختفي من الوجود.

ثم جاء أفراد العصر البرونزي.. هبطوا من أفرع الأشجار.. هبطوا كالثمار مدججين بالسلاح...

كانوا يتسلحون بأسلحة برونزية ويأكلون الفواكه والخبز واللحوم..

هوايتهم سفك الدماء...

صفاتهم القسوة...

استخداماتهم العنف...

هؤلاء هم الذين قضى عليهم جميعا الموت الأسود.

ثم جاء جنس برونزي آخر بجنتهم آلهة من نسوة من البشر وكانوا كرماء، نبلاء، أبطال حارب البعض بشجاعة دفاعا عن أوطانهم أثناء حصار طيبة.

بعضهم قام برحلة السفينة ارجو الشهيرة والبعض الآخر اشترك في الحملة الإغريقية ضد طروادة لذا فأنهم أصبحوا أبطالا حتى بعد موتهم.

وفي العصر الخامس والأخير كان عصر الحديد الذي انحدر من سلالة العصر البرونزي الثاني.. كانوا منحلين.. قساة.. ظالمين..، فاسقين، شريدين، خائنين.

وعاش العالم في صراع بين الإنسان والإنسان وبين إله وإله كل يتصارع ويجمع الأعوان حوله ومساعدين ليخططوا ويهاجموا ويصارعوا أو يصرعوا.. وكانت الغلبة دائما للآلهة...

4 - أسطورة الزمن والكون

تروي الأساطير أن أورانوس السماء التقي بالأرض الأم جايا.

أنجب أورانوس من جايا الكوكلوبيس. ثم أنجب منها التياتن.

ثار الكوكلوبيس ضد أبيهم أورانوس، تمردوا عليه.. غضب أورانوس منهم فضربهم ضربة واحدة أطاحت بهم إلي تارتاروس.

مكان الظلمة الشديد.. البعيد عن عالم الأحياء.. مكان بعيد.. بعيد جدا عميق.. عميق جدا موقعه العالم السفلي، يبعد عن سطح الأرض بنفس المسافة التي يبعد بها سطح الأرض عن قبة السماء.

المسافة بعيدة جدا تستغرق بين سطح الأرض وقاع تارتاروس رحلة تسعة أيام.

تخلص الوالد أورانوس من أبنائه الكوكلوبيس المتمردين.

الأم جايا حزنت لفراق أبنائها فلذات كبدها.. هذه الأم الحنون بكت.. لكنها لم تستطع معارضة زوجها أورانوس ولا تقدر علي معصيته.. ولم تجرؤ علي مقاومته.. كما أنها لم تحرك ساكنا لحماية أبنائها..

إلا أن الأم.. كأي امرأة لجأت إلي الخديعة: الشر بالشر والبادئ أظلم.

قالت لنفسها: إن كان زوجي أورانوس قد تخلص من ثلاثة من أبنائى فلا يستبعد أن يتخلص من أبنائى الآخرين..

أواه ماذا أفعل؟ أواه ماذا أعمل؟ قالت جايا.

ذهبت الأم خلسة إلي أبنائها الآخرين التياتن السبعة فحرضتهم ضد والدهم بعد أن شكت لهم ظلمه وجبروته وحثتهم علي مهاجمة والدهم والقضاء عليه.

تحرك الأشقاء السبعة بقيادة كرونوس (الزمن) أصغرهم..

جايا «الأم» زودت كرونوس بمنجل من حجر الصوان.

فاجأ الأبناء السعبة والدهم أورانوس أثناء نومه.. قيدوه وشلوا حركته.. صحا أورانوس من نومه مذعورا.. قاوم أبناءه السبعة إلا أن مقاومته لم تجد نفعا.. فقد امسكوا بأطرافه ورأسه وخصره.

كرونوس أمسك بالعضو التناسلي لوالده بيده اليسري وهوي بالمنجل الذي يحمله بيده اليمني عليه فقطعه.. نعم فصل عضو والده التناسلي عن جسده.

منذ ذلك الحين.. يوم حدوث هذه الجريمة أصبحت اليسري نذير شؤم لا تستخدم إلا أعمال الشر.

استولي الفزع علي الابن عندما شاهد ذلك المنظر المفزع.

القي كرونوس بالعضو المبتور في البحر ومعه المنجل الحجري.

وقد سقط العضو والمنجل بالقرب من قمة بحرية تدعي دريبانوم.

تساقطت بضع قرات من دم أورانوس علي الأرض الأم.

أنجبت الأم جايا الايرينيات الثلاث تلك الأرواح النسائية الثلاث اللائي ينتقمن ممن قتل أحد والديه.

الإيرينيات الثلاث: الكتو، تسيفوني، ميجايرا هذه أسمائهن.

من بعض قطرات الدم الوالد أورانوس ولدت حوريات شجرة الدردار اللائي عرفن باسم الميلياي.

تقول الأسطورة:

بانتظار التياتن السبعة علي والدهم أورانوس أسرعوا إلي تاتاروس وأطلقوا سراح أشقائهم الثلاثة: الكوكلوبيس.

احتفل الجميع بالنصر..

منحوا السلطة لشقيقهم الأصغر كرونوس الذي قادهم نحو النصر وحقق رغبة والدتهم الأرض الأم.

كرونوس سار وراء شهوة السلطة ونسي من ساعده في المعركة وتنصل منهم..

أعاد الكوكلوبيس مرة أخري إلي تارتاروس.

الحق العمالقة ذات المائة يد بهم أيضا..

واختار من بين شقيقاته زوجة له.. اختار ريا وأصبح حاكما علي إليس.

عاش كرونوس حاكما مطلقا يأمر فيطاع في مملكته وبيته..

نشوة السلطة أنسته نبوءة والدته الأرض ونبوءة والده أورانوس قبيل موته.. أو أنه قد تناسي هاتين النبوءتين.

النبوءتان اتفقتا: سوف يأتي علي كرونوس واحد من أبنائه وينتزع العرش منه وضعت زوجته ريا طفلها الأول وهنا طرأت علي ذهنه فكرة اعتبرها رائعة حمل الطفل بين يديه وتظاهر بأنه يداعبه.. وفجأة أبتلع كرونوس ولده.

حاولت ريا أن تفعل شيئا لكنها لم تقدر سوي أن تخضع للأمر الواقع.. لأنها لا تستطيع مقاومة زوجها ولا تقدر علي معصيته ولا تقوي علي تحديه ولم تكن أن تعارضه.

انجبت ريا طفلا كل عام.. وكرونوس يبتلع أولاده الواحد تلو الآخر..

انجبت ريا هستيا.. دميتر.. هيرا.. بوسيدون..

ابتلع كرونوس أولاده هستيا.. دميتر.. هيرا.. بوسيدون.

عندما أحست ريا أن الجنين يتحرك في أحشائها تذكرت أطفالها الذين ابتلعهم زوجها كرونوس الظالم..

فكرت ريا.. فكرت.. قررت أن تفعل شيئا..

وعندما أحست بألم المخاض تسللت في جنح الظلام إلي قمة جبل أوكاديوم في منطقة أركاديا.

ذهبت إلي مكان لم يطأه قدم ولا يستطيع أحد أن يصل إليه..

هناك.. في ذلك المكان وضعت وليدها وغسلت جسده في مياه نهر نيدا..

سلمت ريا وليدها إلي الربة جايا الأرض الأم فوعدتها جايا بحمايته.. فحملته إلي لوكتوس في جزيرة كريت.

هناك اختبأ الوليد زيوس في كهف ديكتي فوق التل الإيجي..

جايا الم تركت زيوس في رعياة أدراستيا - حورية الدردار - وشقيقتها إيو وكلتاهما ابنتا ميليسيوس..

تركته جايا الأم أيضا في رعاية أمالثيا الحورية العنزة..

عاش الوليد زيوس تحت رعاية الحوريات الثلاث يتغذي من رحيق النحل ويشرب من لبن العنزة امالثيا جنبا إلي جنب مع وليدها بان.

وأخيرا تحققت النبوءتين واستولي زيوس علي العرش وأصبح حاكما علي الكون..

فكر زيوس كيف يرد الجميل لتلك الحوريات الثلاث؟

جعل زيوس من أمالثيا العنزة نجمة بين نجوم السماء وأصبح لها برج يحمل رسمها (برج الجدي).

استعار أيضا قرنا من قرنيها الذي يشبه قرن البقرة ومنحه إلى ابنتي ميليسيوس.

وأصبح ذلك القرن معروفا باسم (كورنوكوبيا) أي قرن الثراء أو قرن الوفرة. رمزا للثروة.

ذلك القرن الذي يمتلئ بالطعام والشراب وحسبما يتمنى حامله.

لقد صنع مهد الوليد زيوس من الذهب الخالص. كان معلقا بحبال من الذهب الخالص أيضا.

مهد الوليد زيوس لم يكن يمس الأرض ولم يكن مرتفعا نحو السماء.. وكان بعيدا عن البحر وذلك كله لحماية الوليد من الوالد كرونوس الظالم كي لا يبتلعه كما ابتلع إخوته.

كان المهد معلقا بين الأشجار كي لا يكتشف الوالد مكانه حتى ولو بحث عنه على الأرض فهو بعيد عن الأرض، أو بحث عنه في السماء فهو بعيد عن السماء أو بحث عنه في البحر فهو بعيد عن البحر.

وحول المهد الذهبي وقفت جماعة الكوريتيس المتدرعين بالدروع المعدنية الصلبة وحرابهم الغليظة أبناء ريا..

جماعة الكوريتيس كانوا يطلقون صيحات عالية حتى تضيع صرخات زيوس الوليد وسط تلك الضوضاء الصاخبة فلا يسمعه الوالد الظالم كرونوس.

عادت ريا إلى زوجها القاسي كرونوس وقدمت إليه وليدها فاختطفه كرونوس وابتلعه على الفور وهو يضحك بنشوة..

الأم ريا لم تحزن بل كانت فرحة لأن ما قدمته لزوجها الظالم لم يكن سوى قطعة من الحجر ألبستها ملابس طفل وليد...

حدث ذلك فوق جبل ثاوماسيوم في أركاديا. هناك كان كرونوس ينتظر زوجته ليلتقط منها وليدها.

بعد فترة شك كرونوس بالأمر وطفق يبحث عن الوليد.. بعث بنظراته الثاقبة من أعلى نقطة في العالم.. مسح الأرض بمن عليها بنظراته الثاقبة وكاد ان يعثر عليه لولا أن زيوس كان أذكى من والده فحول نفسه إلى ثعبان وحول الحوريات اللائي كن ترعينه إلى دببة.

عاش الطفل زيوس رغم أنف والده كرونوس وصل إلى مرحلة الصبا ثم إلى مرحلة الشباب. قضى مرحلة شبابه ورجولته بين الرعاة فوق جبل إيدا. ينتقل من كهف إلى كهف هناك قابلته التيتنة ميتيس حيث كانت تسكن بجوار مجرى اوكيانوس رحبت به ميتيس. عاونته. ساعدته. وثق بها أحس بالراحة والاطمئنان إزاء سلوكها نحوه. نصحته. استمع إلى نصحها. نصحته ان يذهب إلى والدته ريا. ذهب إلى والدته ريا. قابلها خلسة. لم تسع الدنيا هناء ريا وسعادتها. عاد إليها ابنها بعد طول غياب. عاد إليها سالما شابا يافعا. حلو الملامح. لكن سرعان ما انتابها الخوف. استولى عليها الفزع. كرونوس. زوجها. والده. قاس. شرير. سوف يكتشف وجوده. سوف يقضى عليه. سوف يتخلص منه. لن يتركه هذه المرة يفلت من قبضته. سوف يبتلعه كما ابتلع أشقاء له من قبل. طمأنها ولدها لا تخافي ولا تحزني. لقد جئت إليك بفكرة يا أماه. استمعت ريا إلى فكرة زيوس سوف تقدمه إلى كرونوس. ساقيا يعد له الشراب. يقدمه إليه. يسهر على خدمته. فقط عليها أن تساعده في تنفيذ الخطة حتى تنجح في الانتقام من والده شرح لها ما نصحته به ميتيس وافقت الأم ريا طائعة راضية. قدمته إلى كرونوس ساقيا. انشرح صدر كرونوس. قبله ساقيا. أمره بإعداد الشراب. طلب زيوس من والدته ان تعد له كمية من الملح. طلب منها كمية من الخردل. فعل كما نصحته ميتيس. خلط الملح والخردل. ثم مزجهما بالشراب الحلو الذي

اعتاد كرونوس أن يتناوله قدم زيوس كأسا إلى كرونوس ثم كأسا أخرى. ثم كأسا ثالثة ظل كرونوس يعب الكأس تلو الأخرى. سيطر الشراب على عقله. دارت به الأرض والسماء. امتلأت معدته بالشراب. سرى الملح والخردل في أمعائه. تقلصت بطنه. أحس برغبة شديدة في التقيؤ. تقيأ كرونوس الثمل. قذف بكل محتويات معدته الضخمة إلى الخارج. خرج الحجر المكسو أولا. ثم خرج بعد ذلك إخوة زيوس وأخواته. خرجوا الواحد تلو الآخر. خرجوا جميعا ذكورا وإناثا من غير سوء. خرجوا من معدته الضخمة شبابا مكتملي النمو. هلل الجميع إذ خرجوا من ذلك السجن المظلم الرطب. قدموا فروض الولاء والعرفان إلى شقيقهم الأصغر زيوس. اختاروه قائدا لهم في معركتهم القادمة ضد الوالد كرونوس الظالم. ضد حلفائه التياتن بقيادة التيتن الجبار أطلس. قامت حرب شرسة بين زيوس وأشقائه في جانب وكرونوس وحلفائه في الجانب الآخر.

وضع هاديس خوذة الظلام فوق رأسه فاختفى عن الأنظار.. وأصبح يرى كل من حوله ولا يراه أحد فتسلل بهدوء حيث كان كرونوس.. اقترب منه ولم يفطن له.. انقض هاديس على أسلحة كرونوس.. سرقها.. نقلها في خفية بعيدا عن متناول يده.

كرونوس لوح بالشوكة الضخمة في الهواء وضرب بها سطح المحيط الشاسع.. هاجت كل البحار والمحيطات.. ارتفعت الأمواج.

استولت الدهشة على كرونوس ولم ينتبه لزيوس وهو يهجم عليه.. انقض عليه أطلق نحوه وابلا من الصواعق الرعدية فأنهاه في الحال.

انطلق العمالقة ذوو المائة يد نحو الجبال الشاهقة فحملوا الصخور

الضخمة الصلبة وألقوا بها على رؤوس التياتن فهشموا رؤوسهم وهزموهم شر هزيمة.. وسيطروا عليهم.. وأصدروا أحكامهم عليهم:

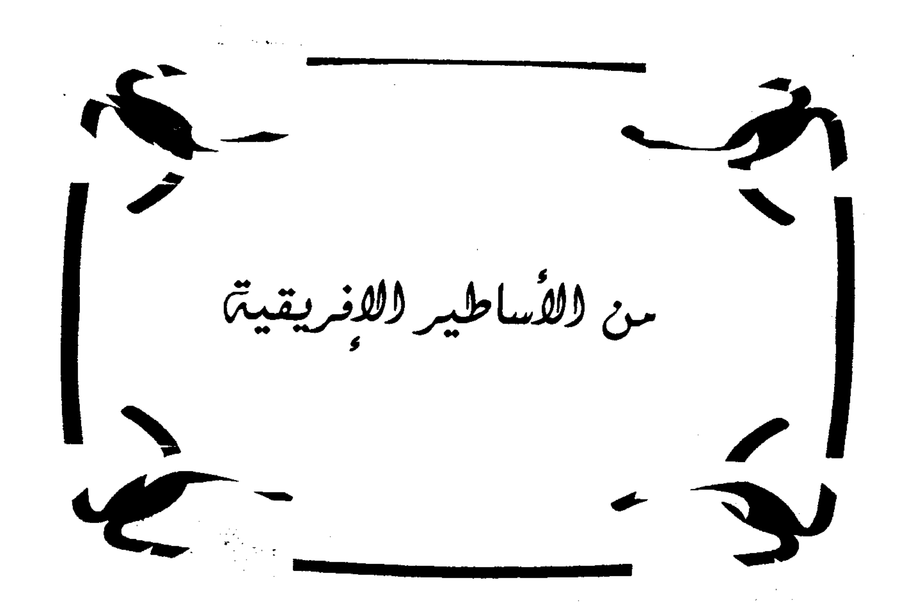
كرونوس ينفى بعيدا..

التياتن ينفون إلى جزيرة بريطانية تقع في أقصى الغرب..

وعلى أن يبقوا تحت حراسة العمالقة ذوي المائة يد..

إما قائد التياتن أطلس الجبار فقد صدر الحكم عليه بأن يحمل قبة السماء فوق كتفه.

أما إناث التياتن فقد صدر قرار بالعفو عنهن إرضاء للأم ريا والحورية ميتيس.



من الأساطير الإفريقية

1 ـ أسطورة أوغندية:

لماذا لا يخرج الخفاش إلا ليلا ؟

اندلعت حرب بين الطيور والحيوانات في يوم من أيام الزمان.

الخفاش لم يكن مع الطيور ضد الحيوانات.. ولم يكن مع الحيوانات ضد الطيور.. الخفاش ظل على الحياد..

رأى الخفاش أن النصر والغلبة ستكون للطيور فطار وطلب الانضمام إليهم.

سأله أحد الطيور: لماذا جئت إلى معسكرنا ؟

أجابة الخفاش: إنني واحد منكم. أنا من الطيور. انظر إلى جناحيَّ. الطيور قبلته في معسكرها.

الحيوانات أعادت ترتيب وضعها الحربي.. وضعت خطة وشنت الحرب على الطيور وانتزعت النصر منهم.

طار الخفاش إلى معسكر الحيوانات فسأله أحدهم: لماذا جئت إلى معسكرنا؟

قال الخفاش: أنا واحد منكم ألا تستطيع رؤية شكلي.. أسناني الصغيرة.

قال الحيوان: أنت جاسوس لأني رأيتك في معسكر الطيور

الحيوانات رفضت قبول الخفاش في معسكرها

الطيور رفضت قبول الخفاش بين مجموعتها.

ومنذ ذلك الوقت والخفاش منبوذ من الطرفين، وازدادت عزلته حتى أصبح لا يخرج من وكره إلا ليلا خوفا على حياته من الطيور والحيوانات إذا رأته.

2ـ أسطورة من جامبيا:

الصياد والغزالة

كان في سالف العصر يعيش في قرية صغيرة من قرى جامبيا شاب يحترف مهنة الصيد.

كان هذا الشاب قويا.. شديدا، وسيما معروفا عند أبناء قريته وكان المثل الأعلى لأقرانه..

ذات يوم ذهب هذا الشاب إلى الغابة للصيد.. كان عادته أن يتسلق إحدى الأشجار ويقبع عليها ويرقب فريسته.

في هذا اليوم سينتصف النهار ولا يزال قابعا على الشجرة ولم يلمح أي شبح لصيده. قرر العودة للمنزل بعد أن شارفت الشمس على الغروب.. كان يهم بالنزول من الشجرة فجأة لمح غزالة.. أراد تسديد سهمه نحوها إلا أنه دهش عندما شاهدها تنزع جلدها.. ظل يراقبها.. تحولت الغزالة إلى امرأة رائعة الجمال..

الشاب الصياد ظل يراقبها.. المرأة تخفي جلدها تحت صخرة قريبة من الشجرة التي كان الصياد قابعا عليها.

اختفت المرأة من مكانها وهي تتحرك بين الأشجار الكثيفة.. نزل الصياد.. ذهب إلى الصخرة ورفعها وتناول جلد الغزالة.. وضعه تحت إبطه وعاد إلى منزله.

في اليوم التالي حمل الصياد جعبته وسهامه وقوسه وحملها على كتفه وتوجه إلى الغابة.. كان جلد الغزالة داخل الجعبة.

صعد الصياد على نفس الشجرة التي صعد عليها يوم أمس.. لم يكن

يرقب فريسة وحسب بل كان يرقب قدوم المرأة.

كادت الشمس تميل إلى الغروب.. كان الصياد قد مل الانتظار وأراد النزول من الشجرة وإذا به يرى المرأة وهي تتجه نحو الصخرة.. لم تجد جلدها.. اضطربت.. لطمت وجهها..

صاح الصياد: عما تبحثين؟

التفتت المرأة نحو مصدر الصوت دون أن تتبينه وأجابت: إنني أبحث عن جلد غزالة كنت قد تركته هنا بالأمس.

قال الصياد: ماذا تعطيني لو أحضرت لك الجلد.

لم تعر المرأة الصياد اهتمامها واستمرت بالبحث عن الجلد تحت كل الصخور الموجودة.. بين الأشجار.. فلم تعثر عليه.

الصياد قال: هل تبحثين عن جلد الغزالة.. ماذا تعطينني إن دللتك عليه؟

قالت: لا تساومني.. إن كان باستطاعتك اعطائي الجلد.. فهلم.. وبدون مقابل.

قال الصياد: إذن سوف لن أعطيك الجلد ما دمت لن تكافئيني.

قالت المرأة: إن أعطيتني الجلد فإني سأكون زوجة لك ولكن هذا الاتفاق سيكون سرا وقد وعدها الصياد بعدم إفشاء هذا السر وأقسم لها.

قالت له: دع الجلد عندك وأنا سأكون زوجتك.. أنا أثق بقسمك.

اصطحب الصياد المرأة إلى منزله.. وتساءل أهل القرية: من هذه المرأة الجميلة؟

قال: لقد أهداني إياها الملك.

كان الصياد متزوجا من امرأة أخرى.. تملكتها الدهشة وهي ترى زوجها يدخل بصحبة امرأة أخرى.

سألت زوجها: من هذه المرأة؟

أجابها زوجها: لقد قابلتها في مدينة قريبة وقد أجبرني ملك تلك المدينة على الزواج منها. أعدت الزوجة الأولى مائدة الطعام.. كانت الزوجة الثانية تلتهم الطعام وترتشف الحساء.

المرأة الأولى راودتها الشكوك.. إن هذه المرأة تتناول الأكل دون مضغ.. سألت زوجها عن تفاصيل أدق عن المرأة لكن زوجها كان يتملص من الإجابة لأنه أقسم للمرأة (الغزالة) أن لا يبوح بسرها.

المرأة الثانية استمرت بشذوذها.. كانت لا تنام على السرير.. بل تنام على الأرض.. كانت لا تتناول الطعام مع أحد.. بل تأكل لوحدها.. إنها تترك الفراش ليلا لتذهب إلى المطبخ لتناول طعامها لوحدها. سألت زوجها.. لم يجب زوجها.

المرأة الأولى لا زالت الشكوك لديها تكثر.. استشارت إحدى صديقاتها فنصحتها بأن تعطي لزوجها خمرا حتى يثمل وعندها سيفشي السر.

في اليوم التالي أعدت المرأة الأولى أكلة دسمة وكانت المرأة الثانية تحضر الماء اللازم من خارج المنزل. شرب الرجل الخمر حتى ثمل. سألته المرأة.. قص الصياد القصة كاملة لزوجته الأولى.. أخبرها عن كل شيء. واخبرها عن مكان الجلد.

في اليوم التالي ذهب الصياد إلى الغابة للصيد.. الزوج الثانية كانت تساعد الزوجة الأولى في إعداد الطعام في المطبخ.. الزوجة الثانية وضعت السكر بدلا من الملح.. الزوجة الأولى نهرتها وقالت لها: إلى متى ستبقين على سلوكك الحيواني.

قالت الزوجة الثانية: ماذا تقصدين.

قالت الزوجة الأولى: يجب ان تتصرفي كالبشر وأن تتخلي عن سلوكك الحيواني.

الزوجة الثانية دعت الزوجة الأولى للقتال. الزوجة الأولى هرعت إلى مكان الجلد وأحضرته ورمته بوجه الزوجة الثانية وقالت لها: هاك الجلد.. واتركي المنزل.

الزوجة الثانية اندفعت غاضبة نحو الزوجة الأولى وقتلتها ثم دخلت غرفتها ولبست جلدها وتحولت إلى غزالة وتركت المنزل وذهبت إلى الغابة. وهناك وجدت الصياد..

الصياد وجه سهمه إلى الغزالة.. الغزالة قالت له: انتظر لا تقذفني بسهمك.. لقد وثقت بقسمك ولكنك لم تكن أهلا لذلك.. لقد أمنتك على حبي ولكنك كنت خائنا.

تملك الصياد خوف ودهشة فيما تعنيه الغزالة بقولها.

عندما وصل الصياد لم ير الزوجتين.. عندما خرج من المنزل عرف من أهل القرية كل ما حدث.. شعر بالحزن العظيم.. ولعن نفسه على ما فعله..

أهل القرية كرهوه لأنه كذب عليهم.. وعندما مات لم يعبأ احد بموته.

3ـ أسطورة من راوندا:

الرجل والحمامة والصقر

حدث أن كان هناك رجل أعمى وأعرج.. وفي إحدى الأمسيات جلس إمام باب منزله وتملكه الحزن والحسرة على حالته تلك. لأنه لم يكن يستطيع الحركة أو الإبصار لكنه قضى على ذلك الإحساس بالصلاة والابتهال إلى الله.

وفجأة طارت حمامة متجهة إليه، واختفت تحت طرف ثوبه وفي غمضة عين أقبل عليه صقر جائع وتوسل إليه أن يترك الحمامة له، لأنه جائع والجوع كاد أن يقتله، وأخبره بأنه إن لم يعطه الحمامة فسيموت في الحال. ووعد الرجل بأنه لو ترك الحمامة سيعطيه شيئا يمكنه من الإبصار.

لكن الحمامة توسلت كذلك من أجل حياتها، وقالت للرجل بأنه لو تركها للصقر فإن في ذلك موتها، ووعدته بأنه لو أنقذها من ذلك الصقر فستعطيه شيئا يشفي عرجه، وبهذا يتمكن من السير على قدميه ثانية.

ولهذا احتار الرجل بين الاثنين ولم يكن يدري ما يفعله بالضبط، فأرسل في طلب صديقه الوحيد وأخبره بحيرته وسأله قائلا: (هل استعيد بصري أم اشفي عرجي؟)

لكن صديقه الآخر احتار في الأمر ولم تسعفه النصيحة التي يجب أن يسديها له ثم تركه وقال له:

(عليك أن تمسك بدفة قاربك بنفسك، فأنا لا أستطيع أن أساعدك في اتخاذ قرار بشأن هذه المشكلة).

وحزن الرجل حزنا عظيما لأن صديقه لم يستطع مساعدته، ثم أخذ يفكر عدة دقائق ثم سأل الصقر قائلا:

(لنفرض أنني أحضرت دجاجة بدلا من الحمامة فهل سترضى بها)؟

فرد عليه الصقر بسرعة: (طبعا فأنا أفضل، في الواقع، لحم الدجاجة على لحم الحمام، فلأني لم أستطع الحصول على دجاجة،فقد أجبرت على أن أقنع بما وجدته).

فقال له الرجل: (هذا جميل).

ثم قال للحمامة: (والآن سأنقذ حياتك لكن عليك أن تبري بوعدك).

واتجه للصقر قائلا: (سأمدك بالطعام الذي تريده لكنك ملزم بالوفاء بوعدك لي).

وحينئذ أعطى الرجل دجاجة للصقر. وفي مقابل ذلك أخبره الصقر بأنه يجب أن يحصل على ورقة شجرة ذكرها له وينظفها ثم يعصرها في عينيه وبذلك سيتمكن من الإبصار ثانية. وعلى ترك الرجل الصقر.

وبعد ان طار الصقر اتجه للحمامة، وقال لها:

(لقد أنقذت حياتك. وعليك الوفاء بوعدك، وعندئذ أخبرته الحمامة، بما يجب عليه أن يفعله حتى يسترد مقدرته على السير. وعلى هذا تركها ثم نفذ الرجل تعليمات كل من الصقر والحمامة وبهذا استرد قوة بصره والسير على قدميه.

4ـ أسطورة من تشاد:

الأسد والعنزة

كانت العنزة ترعى ذات يوم في سهل ملئ بالعشب الأخضر، وفجأة علا زئير أسد مخيف فأوقفها عن الأكل. ونظرت حولها فرأت أسدًا داخل قفص وحينما همت بالهروب نادى عليها الأسد راجيا، فاقتربت من القفص وحينما اقتربت منه طلب منها ان تفتح له القفص لان الجوع والتعب أنهكاه، لكن العنزة رفضت ذلك في بادئ الأمر لأنها لا تثق في الأسد وتخاف أن يبطش بها. لكن الأسد ألح عليها، ووعدها أنه لن ينسى جميلها، ففتحت العنزة باب القفص وخرج الأسد منه.

وأصبح حرا يفعل ما يريد

فشكر العنزة على جميلها وعطفها.

ولم تكد العنزة تبتعد عن القفص خطوات، حتى غير الأسد رأيه وقرر ان يفتك بها ويلتهمها، لأنه غير متأكد أنه سيجد فريسة أخرى، وخاف من الموت جوعا، فجرى وراءها وامسك بها.

ودهشت العنزة وتملكها اليأس لما رأت من جحود الأسد ونكرانه للجميل فقالت له:

(هل أخطأت حينما عطفت عليك، ورحمتك من جدران القفص؟)

وبينما هما في نقاشهما هذا اقترب منهما رجل وقال لهما:

(على ماذا تختصمان)؟

فقصت العنزة قصتها سريعا

فسألها الرجل:

(وأين كان ذلك القفص)؟

فأشارت العنزة بيدها قائلة:

(إنه هناك)

فقال الرجل:

(حسنا فلنذهب إليه، لتبيني لي بالضبط كيفية ما حدث حتى يمكنني أن أعرف أيكما كان على حق).

فذهب الأسد والعنزة بصحبة الرجل إلى مكان القفص

وعندئذ سأل الرجل الأسد:

(أهذا هو القفص الذي كنت محبوسا فيه)؟

فقال الأسد:

(نعم)

فسأله الرجل ثانية: (وكيف كنت تجلس فيه)؟

فأشار الأسد إلى مكانه قائلا: (هكذا)

فسار الرجل إلى داخل القفص وجلس فيه ثم قال:

(أكنت تجلس فيه هكذا)؟

فقال الأسد: (كلا)

فأشار الرجل بإصبعه قائلا: (إذن أرني كيف كنت تجلس فيه)؟

فدخل الأسد القفص، وبينما كان يبين للرجل المكان الذي جلس فيه

من قبل، أسرع الرجل وأغلق القفص.

وصاح الرجل قائلا: (هذا هو جزاء ناكر الجميل)

ثم استدار إلى العنزة وقال لها:

(عليك بعد ذلك أن تختاري من يستحق المساعدة: فليس أخطر على حياتك من عطفك على مثل ذلك الوحش الناكر للجميل).

5 ـ أسطورة من زامبيا:

الأسد والسلحفاة والدب

قرر الأقطاب الثلاثة: الأسد والسلحفاة والدب عقد معاهدة دفاعية بين شعوبهم التي يمثلونها. ولكن قبل أن يحققوا هذه المعاهدة الدفاعية قرروا أن يتوادوا ويتصادقوا، حتى يكونوا قدوة لأتباعهم يسيرون عليها. وبعد أن علم الأسد بأن الموقف قد وصل إلى هذا الحد، طلب من السلحفاة والدب أن يعربا عما يكرهانه، ويمقتانه حتى يتحاشاه الآخرون. فوافقا على فكرة الأسد بعد أن أثنو عليها.

وشرحت السلحفاة أسباب ضيقها وذكرت ما يغضبها قائلة:

(أشد ما أمقته هو كلام الناس أثناء غيبتي)

وقال الدب:

(لا يهمني قول الناس عني، ولكني أغضب كلما داس واحد منهم على ذيلي)

فقال الأسد عندئذ:

(لا هذا ولا ذاك أتأثر به، أكره أن يحملق الناس في وجهي)

ووعد الجميع بتجنيب هذه المضيقات والامتناع عن أخلاق كل منهم للآخر.

وحينئذ استأذنت السلحفاة قائلة:

(إنها تنوي الجري لشوط بعيد. ولم تكد السلحفاة تغادر مكانها حتى علق الأسد بقوله:

(ترى ماذا تفكر السلحفاة فيما يقوله الناس عنها أثناء غيابها)؟

فرد الدب:

(ربما يتحدثون عن محارتها المجعدة الملتوية)

وبعد ثوان عادت إليهم السلحفاة، إنها لم تكن قد ذهبت بعيدا، بل اختفت بين الحشائش لتسمع ما قالاه عنها بعد أن غادرتهما. وطبعا لم يكن باستطاعتها أن تفعل شيئا إزاءهما بعد ان تحدثا في حقها في غيبتها، بل اكتفت بالنظر والحملقة إلى وجه الأسد شذرا.

ولما رأى الأسد ذلك فكر في الهجوم عليها. وبينما كان يتعاركان داس الأسد على ذيل الدب فاضطر أن يدخل معمعة الصراع ودارت رحى الحرب بين ثلاثتهم.

وكانت المعركة من الشدة حتى أن جميع الحيوانات الأخرى أتت من كل حدب وصوب لترقب ما يحدث. ولم تمض دقائق حتى اشتركت تلك الحيوانات في صميم المعمعة، كل في صف بني جنسه. ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الحيوانات أعداء لا يقرب بينهما أي شيء.

6- أسطورة من زمبابوي:

الزنبور والنحلة

بعد أن خلق الله عزوجل الحشرات أمر النحلة بالنزول إلى الأرض بعد أن علمها كيفية البحث عما تستطيع حمله من الأشياء وصنع شيئا واحدا جميلا منها، كما علمها كيف تحيا حياة تتمتع بها، وكانت النحلة تمتاز بالصبر الجميل، لأنها أصغت إلى تعليم الإله ثم نزلت إلى الأرض.

وأتى بعد ذلك دور الزنبور وكان نافد الصبر، فلم يستمع إلا إلى نصف تعاليم الخالق فقط التي أراد الله أن يمنحها إياه. فقبل أن ينتهي الإله من شرح تعاليمه للزنبور انطلق هذا الأخير في الجو قائلا:

(لقد عرفت كل شيء أحتاج إلى معرفته).

ولما هبط إلى الأرض اكتشف أنه لم يتلق تعاليم الله كلها، وحاول مرات ومرات أن يصنع العسل لكنه فشل. فبدلا من أن يصنع العسل صنع سما زعافا. أما النحلة التي أصغت بكل صبر واهتمام إلى تعاليم الإله استطاعت أن تجمع كل ما طلبه الخالق منها، وصنعت شيئا جميلا وهو (العسل).

ومنذ ذلك الحين أحب الناس النحل حبا شديدا، في حين أن الزنبور أصبح العدو اللدود للإنسان في الأرض.

7- أسطورة من غانا:

السلحفاة والأرنب

دائما ما كان ينظر الأرنب إلى السلحفاة وهي تزحف ببطء، ويسخر منها، وفي يوم من الأيام تحداها للسباق ساخرا فأخذت تفكر السلحفاة في هذا الأمر وقتا طويلا. ورأت أنها لو رفضت سيزداد الأرنب في سخريته وتهكمه وهي لا تستطيع أن تتحمل هذا، كما أنها لو قبلت السباق فسيسبقها الأرنب بدون شك فتصبح أضحوكة الجميع. ولكن لم يكن أمامها سبيل أمام سخرية الأرنب من قبول التحدي.

وحددا يوما للسباق واستعد كل منهما للآخر، ولم يكن هذا السباق مشكلة بالنسبة للأرنب. ولكنه كان بالطبع أكبر المشاكل التي قابلتها السلحفاة في حياتها، وحان الوقت وانطلق كل منهما متسابقا.

وبعد مرور بعض الوقت نظر الأرنب خلفه فوجد أن السلحفاة وراءه بمسافة شاسعة. وعلى هذا قرر أن يستريح قليلا، ولكن السلحفاة كانت تزحف ببطء وتصميم حتى لحقت بالأرنب وسبقته في هدوء بينما كان هو يغط في نومه ولا يشعر بها.

وبعد أن وصلت السلحفاة إلى نهاية السباق صاحت قائلة:

(لقد كسب السباق ذو العزيمة القوية).

واستيقظ الأرنب ليرى السلحفاة قد سبقته، فأخذ يجري بأقصى ما لديه من سرعة ويقفز بوثباته عاليا لكن قد فات الأوان.

8- أسطورة من مالاجاسي:
لماذا تشبه القرود بني الإنسان؟

ذات يوم دعا الأسد . ملك الحيوانات . جميع الحيوانات لعقد اجتماع..

حضر الاجتماع: فرس البحر والفيل والزرافة والغزالة والسمكة وجميع الطيور والحشرات.

الأسد أخبرهم بالغرض من هذا الاجتماع.

قال الأسد: كنت أراقب كل ما يدور حولنا فوجدت أن الآدميين يحاولون ان يحتلوا مكاننا.

إنهم أقلقوا الطير في أوكارها وضايقوها في حياتها بطائراتهم.

إنهم ضيقوا الخناق على الأسماك ببواخرهم..

إنهم مشوا على الأرض فنافسوا الحيوانات والحشرات..

أيها الإخوة والأخوات هل لديكم وسيلة لمنع الإنسان من قتالنا؟

قالت الزرافة: الحرب.

قال فرس البحر: الحرب ضد هذا الإنسان.

قالت الغزالة: إننا لا نستطيع القتال وأمامنا الإنسان المسلح بأسلحته النارية.

قال السمكة: دعونا نستشير السلحفاة أعقلنا وأحكمنا.

قالت السلحفاة: ينبغي أن نصبح إنسانيين لأننا لو تحولنا كلنا إلى بشر ما امتاز أحد عن الآخر فوق هذه الأرض.

وافقت الحيوانات كلها على هذا الحل..

التساؤل الذي حير الحيوانات: كيف يصبحون بشرا؟

ذهبوا مرة أخرى إلى السلحفاة وسألوها: كيف يصبحون بشرا؟

قالت السلحفاة: سأساعدكم في إعداد جرعة من الدواء في إناء كبير وكل منكم سيستحم مرة واحدة سيتحول إلى بشر فورا.. إن الدواء سيكون جاهزا منذ الصباح الباكر.

عمت البهجة والسعادة كل الحيوانات.. أحيوا حفلة غنائية موسيقية صاخبة.. السلحفاة لم تستطع النوم من شدة الضوضاء والصخب سألتهم:

ما هذه الضوضاء.. ماذا تفعلون؟

قالوا: في الصباح الباكر سنصبح بشرا

قالت السلحفاة: إن تصرفاتكم حيوانية.. إذن ماذا ستفعلون لو أصبحتم بشرا؟

تركتهم السلحفاة وكسرت إناء الدواء فسال على الأرض.

في الصباح فوجئت الحيوانات أن الإناء قد كسر والسائل قد امتصته الأرض.. سارعت القرود ومسحت بما تبقى من الدواء أجسادها ولعقته.. إنها كانت أول من وصل إلى المكان.. لهذا فهي تشبه الإنسان.

9- أسطورة من موزمبيق:

الكتكوت المشاغب

كانت تعلم دجاجة صغارها كيفية الدفاع عن أنفسهم. وأخبرتهم بما يجب عليهم أن يفعلوه عند رؤيتهم صقرا قريبا منهم، وتوسلت إليهم ألا يذهبوا قرب الآبار في المناطق المجاورة.

وبعد ذلك بأيام كان أحد صغارها يلتقط الحب من الأرض فلاحظ وجود بئر بجواره، فتذكر ما قالته أمه فترك مكانه مباشرة.

وحينما ذهب في صباح اليوم التالي لالتقاط الحب وجد نفسه ثانية بجانب البئر لكنه بدلا من تركه مكانه كما فعل بالأمس، وقف حيث هو، وأخذ يفكر عن سبب منع أمه له من الذهاب إلى البئر فسار قليلا جانب البئر فلم يحدث له شيء. وملأته الحيرة واخذ يقول لنفسه:

(ترى ماذا في هذه البئر)؟

وتملكته غريزة حب الاستطلاع وتغلبت على الخوف الذي في قلبه، فقفز فوق حافة البئر ليرى ما بداخله.

وتملكته الدهشة حينما رأى كتكوتا آخر في البئر، فأدار رأسه إلى اليمين فوجد الآخر قد فعل مثله. ورفع جناحيه إلى أعلى، ففعل الكتكوت الثاني كما فعل صاحبنا. وفتح فمه ليزقزق فوجد الآخر يقلده.

وفي النهاية أحس بالضيق والغيظ من هذا الكتكوت الذي يقلده نفش ريشه وتحداه للقتال. وقبل خصمه هذا التحدي وفعل مثلما فعل.

وقفز الكتكوت الصغير في البئر وهو في ثورة من الغضب، ليقضي على خصمه. ولسوء الحظ لم يجد الكتكوت شيئا يقاتله إلا مياه البئر، فحاول

إنقاذ نفسه بكل ما استطاع، وصاح بأعلى صوته ولكن ما من مجيب.

وأخيرا عرف أن خصمه لم يكن إلا خياله هو، وتذكر ما قالته أمه له لكن قد فات الأوان، وتذكر أمه في صراعه ضد الموت وندم على عدم إطاعته لها، فأخذ يصارع الماء، والماء يصارعه حتى خارت قواه وسقط في قاع البئر غير مبكيٍّ عليه ولا مأسوف له.

10 ـ أسطورة من ملاوي:
لماذا تقدر التوائم في سيركي؟

منذ زمن بعيد كانت تعتبر ولادة التوأمين في منطقة معينة فألا سيئا للأرض. ونتيجة لهذا كانت التوائم في تلك المنطقة إما أن تقتل وإما أن يلقى بها في الغابة لكي تبتلعها الحيوانات المفترسة. وكان رئيس قرية سيركي هو الذي يصدر الأوامر في هذا الصدد.

واستمرت الحالة على هذا دون استثناء، حتى أنجب بعض الآباء توائم ذكورا جميلة، جلدها رقيق وتكوينها متناسق، ولقد وصلت هذه التوائم من الحسن والجمال درجة جعلت كل من يشاهدها تملأه الدهشة ويحوطه العجب، ولكن في نفس الوقت كان لابد أن تقتل هذه التوائم دون أن يرثى لها. وكان الولدان قد أحبا توأميهما حتى إنهما كانا على استعداد للقيام بأي شيء من أجل إبقائهما. حتى لو كلفهما ذلك حياتهما.

وأرسل الزعيم كالمعتاد إلى الوالدين يأمرهما بوجوب قتل توأميهما، ولكن الوالدين رفضا أن يذعنا للأمر وأمر الزعيم في ثورة غضبه أن يرحل الوالدان وتوأماهما من المدينة فورا حاملين معهما أمتعتهما، ولا يرجعان إلى المدينة أبدا ـ فرضخ الوالدان لأمر.

وكان أحد التوأمين ذا خال أسود في جبهته وكان ذلك التوأم يدعى (إيبا) بينما كان للآخر خالان وكان يدعى (سيبا). وشب هذان التوأمان في غابة حتى اكتمل نموهما. وأصبح كل منهما على قدر كبير من الأناقة والقوة وكانا يلعبان سويا، ويشتغلان سويان وغالبا ما كانا يتصرفان تصرفا متشابها.

وذات يوم بينما كانا ينحدران من الغابة رأيا رجلا مصابا بجرح عميق

تسيل منه الدماء. فانتابهما الرعب عند رؤيتهما لهذا المنظر، وكانا على وشك ان يديرا ظهرهما، ويوليا الأدبار، لولا أن الرجل ناداهما بصوت فيه ألم. فتحركت عاطفة الشفقة فيهما وقررا الذهاب لإنقاذ الرجل.

فأخبرهما الرجل بأنه قد أصيب بهذا الجرح في معركة دارت بين مدينة (سيركي) (وهي المدينة التي جاء منها هذان التوأمان ووالدهما) وبين مدينة أخرى. واندفع في حزنه قائلا:

(إننا نخسر الحرب بسرعة عجيبة، وقد اضطررت إلى ترك ميدان القتال لأنني لا أستطيع أن أواصل القتال. أرجوكما أن تأخذا مني هذا الدرع).

وتوسل إليهما قائلا:

(اذهبا وساعدا شعبي ان استطعتما) ثم مات بعد ان انتهى من جملته الأخيرة ولما كان (سيبا) و (ايبا) يعرفان جيدا ان (سيركي) كانت مسقط رأسيهما قررا الذهاب إليها ومساعدة أهلها. وعلى هذا ذهبا إلى منزلهما وأخبرا والديهما بما حدث، وعبرا عن رغبتهما في الذهاب لمساعدة أهل المدينة، ولكن الوالد عارض بقوة قائلا:

(إن الزعيم لا يريدكما ولن يرحب بمساعدتكما. فلقد طلب من قبل قتلكما وحينما عارضناه نفانا من المدينة).

ولكن كان من الصعب إثناء التوأمين عن قرارهما، وصمما علي الذهاب، فأذعنت أمهما أولا ثم اضطر أبوهما إلي الرضوخ للأمر.

وعلي هذا ذهب التوأمان للمحاربة في صف أهل المدينة. وقاد (سيبا) إحدي الكتائب وقاد (ايبا) كتيبة أخري. واستطاع هذان الشجاعان أن يعيدا للشعب كل ما فقده من ممتلكات استولي عليها العدو بما في ذلك ابن الزعيم،

وبعد مرور يومين من القتال المرير اضطر العدو إلي توليه الأدبار، وبهذا حقق (سيبا) و(ايبا) انتصارا رائعا.

وأقيم حفل كبير بمناسبة هذا الفوز، وفي وسط الحفل أعلن أحد الحاضرين عن وجود وجهين غريبين بينهم. ولاحظ أهل المدينة أن الوجهين الغريبين بينهم هما هذان الشخصان اللذان قاداهما إلي النصر وسأل خال الولدين زعيم المدينة وشعبهما عما إذا كانوا ما زالوا يتذكرون هذين الوجهين. لكنهم لم يتذكروهما مطلقا. وحينئذ ذكرهما الرجل بالتوأمين الذي كان لأحدهما خال علي جبهته وللآخر خالان، وذكرهما بنفيهما ووالديهما من المدينة لعدم رضوخ الوالدين لتنفيذ تعليمات المدينة بقتل ابنيهما ثم صاح قائلا: (هذان هما التوأمان بعينهما).

وشعر الزعيم حينذاك بالندم لطرده لهما من القرية ولذلك طلب منهما أن يصفحا عنه، ثم ارسل الشابان إلي والديهما محملين بهدايا قيمة، وفي صحبتهما فرقة من الجند لكي يرجوهما للعودة ثانية. وبعد وصول العائلة بأكملها إلي المدينة أصبحت معبودة من قبل المدينة بأكملها بما فيها الزعيم.

ومنذ ذلك الوقت لم تعد التوائم فألا سيئا بل أصبحت فألا حسنا بين شعب سيركي.

11ـ أسطورة من الكاميرون:

السلحفاة والدب

جمعت الصداقة بين سلحفاة ودب.. كانت الصداقة حميمة بينهما. كانت السلحفاة والدب متعودين على تناول طعامهما سويا. كانت السلحفاة تهيئ الطعام وتدعو الدب لتناوله معها وفي اليوم التالي يهيء الدب الطعام ويدعو السلحفاة لتناوله معه.. وهكذا يدعو احدهما الآخر.

أراد الدب في أحد الأيام أن يتناول طعامه لوحده فلف نفسه حول إناء الطعام.. ولما جاءت السلحفاة لتناول الطعام معه فوجئت به وهو يلف نفسه حول إناء الطعام.

دارت السلحفاة حوله مرات ومرات فلم تستطع لمس الإناء.

مدت السلحفاة يدها إلى الإناء فنهرها الدب غاضبا:

لماذا تدوسين على ذيلي؟

انزعجت السلحفاة من الدب وذهبت إلى بيتها وقد خاب أملها في الدب.

في اليوم التالي أعدت السلحفاة الغداء وكانت قد ربطت حبلا في ذيلها ولفته حول إناء الطعام.

جاء الدب ليتناول الطعام معها ولما أراد أن يمد يده نهرته وصاحت غاضبة:

لماذا تدوس على ذيلي هكذا؟

سأل الدب السلحفاة: متى أصبحت كبيرة بهذا الحجم؟

فأجابته السلحفاة بتحد: الرجل يعلم الرجل ان يكون طويلا وقصيرا.

12ـ أسطورة من السنغال:
فأر المدينة وفأر القرية

بينما كان فأر المدينة يسير في أحد شوارع القرية ذات يوم لاحظ أن فأر القرية كان يأكل طعاما عفنا وجوزا قذرا.

فأر المدينة: مرحبا أيها الصديق

فأر القرية: مرحبا بك

فأر المدينة: إنني في حيرة منك

فأر القرية: وما سبب حيرتك؟

فأر المدينة: كيف يمكنك أن تأكل الطعام القذر هذا؟

فأر القرية: وماذا تأكل أنت؟

فأر المدينة: أنا آكل طعاما دسما في أي وقت أشاء وبأي مقدار أريد

عجب فأر القرية من كلام فأر المدينة وقال له: أهذا معقول؟

فقال فأر المدينة: طبعا ... تعال معي وسترى بأم عينك.. وثق أنك سوف لن تعود إلى هذا المكان مرة ثانية.

سار فأر القرية خلف فأر المدينة... وعندما وصلا إلى المدينة وجدا طعاما دسما وفيرا في المطبخ الذي قاده إليه صديقه فأر المدينة.

لم تمض دقيقة من بدء أكلهما حتى سمعا وقع أقدام

صاح فأر المدينة: اجر.. اجر لتنقذ حياتك.. هرب الفأران معا...

وبعد ان خرج فأر القرية لاهثا قال: سأعود إلى الحقل لآكل طعامي القذر بدون خوف لأني أفضل ان أكون فقيرا وسعيدا من أن أكون غنيا وتعسا.

13ـ أسطورة من بوروندي:

الصياد والساحرة

بعد أن قضى الصياد يومه في الغابة عاد خاوي الوفاض يحدوه اليأس والألم ومر بقرية مجاورة كانت تحتفل بأحد أعيادها.

حضرت هذه الاحتفال امرأة جميلة يحيط بها بعض الرجال ذوي الشخصية البارزة، شاهد الصياد فتيان القرية وهم يلقون حبات صغيرة مدورة في إناء تحمله هذه المرأة.

استفسر الصياد عن ذلك من الأشخاص الذين كانوا يجاورونه أثناء وقوفه هناك فعلم ان هذه المرأة قد وعدت بزواج أي فتى يستطيع ان يصيب الهدف من مسافة معينة...

قرر الصياد أن يجرب حظه فقد يعوضه ذلك عن يومه الذي قضاه بلا جدوى. كان على الصياد كغيره من المتبارين أن يلقي ثلاث حبات.

الصياد القى الأولى فسقطت في الإناء مباشرة ونجحت رميته الثانية وكذلك الثالثة وعلى ذلك صار الصياد زوجا لهذه المرأة الجميلة.. وهذا ما أثار حقد شباب القرية عليه، عاد الصياد مسرورا بهذه المرأة الجميلة إلى منزله وهو لا يعرف عن هذه المرأة شيئا.. لم يعرف أنها ساحرة.

كان لهذا الصياد ثلاثة كلاب يقومون بحراسته.

وفي منتصف الليل انقلبت العروس إلى كتلة من الأسنان ولم تكن تشعر أن الكلاب ترقبها. وحين استعدت لسفك الدماء وأرادت ان تمضغ لحم الصياد نبح الكلاب الثلاثة نباحا عاليا فاستيقظ الرجل من نومه وكان يتثاءب وسأل زوجته عما جرى.

قالت له زوجته: لابد أن الكلاب أصابها جنون

عاد الصياد للنوم مرة ثانية. حاولت المرأة أن تعيد فعلتها لكن الكلاب نبحت نباحا لإيقاظ الصياد.

أدرك المرأة الصباح ولم تنجح في تنفيذ خطتها.

قالت للصياد في الصباح وهم يتناولون الفطور: أريد أن أصاحبك في صيدك وأنصحك أن تربط كلابك بالسلاسل.

وافق الصياد على ما قالته زوجته فربط كلابه الثلاثة بالسلاسل واصطحبها معه للصيد في غابة منعزلة.

صاحت المرأة بالصياد: ستلاقي حتفك الآن

ثم انقلبت إلى كتلة من الأسنان لتمضغ لحم الصياد وتهشم عظامه.

لما شعر الصياد بالخطر تسلق شجرة قريبة له فأخذت الأسنان تقرض الشجرة لتسقطها.. رتل الصياد تعويذة سحرية فالتقطته أغصان الشجرة المجاورة.

الأسنان تابعت قرض الشجرة تلو الأخرى وتسقطها والصياد يردد تعويذته السحرية وأغصان الأشجار الأخرى تتلقفه.

وفجأة لمح الصياد طائرا يتجه نحو منزله فنادى الطائر وتضرع إليه متوسلا أن يذهب إلى منزله ويفك الكلاب من سلاسلها.

حضرت كلاب الصياد إلى الغابة وتلقت أمرا من صاحبها ان تفتك بهذا المرأة. قضت الكلاب على هذه المرأة الساحرة بعد أن نهشتها وقطعتها إربا إربا.

وهكذا عاد الصياد إلى منزله مع كلابه الثلاثة.

14 ـ أسطورة من مالي:

السلحفاة وإشارة الحرب

يعتبر فرس البحر من أقوى الحيوانات على وجه الأرض. ذهبت ذات يوم سلحفاة إليه وقالت له:

يقال إنك قوي جدا.. ولكن هل تصدق أني أستطيع أن أجذبك خارج الماء.

ضحك فرس البحر ساخرا من السلحفاة وقال لها متهكما: ماذا تقولين؟

هل تمزحين؟

هل تستطيعين جذبي من الماء وأنت صغيرة جدا؟

السلحفاة أكدت لفرس البحر: نعم إنني استطيع أن أفعل ذلك

فقال لها فرس البحر: إنني موافق

السلحفاة حددت لفرس البحر يوما لتختبر قوته

ثم تركته وذهبت إلى الفيل وقالت له:

يقال إنك قوي جدا ولكن هل تصدق إنني أستطيع إدخالك في النهر.

فقال لها الفيل: إنك صغيرة جدا وتتحدثين عن شيء أكبر من حجمك.

أكدت السلحفاة قائلة: ولكنني أيها الفيل الضخم أستطيع أن أفعل ذلك..

فوافق الفيل قائلا: حسنا فلنحاول ذلك.

فحددت له السلحفاة يوما لاختبار قوته.. وكان الموعد نفس اليوم الذي حددته لفرس النهر.

في اليوم المحدد أحضرت السلحفاة حبلاِ قويا. وكانت جميع الحيوانات حاضرة في ذلك اليوم لترى ما سيحدث.

نزلت السلحفاة إلى حافة النهر وأعطت طرفا من الحبل إلى فرس النهر وقالت له: امسك بهذا الطرف لكن لا تجذب الحبل إلا بعد أن أهزه لك.

ذهبت السلحفاة إلى الفيل وأعطت الطرف الآخر من الحبل وقالت له:

امسك بهذا الطرف لكن لا تجذب الحبل إلا بعد أن أهزه لك.

لكن السلحفاة ذهبت إلى شاطئ النهر واختفت وراء شجرة بعد أن هزت الحبل.

بدأ فرس النهر يشد... بدأ الفيل يشد.. كل منهما يحاول جهده أن يخرج الآخر من السباق واستمر هذا من الصباح وحتى المساء.

قال فرس النهر في نفسه: أمن المعقول أن السلحفاة بمثل هذه القوة

قال الفيل في نفسه: أيمكن ان تكون السلحفاة بمثل هذه القوة الجبارة

قال فرس النهر سأقبل الهزيمة ولكني سأخرج من النهر لأتأكد من قوة السلحفاة

قال الفيل سأقبل الهزيمة ولكني سأدخل إلى النهر لأتأكد من قوة السلحفاة.

تقابل فرس النهر والفيل في المياه الضحلة عند حافة النهر..

اكتشفا أنهما يجذبان في مقابل بعضهما.. ولكن الفيل كان قد دخل النهر كما ان فرس النهر كان قد خرج منه.

وهكذا نجحت حيلة السلحفاة بإخراج فرس النهر من النهر وإدخال الفيل للنهر.

15ـ أسطورة من غينيا:

الأمير والذئب

في مدينة صغيرة عاش رجل له ابنة رائعة الجمال.. كلما تقدم لها خاطب لم يجد فيه والدها من يستحقها أن تكون زوجة له.

تقدم النبلاء.. لم يوافق

تقدم الأمراء.. لم يوافق

المتنافسون جاءوا من كل الأصقاع لنيلها.. لم يوافق

أصحاب الثروة والجاه جاءوا محملين بالهدايا.. لم يوافق

لم تكن الفتاة وأمها مسرورتين من موقف الوالد.. والضجر أخيراً وصل إلى الوالد..

أخذ الوالد عهداً بينه وبين الإله (أوبا) أن أول كائن حي يقابله في السوق سيتخذه زوجاً لابنته.

لم يعرف بهذا العهد الذي جرى بينه وبين الإله (أوبا) سوى صديق وفي له.

وكان ابن اخ هذا الصديق واحداً ممن رفضهم والد الفتاة.

علم الشاب بقسم والد الفتاة من عمه. وهذا الشاب كان أميراً صغيراً في السن.

تنكر هذا الأمير في جلد ذئب ثم ذهب إلى السوق باكراً.

كان والدة الفتاة قد خرج كما قرر.. في الصباح الباكر..

هناك في السوق تقابلا.. والد الفتاة.. والأمير المتنكر بجلد الذئب..

صعق الوالد مما رأى. أيزوج ابنته لذئب؟

وتراءى له الإله أوبا وهو يقول له: لقد أقسمت.. الله موجود وهو يعرف

كل شيء.. وإذا حنثت بقسمك فعقوبتك الموت بالعار.

لم يكن أمام الرجل إلا أن يأخذ الذئب إلى ابنته التي وعدها بزوج مثالي.

فزعت الفتاة وأمها من مظهر الذئب الشرس.

على الفتاة أن تختار هذا الذئب زوجاً وإما أن تكون من المنبوذات من أهلها..

قبلت الفتاة الجميلة الذهاب مع الذئب واتخاذه شريكاً لحياتها.

وفي طريقها إلى الغابة خلع الذئب جلده وظهر الأمير الوسيم.. وبدلاً من أن يذهبا إلى الغابة ذهبا إلى قصر الأمير.

16ـ أسطورة من النيجر:

صياد كان ملكاً

في إحدى القرى كان هناك صياد فقير تعيس الحظ.. كلما خرج للصيد عاد خالي الوفاض.. ولشدة تعاسته قرر ذات يوم الانتحار.

ذهب الصياد يستشير أحد الشيوخ في هذا الأمر ويخبره عن السبب الذي جعله يفكر به.

الشيخ نصحه بالذهاب للصيد ليحاول مرة أخرى ويرضى بما يقسمه القدر له مهما يكون ضئيلاً..

في صباح اليوم التالي خرج الصياد مبكراً.. اخترق الغابة ممسكاً ببندقيته وبلطته بعد أن مرت ساعات على وجوده في الغابة رأى أمامه تمساحاً ولذا قرر أن لا يتركه.. تبعه لكن التمساح كان سريعاً فأسرع الصياد وراءه.. إلا أن التمساح هرب في حفرة تحت الأرض.

جلس الصياد عند الحفرة وأخذ ينبش بفأسه حتى يخرج التمساح منها.

وفجأة غاص الصياد في الحفر ولم يدر إلا وهو في مدينة لا يقطنها إلا النساء.. لم يكن فيها رجل واحد.

تحكم هذه المدينة امرأة هي الملكة.

دخل الصياد إلى المدينة وكانت تحتفل بأحد أعيادها.

انتبهت النساء ودهشن لأنهن بحياتهن.. في حياة المدينة كلها لم يروا رجلاً قط.

أدخلن هذا الصياد إلى القصر الملكي حيث أمرت الملكة بإعداد حجرة له في قصرها.

الملكة أحبت الصياد.. وكانت كل يوم يمر يزداد حبها له وقابلها هو نفس الشعور فتزوجها وأصبح الصياد ملكا على المدينة دون أن يدري.

قالت الملكة: كل شيء في هذا القصر هو ملكك وكل ما في المدينة لك ما عدا مكان واحد غير مسموح لك بالدخول فيه..

أشارت الملكة: إلا هذه الحجرة الوحيدة لا يسمح لك بدخولها.

وبينما كان جالساً ذات يوم تملكه حب الاستطلاع فاتجه نحو باب الحجرة وفتحها ودخل فيها وكان أول ما رآه بعد دخوله ان وجد نفسه واقفا في ذات المكان الذي كان يقف فيه لاصطياد التمساح..

رأى بندقيته كانت ملقاة التراب وفأسه قريب من فوهة الحفرة..

لم يعد يرى الملكة والقصر والمدينة والنساء..

عاد فقيرا معدما.. ولم ينفعه الندم.

17- أسطورة إفريقية

كيف جاءت الكلاب؟

منذ عهود سحيقة لم تكن هناك حيوانات مستأنسة، فجميعها كانت ضارية وجميعها كانت عدواً للإنسان.. كانت تخافه ويخافها إلا إذا كانت ضئيلة جداً لا تسبب له أذى. ولم تكن ثَم كلاب كما نعرفها اليوم ولكن الحيوانات التي كانت تجوب الغابة كانت خليطاً من الذئب والضبع وابن آوى ولم تكن هذه المخلوقات على صداقة مع غيرها من الحيوانات فكانت تقتل غيرها من صغار الحيوانات وضعافها التماساً للطعام ثم تجري لتختفي إذا ما ظهرت الحيوانات الكبيرة فإذا جرح حيوان أو ترك ليموت انقضت عليه لتلتهمه.

وفي بعض الأحيان حين كانت تجوب الغابة كانت ترقب الإنسان في استغراب كانت ترى أنه يستمتع بالمأوى والدفء وأنه يسعى للقنص التماساً للطعام وأنه لا يخرج للقنص إلا في جماعات فكانت ترمقه بنظرات الازدراء والحسد. ويحدث أن تأتي أيام مجدبة يعز فيها الطعام وتحاول الكلاب الضارية أن تصطاد أكثر مما كانت تظفر به من قبل.

وفي ذات يوم تركت كلبة صغارها لتبحث عن طعامها. ويحدث ذلك في وقت ارتحلت من وطأة الجدب أسرة كبيرة إلى بقعة جديدة كما يفعل الناس غالباً في إفريقية لسبب أو لأكثر وبينما هم يستظلون من هجير اليوم إذا بغلام صغير يتجول وحده ويقترب الغلام من كن الجراء الصغيرة الرقيقة إذا أثارت تطلع الولد إليها ويمسك بواحد منها ويصمم على الاحتفاظ به ويضعه

في لفافة وينطلق عائداً به.. لقد كان مشوقاً أن يكون له هذا المخلوق ولكنه كان يخشى ألا تسمح له أمه بذلك فكان يخفيه عن أعين الناس لكيلا يعلم أحد عنه شيئاً حتى جاءت ليلة ارتحالهم بعيداً عن هذا المكان. وكان الوالد يقدم للجرو بعضاً من عشائه فتكتشف الأم أخيراً وجود الحيوان فتسأله:

ماذا أنت فاعل بهذا؟ إنه ليس في مقدورك الآن أن تصطاد طعامك بنفسك.

ويقول الغلام:

- إنه ليس للطعام.. إنني أريد الاحتفاظ به.

وتسأل الأم:

من الذي يريد الاحتفاظ بحيوان؟ إنه يصبح لزاماً عليك أن تطعمه.. والطعام عزيز نادر.

ويقول الغلام:

- إنني أعلم ذلك.. إنني سأعطيه بعضاً من طعامي فليس لي إخوة أو أخوات يقاسموني نصيبي.

ولم تجادل الأم ابنها أكثر مما فعلت.. ذلك أنها كانت تحبه فأذنت له بالاحتفاظ بالجرو الذي بدأ يشعر بالسعادة لأنه أصبح يحصل على طعام أكثر مما كان يجد وإلى الاطمئنان أكثر مما كان يحس من قبل.. كان يشارك الصبي طعامه وينام ليله إلى جواره وفي نفس الوقت تفتقد الكلبة وليدها وتغضب لضياعه. لقد كان الإنسان عدوّاً لها وفي استطاعتها أن تشم رائحته من حول الكن.. لقد تأكدت أن وليدها قد اختطف منها والتهم لذلك فقد استقر عزمها على أن تنتقم له فهي لهذا تقتفي أثر السارق.

وتقضي زمناً طويلا في السفر قبل أن تلتقي بالقوم الذين قد استقر بهم

المقام في بقعة جديدة. وتصل إلى قريتهم بعد الظهر في وقت كانوا ينالون قسطهم من الراحة فيأخذها الدهش حين تجد وليدها نائماً تحت شجرة وبين أحضانه طفل. وتوشك أن تهجم على الطفل لولا - لحسن الحظ - أن الجرو كان قد اشتم رائحتها فيسرع بالقفز عليها وتلتقط الأم وليدها في زمجرة رقيقة من عنقه وتجره إلى الغابة وتضعه بجوارها وتقول له لاهثة:

- لقد وجدتك أخيراً.. وأنجيتك يا بني المسكين.

ويقول الجرو:

إنك لم تنجيني لقد كنت ألقى عناية فائقة وكنت أنعم بوقت جميل كنت أعيش كما يعيش الإنسان الذي يعيش أفضل منا.

ولكن الأم تقول له:

- أيها الطفل الغبي المسكين.. ألا تعلم أن الإنسان عدو لنا.

ويقول الجرو:

- لا أصدق ذلك.. لقد كان كل واحد منهم عطوفاً على.

وترد عليه في سخرية:

- كن عاقلا.. إنهم يطعمونك حتى تسمن فيقتلوك ويلتهموك.

ويقول الجرو:

لا أصدق.. كان الطفل يحبني.

وتقول الأم:

- إنك لا تعرف معنى لما تقول.. إنني لست راضية عنك.. تعال معي الآن ولا تذكر تلك الآراء السخيفة مرة أخرى.

ويفتح الجرو فمه لينبح ولكنها تمسكه من عنقه مرة أخرى بطريقة تجعل من العسير عليه أن يصرخ وتهرول به راجعة إلى الكن.

وتمر الأيام ولكن الجرو لا يستشعر السعادة. لقد غاب عنه الطعام وغاب عنه الغلام ولم يعد شيئاً مذكوراً ولكنه أصبح واحداً من تلك الجراء التي ترقد في الكن ولم يعد يحب لنفسه ذلك.

وتمتد الأيام إلى الأسابيع ويكبر الجرو ويشتد ساعده ولكنه لا يستطيع أن ينسى الوقت الجميل الذي قضاه مع الإنسان. ويخرج في إحدى الليالي يشم بأنفه ويقص الأثر بحثاً عن القرية. لقد كان مشوقاً إلى الوصول إليها حتى إنه ليأتيَ من الأعمال ما لا تفعله الحيوانات الضارية وإن كانت تفعله الكلاب الآن.

لم يقف ليأكل أو يشرب أو يستريح حتى يصل في صباح ذات يوم إلى القرية مكدوداً ظمآن جائعاً. لقد كان الغلام الذي افتقد الكلب من قبل يرتع ويلعب وحده خارج الدار. وإذا به يسمع فجأة صرخات تنبعث من القوم فينظر حوله فيرى حيواناً يقفز تجاهه فيتصايحون عليه.

أسرع.. أسرع.. ستقتل.

وما يكاد الحيوان يقترب من الصبي حتى يقفز عليه بدلا من أن يهاجمه وأخذ يلعقه ويهز ذيله في هوس ويصيح الصبي:

- إنه كلبي الصغير.. لقد عاد إليَّ.

ثم يطوق رقبة الكلب بذراعيه ويحتضنه. ويستغرب أهل القرية ذلك.. لقد كانوا يخافون من الجرو بعد أن كبر ولكن الصبي يقدم له الماء والطعام ثم يناما سويّاً ويحتضن كل منهما الآخر.

وتعود الكلبة الأم إلى الغابة بعد أن افتقدت ابنها عازمة على اقتفاء أثره. وفي هذه المرة تأخذ معها بقية الجراء بعد أن كبرت وأصبحت قادرة على السير وتشتم بأنوفها آثار أخيها وتجري في أعقابه. لقد كانت الأم غاضبة قد برحها الشوق إلى استرجاع ابنها حتى إن الأم وأبناءها ظلوا يسيرون دون توقف حتى إذا بلغوا مدخل القرية وجدوا أخاهم يلعب مع الصبي الصغير وكان الصبي يرمي عصا للجرو الذي كان يعيدها إليه ليرميها إليه مرة أخرى وظل الاثنان يستمتعان بلهوهما.

وتصرخ الأم:

- انظروا إلى أخيكم الأحمق المسكين.. انظروا إليه وهو يأتي ألعاباً وحيلا

وتنظر الجراء إلى أخيها ويقول أكبرهم:

- لا أظن أن هذا حمق منه.. إنني أعتقد أنه مزاح.

وتقول الأم:

- لن يصبح مزاحاً إذا ما قتل وأكل.

وفي هذه الأثناء يمر رجل بيده جيفة وأخذ يقطعها إرباً ويلقى بقطع منها للجرو ولكن أخاه الذي كان يرقب ذلك حاسداً يقول:

- انظر... لا يبدو أنه سوف يقتل أو يؤكل.

ولكن الأم تصيح في وجهه:

- لا تكن غبيّاً.. أليس الإنسان عدوّاً لنا؟

- حسنٌ ولكن ليس عدوّاً لأخينا.. كم أتمنى أن أكون معه.

ويزعج الأم قوله.. فتصفع ولدها وتطرحه أرضاً ثم تقول مزمجرة:

- لا تعارض أمك.

وينفلت الجرو في هذه الأثناء بعيداً عن الصبي ويقترب في اتجاه جماعته وما يكاد يراهم حتى يشعر بسرور، ويجري إليهم يشمهم وينبح:

- مرحي بالإخوة.. يجب أن تأتوا لمقابلة أصدقائي.

وتصيح الأم:

- لا تمزح.. إن إخوتك لن يكونوا في مثل غبائك.. عد إلى دارك في الحال.

وينكر الجرو من أمه ذلك لأنه قد كبر بحيث لا ينبغي له أن يتلقى منها أمراً فيقول:

- لن أذهب.. إن الإنسان صديق لي.. لقد أصبحت أعيش حياة أفضل مما كنت أعيش في الغابة سأمكث هنا.

وحين تسمع الأم منه ذلك تثور محتجة في عنف:

- حسنٌ ولكنك لن تجترئ على أن تعود إلينا بعد إذا ما انقلب عليك الإنسان.. تعالوا يا أطفالي.. وهيا نعود.

لم يكن الآخرون براغبين في العودة ولكنهم كانوا يخشون أمهم.. لذلك فقد تبعوها تاركين من خلفهم الجرو.

ويقفز الجرو عائداً إلى صديقه ويواصل اللعب معه من جديد. لقد كان يشعر بحزن على فقد قومه ولكنه كان يحس في الواقع تعلقه بالصبي الذي رباه صغيراً.. لذلك فهو يظل في القرية ويكبر شيئاً فشيئاً ويخرج مع الناس للصيد والصبي يرافقهم، وكان إذا قتل الكلب حيواناً أو طائراً جاء به إلى الصبي لأنه كان يعلم أن له نصيباً منه.

وينمو الجرو فيصير كلباً كبيراً ويخرج يوماً فيلقى كلبة صغيرة متوحشة فيقف متحدثاً إليها ويتسامع في هذا الوقت عدد كبير من الكلاب الضارية

بأخيهم العجيب الذي يعيش مع الإنسان فتسرع الكلبة الصغيرة في استجوابه فينبئها بمعيشته ويقترح عليها أن تزور القرية وتقف بنفسها على ما تشاء وتذهب الكلبة الصغيرة معه إلى القرية خائفة تترقب.. ولكن في جرأة كاملة لقد كانت خجلة وجلة أن تظهر صداقتها بادئ الأمر ولكنها تقاسم الكلب طعامه ولم تلبث أن تجيء إليه كل يوم. وينتهي الأمر عندما تصبح زوجاً للكلب وتلد له جراء صغاراً ويأتي الصبي ليراها.. وعندما تستطيع الجراء أن تمشي تسير في القرية من خلف أبيها متعثرة فتخاف الأم عليها بادئ الأمر وتعيدها من رقبتها إلى مكانها واحدة بعد أخرى ولكنها بعد أن تحررت بعض الشيء تسعى بخطى وئيدة في القرية مرة أخرى وفي النهاية تسمح لها الأم بذلك ثم تأتي لتعيش معهم في القرية.

وتكبر الجراء بدورها وتتوثق صلتها بأصحابها وتخرج معهم للقنص. أما الغرباء عن القرية الذين يقصدونها فكان يأخذهم العجب من هذا الأمر ويبحثون عن الجراء في أكنانها ويجيئون بها إلى القرى.

إن الجراء التي نشأت مع الإنسان بدأت تغير مشاعرها وطباعها.. لقد أصبحت على علاقة من الصداقة مع أصحابها دون غيرهم من سائر الناس، لقد اعتادت صيد الحيوانات الضارية أو مطاردتها إذا ما اقتربت من القرى واستحالت في الواقع إلى ذلك النوع من الكلاب الذي نعرفه اليوم. فإذا ما تاهت أحست بشعور من عدم الرضا حتى تعود إلى أصحابها.

وكلما تقدمت الأيام استحالت هذه الكلاب الأليفة إلى شيء يختلف في مظهره أيضاً، ولم تعد تشبه ابن آوى أو الضبع كما كانت من قبل.

لقد أصبح لكل قرية كلاب خاصة بها ليست في أفريقية وحدها، بل في جميع أنحاء العالم ولكن الكلاب الضارية بقيت كما هي مخلوقات سيئة الطباع لا تحب كثيراً غيرها من الحيوانات ولا يحب بعضها بعضاً.

18 ـ أسطورة نيجيرية:

السماء.. لماذا بعيدة؟

منذ قرون مضت كانت الأعين موجودة في الركب بدلا من مكانها الحالي في الوجه. كانت السماء منخفضة جدا حتى إن اي شخص متوسط الطول يستطيع لمسها.

كان الرجال في ذلك الوقت على صلة مباشرة بالسماء..

كانت السعادة منتشرة في كل مكان..

الرجال المقدسون كانوا يزورون عرش الإله من وقت لآخر.

كان الطعام موجودا بكثرة.. الحياة مليئة بالترف..

الناس بعد أن توفر لهم الطعام بكثرة..

الناس عندما عاشوا حياتهم مرفهين مترفين..

هؤلاء الناس نسوا أنفسهم..

هؤلاء المترفون نسوا تقربهم من الله.. هؤلاء أصابهم الغرور..

الإله ضاق بهم ذرعا..

الإله أنزل من السماء مطرا.. المطر أصاب الناس بالبرص..

أصبح معظم الناس أبراصا.. الناس أحسوا بالضجر.. الناس أحسوا بالضيق..

ومع كل هذا الذي أصابهم كانوا يمدون أياديهم إلى السماء ويمسحونها بها..

لم يصلوا لله.. لم يشكروا الله..

الإله شعر بالضيق من فعلهم.. أخذ السماء وارتفع بها بعيدا عنهم حتى لا تصل أيديهم إليها.

منذ ذلك الوقت والسماء بعيدة عن الأرض.

19- أسطورة من الجابون:

السلحفاة وقدح الحكمة

السلحفاة أحكم الحيوانات جميعا.. لذا قررت أن تجمع كل حكمة موجودة على الأرض.. السلحفاة قررت وضع قدح في إحدى الأشجار لتضع فيها كل حكمة موجودة على الأرض.

السلحفاة اعتقدت أنها جمعت كل حكمة ووضعتها في ذلك القدح..

القدح امتلأ بكل حكمة موجودة على الأرض.

السلحفاة ربطت القدح في عنقها بعد أن امتلأ بكل حكمة موجودة على الأرض. وجدت السلحفاة صعوبة في تسلق الشجرة لأن القدح الذي كان معلقا حول رقبتها ويتدلى على صدرها كان يعوقها عن الصعود..

السلحفاة.. حاولت.. وحاولت.. لكنها أخفقت.

احد الرجال كان يراقبها..

الرجل ناداها: لا شك أنك أحكم الحيوانات.. لكني سأبرهن لك أنت لست حكيمة إن أردت.

قالت: وكيف ستبرهن على ذلك؟

قال: لماذا لا تعلقين القدح على ظهره؟ إنك إن وضعتيه على ظهرك فإنه سوف لن يعيقك عن صعود الشجرة.

قالت السلحفاة: لأجرب ذلك.

جربت السلحفاة هذه الطريقة.. استطاعت أن تتسلق الشجرة بسهولة عندما اعتلت هذه السلحفاة الشجرة توقفت وقالت:

لقد أُصبتُ بخيبة أمل إذ أني لم أجمع كل حكمة على وجه الأرض..
السلحفاة حطمت القدح.. لأنها لم تجمع كل الحكمة الدنيوية فيه.

قالت السلحفاة: إن الرجل أحكم مني..

20ـ أسطورة أفريقية:

الوعد (1)

كانت زوجة أحد الفلاحين عاقرا.. أي امرأة لا تلد هي موضع سخرية في الوسط الفلاحي.. هذه المرأة شعرت بالتعاسة.. ندبت حظها لأنها لم تنجب طفلا.. تلك المرأة الفلاحة كانت متقدمة في السن. قررت أن تذهب إلى الغابة وتتوسل إلى الإله.. قررت أن تقدم للإله القرابين والوعود..

المرأة عاقر.. متقدمة في السن.. قطعت على نفسها عهدا غريبا..

نساء القرية يقدمن قربانا للإله عنزة أو خروفا.. هذه المرأة وعدت الإله ان هي رزقت طفلا تقدمه قربانا له بدلا من العنزة أو الخروف. الإله ناولها بعض الدواء.. المرأة عادت إلى بيتها.. لم تمض فترة طويلة.. حملت وأنجبت.

نساء القرية وفين بنذورهن.. قدمن للإله خروفا أو عنزة.. هذه المرأة رزقت بمولودها كان أبيض البشرة جميلا.. لم تذهب به للإله زارها في منزلها بعد مدة من الزمن وطلب منها أن تبر بوعدها.

صرخت المرأة.. توسلت.. غنت أنشودة تضرعت فيها للإله أن يترك وليدها.. غضب الإله وخرج.

المرأة أخبرت زوجها بالأمر.. زوجها لم يستطع أن يفعل شيئا..

توجب على هذه المرأة أن تقدم وليدها لله.. وهكذا فقدت وليدها الأول.

21ـ أسطورة أخرى:

الوعد (2)

في أساطير اليوروبا النيجيرية أسطورة امرأة وعدت الآلهة بوعد كلفها ولدها الوحيد.

المرأة اسمها موريمي.. كانت جميلة وفضيلة.. ألزمت نفسها بإنقاذ أهل وطنها اليوروبيين من الغارات المدمرة التي شنها عليهم أعداؤهم من (الإيبو) في تاريخهم القديم حينما كانوا في إيلي إيفي وأقسمت لإله مجرى إيسن ميرين بأنها ستقدم أعظم تضحية لو ساعدها على تنفيذ خطتها..

غامرت هذه المرأة بحياتها واستطاعت ان تحطم شعب (الإيبو) وأنهت بذلك غاراتهم التي كانوا يشنونها على شعبها.

موريمي ذهبت إلى مجرى آيسن ميرين لتفي بقسمها للإله.

قدمت موريمي للإله ماعزا..

قدمت للإله.. جديا..

قدمت للإله.. ثورا..

ولكن الإله لم يقبل الماعز.. ولم يقبل الجدي.. ولم يقبل الثور.

أخبرها القساوسة أن التضحية الوحيدة التي يقبلها المجرى هو ابنها الوحيد أولوروجبو.

موريمي اضطرت إلى تقديم ابنها إلى الإله وفاء لقسمها..

موريمي فقدت ولدها الوحيد..

أقاموا لها ذكرى طيبة.

22 ـ أسطورة من الكونغو:

السلحفاة والثعبان

في يوم ما من الأزمنة الماضية تصادقت سلحفاة وثعبان.. عاشا سوياً في نفس المسكن..

السلحفاة والثعبان أكلا سويا من نفس الإناء.. كأنا سعيدين.

الثعبان يدعى (أوجولا).. ذات يوم كان جائعا قال لنفسه:

لماذا أدع السلحفاة تشاركني طعامي؟

أوجولا لف نفسه حول إناء الطعام.. لم يدع السلحفاة (ايميبا) أن تمد يدها للإناء لتناول الطعام معه.

ايميبا كانت جائعة جدا.. نظرت إلى الإناء.. رأته مملوء بأشهى الطعام.. رأت اللحم.. الفاصوليا.. الخضروات.

انتحت جانبا وهي تنظر إلى أوجولا وهو يلتهم الطعام بشراهة. ايميبا السلحفاة سألت اوجولا الثعبان:

لماذا لا تدعني أتناول الطعام معك؟ إني جائعة.. ماذا جرى لك.. ألم نكن نأكل طعامنا سويا؟

أوجولا قال لها: أنا أكبر منك. انظري إني أستطيع أن ألف نفسي حول الإناء.. هذا الطعام لي لوحدي.. إنه يكفيني لوحدي فقط.

السلحفاة إيميبا فكرت بما قاله أوجولا. أنا أكبر منك. انظري إني أستطيع ألف نفسي حول الإناء.. هذا الطعام لي لوحدي.. إنه يكفيني لوحدي فقط.

في اليوم التالي صنعت السلحفاة إيميبا لنفسها ذيلا من الحشائش

وألصقته بذيلها ثم لفته حول آنية الطعام وبدأت في التهام الأكل..

اوجولا لم يجد مكانا له.. رأى الإناء مملوءا بأشهى الطعام.. رأى اللحم.. الفاصوليا.. الخضروات..

اوجولا كان جائعا.. وما يراه في الإناء.. وجبته المفضلة.

أوجولا الثعبان سأل ايميبا السلحفاة:

لماذا لا تدعيني أتناول الطعام معك.. إني جائع.. ماذا جرى لك.. ألم نكن نأكل طعامنا سويا؟

فأجبته إيميبا: بالأمس كنت كبيرا وأنا صغيرة أما اليوم فأنا كبيرة كما ترى.

أوجولا انتحى جانبا وهو ينظر إلى إيميبا وهي تلتهم الطعام.

وهكذا تنتهي الأسطورة في أن السلحفاة التي تعيش على شهرة ذكائها تخترع وسيلة تهزم بها منافسها.

23 ـ أسطورة من انجولا:

لماذا يطارد الثعلب الديك؟

في قديم الزمان كان الثعلب يهرب كلما رأى ديكا لاعتقاده ان عرفه الأحمر من مادة نارية وذلك لتشابه لون عرف الديك بالنار.

عرف الديك كلما لاح الثعلب ولى هاربا

الديك تملكته الدهشة وسأل نفسه:

لماذا يفر الثعلب أمامي عند رؤيتي؟

سأل الديك الثعلب ذات يوم:

لماذا تهرب مني؟ ما أنا إلا حيوان مثلك.

قال الثعلب وهو يرتجف وعيناه محدقتان بعرف الديك:

إني أخاف النار التي فوق رأسك.

فقال الديك: كلا هذه ليست نارا. أأنت مجنون كيف أستطيع ان احمل نارا فوق رأسي وأنا من لحم ودم؟

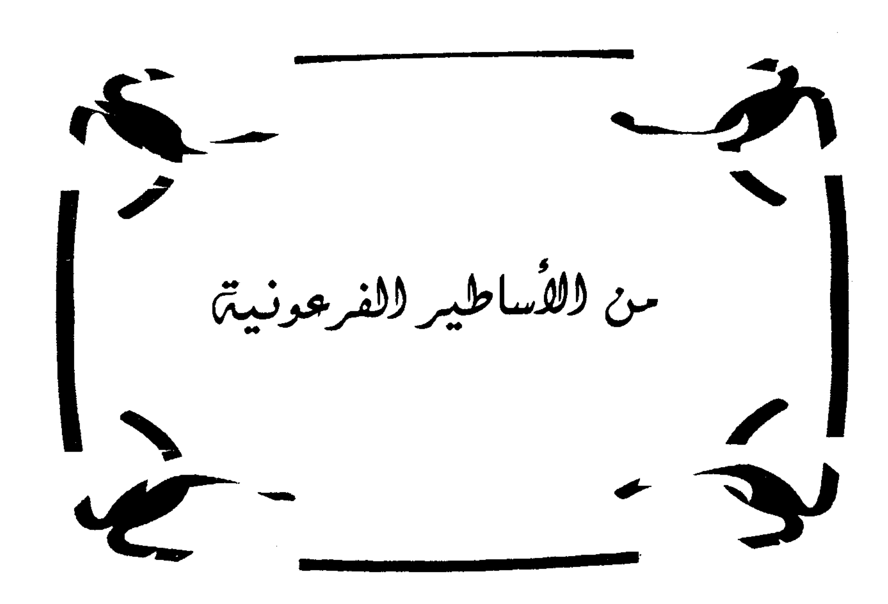
اطمأن الثعلب وقال: حسنا.. الآن عرفت ذلك.

فرد الديك ساخرا: هيا أيها الثعلب المس عرفي هو ليس نارا.. لن يحرقك.

لمس الثعلب عرف الديك آمنا. وجده ناعما.

فكر الثعلب وقال لنفسه: صحيح إن هذا العرف الناعم ليس نارا.. أليس هذا العرف لذيذ الطعم.. عند أكله. حاول الثعلب ذات مرة فوجده كذلك.

ومنذ ذلك الوقت والثعلب يطارد الديك ليصطاد عرفه الأحمر.



من الأساطير الفرعونية

1ـ رع أبو الآلهة

كان (رع إله الشمس) أشهر الآلهة الذين حاول الكهنة في مصر القديمة، أن يقربوا بها إلى أذهان العامة، فكرة الخالق العظيم الواحد الذي هو الأصل في حياة كل شيء. وقد جعلوا لرع من الذرية ثمانية أبناء.. أربعة ذكور وأربع إناث. كل ذكر منهم متزوج بأنثى. فشنو وتغنوث رمز الهواء والنار، وكب ونوت رمز الأرض والسماء. وأوزوريس وإيزيس رمز النيل والترية، وست ونفتيس رمز الصحراء والضوارى.

وتقول العقيدة القديمة إن السماء كانت لا تزال متصلة بالأرض حين تمرد البشر على الآلهة الذين كانوا يعيشون بينهم، وازداد بالبشر الفساد حتى ثار غضب رع وقرر أن ينزل بهم نقمته. وبعد طوفان من الدم، عفا الإله عمن حافظ على عهده من الناس. غير أنه منذ ذلك اليوم امتنع عن مخالطتهم وفصل السماء عن الأرض ليجعل منها مقاما وسكنا، وليشرف من فوقها على كل أبناء البشرية..)

هناك.. في قلب هليوبوليس.. كان يقبع قصر فخم لم تعرف مصر قصرا مثله على الإطلاق، أمام أبوابه تنتصب مسلات شامخة، وصوار ضخمة.. وعلى جوانب ممراته تصطف تماثيل أسود وكباش، ترقب كل زائر غريب، وتنحى كل مارد ثرثار. أما القصر نفسه، فيموج بجموع هائلة من الخدم، كلهم عيون مفتوحة، وآذان مرهفة، في حراسة الإله الأكبر (رع) رب القصر العظيم.

وهنا.. في هذا القصر.. كانت تجري قصة الحياة..

يفتح رع إله الشمس عينيه. فيبزغ الفجر على الوجود وينهض من فراشه ليدلف إلى الحمام يستحم بالماء البارد. وتقبل عليه (أنوبيس) آلهة الندى فتصب عليه أباريقها الأربعة الطاهرة. وينطلق (حورس) فيدلك جسده. وينحني (توت) فيجفف ساقيه. وما يكاد الجميع ينتهون، حتى يرتدي الإله الأكبر ملابسه المتلألئة ذات البريق. وينطلق ومن أمامه الرسل تتسابق لإخلاء الطريق، ومن حوله جنود الموكب ينحنون حتى تلامس جباههم غبار الأرض. ويصل الإله إلى زورقه العلوي الراسي على ضفاف النهر. فيستقله منزلقا به على الأمواه، بلا مجداف، ولا شراع ولا دفة. ويطلع النهار. فيهتف الناس والآلهة على الضفتين:

(تباركت يا رع.. يا خالق السموات والأرض. يا مرسى الجبال وساقي البحار يا رسول الفرح والحرارة والضوء إلى أرض السلام..!)

ومن الشرق، تبدأ دورة كل يوم، لتنتهي بعد ذلك في الغرب، حيث يختفي موكب رع في طيات الأفق. فتظلم الأرض، وتضيء ظلمات العالم السفلى.. إقليم الجحيم الرابض في الأعماق. وهناك، يستمر مسير الإله على صفحة نهر كبير، يخترق واديا يتفرع إلى اثنى عشر فرعا، تفصل كل واحد منها عن الآخر جدران هائلة ذات أبواب ضخام..

وتجري رحلة الليل كما تجري كل يوم. وتمر الساعات هادئة طوالا والإله لا يزال يسير، حتى يلج الباب الذي يصل إلى حدائق (أيالو) حيث يرقد رقدة قصيرة في قصره الكبير، ما أسرع ما ينهض بعدها ليبزغ الفجر، وتبدأ إشراقه يوم جديد!

***

وكان الناس.. كل الناس في هذا العالم الكبير.. يسجدون لرب النور كل صباح.. الرب السخي على كل خلقه في هذه الأرض. فهو لا يني طوال تسياره يصرف كل أنواع الأعمال. يقابل الخلق ويهديهم. ويقضي في شكاوى المظلومين. ويرفق بالمعذبين فيزيل عنهم الأوجاع. ويعلم الناس تعاويذ الوقاية من خطر الثعابين والحيات. ويمنحهم الطلاسم التي تطرد كل شرير من الأرواح. ولم يبخل رع على الناس أبدا بما يحمل من تعاويذ وطلاسم، حتى لم يبق له منها سوى سر اسمه الإلهي، الذي أطلقه عليه والداه يوم ولد، ولم يبوحا به لأحد سواه. هذا الاسم كان هو وحده سر القوة التي يحكم بها رع عالمه الكبير. وكان يعرف أن من يصل إلى معرفة سر اسمه القدسي، بشرا كان أو إلها، فإنه يستطيع السيطرة على كل شيء في الأرض وفي السماء..!

والحق أن أحدا من الآلهة والبشر لم يكن ليطمع في ذلك السلطان والجبروت سوى إيزيس. فقد طالما أبصرت مظاهر القوة التي يتمتع بها أبو الآلهة. وتلك القدرة التي يطوى سلطانها كل شيء. وما أكثر ما تمنت إيزيس في أعماق نفسها أن تعرف سر ذلك الاسم القدسي الغامض الذي يخفيه اله الشمس. حتى تملك بفعله السحري كل الأرض وكل السماء، وتصبح به من بعد كبيرة الآلهة..!

منذ ذلك الوقت امتلأت رأس إيزيس بفكرة الوصول إلى سر اسم الإله الخالد. فراحت تتابع رع في غدوة ورواحه، ترقب وتسعى، حتى إذا ما أحست أن الآله قد بدأ ينوء تحت عبء السنين، وتقوست قامته بدبيب الشيخوخة، ولم يعد يستطيع أن يضم فكيه، أو يقفل فمه، أو يمنع اللعاب القدسي من أن يسيل على الأرض.. هنا فقط أحست أنها تستطيع أن تتغلب عليه، لو هي استعملت مكر النساء..!

والحق، أن إيزيس كانت أشد مكرا من ملايين من الرجال، وأقدر حيلة من ملايين الأرواح. ومن خلال ذلك المكر وتلك الحيلة، عثرت إيزيس على الوسيلة التي تستخلص بها سر الاسم الإلهي الذي يخفيه رع... من بين شفتيه هو نفسه...

لقد كانت تعلم أن التعاويذ والرقى لا تنجح في شفاء أمراض الآلهة والبشر سواء، إلا إذا اختلطت في التلاوة باسم المصاب نفسه.. اسمه الحقيقي.. الاسم المسلط على الشيطان الموجع الذي يسبب الأوجاع. فهي إذا استطاعت أن تصيب الإلة الأكبر بمرض خبيث، أو أذى مستعص، فلن يستطيع أحد، بشرا كان أو إلها، أن يشفيه. أما هي، فلن يكون أمامها سوى أن تتقدم إليه، وتقنعه بأن برأه في مقدورها هي وحدها، على أن تخلط فى التلاوة اسمه الحقيقي بالتعاويذ. وهنا فقط.. سيجد الإله نفسه بين أمرين، إما أن يتحمل الألم الفظيع الموجع، وإما أن يكشف لها سر اسمه القدسي.. وهو كل ما تبغيه.!

شيء واحد كان يقف عقبة في سبيل التنفيذ.. هو كيف تستطيع أن تسبب له الأذى، وما من أحد يملك قط أن يؤذيه، بغير أن يستعمل سر الاسم في تعويذة الشيطان..؟!

ولكن المكر النسوي لم يعجز عن بلوغ سبيل آخر.. فقد كانت تعرف أن اللعاب المقدس المتساقط من فم رع يستطيع أن يمنع قوة السحر القدسية لأي شيء يختلط به...

وهذا هو ما يجب أن تهتم به..!

وانطلقت إيزيس تتبع رع أينما ذهب وسار، حتى إذا ما شهدت بعض

اللعاب يسيل من بين فكيه على تراب الأرض، أسرعت فأخذت حفنة من التراب مزجتها باللعاب المقدس، وعجنتها بيديها اللبقتين في شكل حية.. تشبه تمام الشبه تلك الحية التي تتوج رءوس الآلهة والفراعين. وفي غبار الطريق الذي يمر به رع خلال رحلة كل يوم، دفنت إيزيس حيتها، بعد أن نفخت فيها الحياة بتعاويذ سحرية تحيي الجماد!..

وجاء الصباح... وانطلق رب الشمس يستأنف رحلة النور الخالدة. وبينما هو في طريقه إذ مر حيث ترقد الحية المسحورة. وفي لحظة، كانت قد أنشبت في عقبه أنيابها، وأفرغت من السم نارا زعق لها الإله زعقة ارتجت لها جنبات الكون، واضطربت العربة في يده واختلت، فأسرع عائدا يجري ويصرخ، حتى استقر في (أيالر) فتمدد على الأرض والدموع تنهمر من عينيه في أسى مجنون..

ودوت من السماء أصوات الآلهة وهي تنطلق مسرعة إلى حيث رقد رع. ولكن الإله الأكبر كان يرتعش، وينتفض، ولم يستطع كلاما قط، على حين أن السم الهاري يتسرب إلى كل عضو فيه، ويسرى في عروقه كالنيل عندما يدفع أمواهه إلى الأراضي العطشى أثناء الفيضان.

ومرت الساعات طويلة رهيبة قبل أن ينتبه الإله إلى ما حوله. وعندما فتح عينيه دعا إليه من أحاط به من الآلهة، وشرع يشرح لهم ما جرى في صوت إليم موجوع:

- انصتوا يا من خلقتكم قدرتي. لقد وخزني شيء آذاني وأوجعني بما لا حد له. ذلك الشيء لم أصنعه ولم أخلقه ولم تصغه يدي كما صاغت المخلوقات كلها فما سره؟ ومن الذي استطاع أن يؤذيني؟ إن أحدا لا يعلم

سر اسمي الذي منحه لي أبواي وظل مودعا خبيئا في صدري؟ ولا أحد يستطيع أن يؤثر في جسدي بسحر أو تعاويذ إلا إذا عرف سر الاسم؟ فكيف أصبت بهذا الأذى على الإطلاق؟ كيف.. كيف..!؟

ولم يعرف الآلهة كيف يجيبون. وطال بهم السكوت حتى عاد رع يهتف بهم في صوت مخنوق:

- ليمثل أمامي كل أبناء الآلهة الخبيرون بالتعاويذ الشافية والطلاسم الواقية، ليقرءوا التعاويذ القادرة على طرد الأذى الذي لحق بجسدي وأوجعني أشد الوجع وآلمني أبغض الإيلام..!

وأقبل عليه الآلهة يبكون ويولولون. وبكل ما استطاعوا من قدرة راحوا يجربون تعاويذهم لتسكين آلام الآله. غير أن القدرة التي منحوها لم تكن تستطيع أن تدحر لدغة الثعبان الذي عجن جسده واختلط بالمادة المقدسة من لعاب الإله..!

وصرخ رع يطلب إيزيس ربة السحر، التي تحمل ترياق الحياة، وتطرد كلماتها الآلام، وتوقظ همساتها الموتى..!

ووقفت إيزيس تسأل رع:

ما هذا الذي أصابك يا أبا الآلهة؟ أي مخلوق وخزك؟ وأي فرد من أبنائك انقض عليك؟

أجاب رع:

- لست أدري يا بنتي بأي قدرة استطاع من وخزني أن يسبب لي الوجع والإيلام.. فجربي تعاويذك وانشري سحرك واخنقي الألم الذي يكاد يقضي عليَّ..

قالت إيزيس:

- لا عليك يا أبا الآلهة، سأجرب تعاويذي وأدحر خصمك الملعون.. سأجبره على الخضوع والاستسلام أمام قدرة تعاويذي وكلماتي..!

وانفض موكب الآلهة. وتركوا إيزيس ربة السحر تحاول دحر أوجاع الإله..

***

خاطبت إيزيس رع في صوت خفيض رقيق:

إن سحري سيطرد السم الزعاف. ويطرد عنك كل ما أصابك من أوجاع. فهيا يا أبا الآلهة، بح لي بسر اسمك الإلهي، اسمك القدسي الغامض، تمنح تعاويذي القوة فترد عنك عدوك، وتزيل عنك الغمة.

وانتفض رع. فما خطر بباله قط أن سيأتي يوم يضطر فيه إلى البوح بسر اسمه القدسي. وداخله الريب في إيزيس، واستشف من خلال كلماتها مكيدة تدبر له. وراح الآله يماطل ابنته، ويسرد متلطفا لها كل الألقاب التي يُعرف بها في السموات والأرض:

- أنت تعرف أن اسمي (خبرى) في الصباح (ورع) في الظهر، (وتومو) في المساء. وتعرفين أن لي أسماء أخرى كثيرة، وأشكالا أخرى متعددة. فأنا خالق السماء وخالق الأرض.. أنا شمس الصيف وشمس الظهيرة.. أنا النور والظلام، ومرسى الجبال والبحار أنا من يتولد الضياء من فتح عيني، ومن غمضهما يتولد الليل. أنا كل هؤلاء يا إيزيس، فانطقي بتعاويذك وأبعدي عن جسدي ما لا أطيق.

وابتسمت إيزيس وفي رأسها منه سخريات كبار. وراحت ربة السحر تتلو التعاويذ واحدة تلو أخرى، وفي كل مرة تتخذ واحدا من أسماء الآلهة، فما صنعت كلها شيئاً بآلامه، وما أحس هو لها من برء على الإطلاق.

واستمرت إيزيس تطيل في التلاوة، والوقت يجري ويمر، والآلام تسري وتزداد مع تسلل السم المختلط باللعاب القدسي في كل عضو من أعضاء رع..

وعادت إيزيس تتحدث من جديد:

- أبدا لن يستطيع اسم واحد من كل تلك الأسماء أن يشفيك. إن اسمك السري الغامض هو وحده الذي يملك القدرة على منح تعاويذي بما يشفيك. فهيا يا أبا الآلهة، بح لي بسرك أشفيك على الفور.. فأنت أنت من تعلم أن السحر لا يملك شيئا إذا لم يختلط بالاسم الحقيقي لاي مصاب.. ولو كان اسمك القدسي أنت..!

وضغط الإله على فكيه، على حين أن السم يزداد وينتشر في جسده، النار اللافحة تحرقه، والبرد المثلج يفريه، وهو بين النار والجليد ينهار ولا يستطيع أن يفعل شيئا قط..

وفجأة صرخ الإله.. فقد انتصرت عليه الأوجاع، وفكت من لسانه القدسي عقدته.. ومن خلال الصرخة الهائلة لفظ رع بتلك العبارة المؤدية إلى كشف السر:

لينتقل اسمي الحقيق من جسدي إلى جسدك يا إيزيس.. افتحي مغاليق صدري أيتها الابنة ينتقل سري القدسي من أحشائي إلى أحشائك.!!

وفتحت إيزيس صدر الإله.. وانتزعت من حناياه الاسم السحري. وقرنت ربة السحر تعويذتها باسم الإله، فاندحر الأذى، وتوقف السم، وانتهى الألم الملعون..!

وهنا فقط.. نجحت إيزيس. منذ ذلك اليوم صارت تقبض على سر السلطان والقدرة، السر الذي يجعلها كبيرة الآلهة، وربة الربات، وصاحبة

السيطرة، والنفوذ على أبى الآلهة نفسه.. رع العظيم..!!

***

مع زوال القوة، ودبيب الشيخوخة، نزل الهوان برع، بدا الإله غير الإله، ووضح العجز بدل المجد، والانهيار بدل الصعود..

وأطل البشر من حولهم، فإذا إلههم هرم عاجز، شقى ساخط، لا يستطيع أن يفعل شيئا على الإطلاق..

وهنا.. بدأ الانقلاب..

وبعد أن كان البشر يسجدون ويصلون للإله العظيم.. راحوا يسخرون ويضجون ويتغامزون.. ويهاجم بعضهم بعضا من أجل الهزؤ بأبي الآلهة.. ويقولون:

- انظروا.. لقد شاخ رع.. شاخ الذي عظامه من فضة، ولحمه من ذهب، وشعره من لازورد..!

واضطرب رع، واستشعر المهانة والخزي، وملأه غضب صاخب على كل مخلوقاته فوق ظهر الأرض.

وهتف رب الشمس في الآلهة الذين يحيطون بموكبه كل يوم!

- ائتوني بابنتي سخمت.. وادعوا إلى آباء الآلهة والأمهات والأبناء. نادوا (نو) جدنا الأعظم الذي يسكن وسط السماء. ليأتي الجميع إلى قصري سرا، بغير ضجة تنبه الناس أو ترشدهم إلى الاجتماع الإلهي..!

ومن كل أركان الكون. حضر الآلهة. وانطلقت الجموع القدسية إلى القصر الكبير يعقدون مؤتمرهم العائلي. وكما كانوا يفعلون من قبل، ضرب الآلهة حلقتهم حول عرش رع، وعفروا جباههم بالتراب أمامه. وعندما انتهت

مراسم اللقاء، تحدث رع، وسكت الجميع:

- أيها الآلهة، أجدادي وأبنائي.. ها أنتم ترون البشر، مخلوقاتي التي أخرجتها من فمي عندما لم تكن ثمة سماء ولا أرض، يتهامسون عليَّ ويأتمرون بي. لقد أصبحوا يتعمدون احتقاري ويسخرون بهيبتي ونفوذي. فما الذي أنتم بهم فاعلون؟

وتكلم (نو) الجد الأعظم لكل الآلهة.. ذلك الذي يسكن وسط السماء:

- وما الذي تراه أيها الإله..؟!

وأجاب رع:

- أيها الجد العظيم.. يا من منحتني سر الوجود.. إنما أنت الذي يشير عليَّ بما أفعل مع العبيد المارقين..

ومن جديد تكلم نو:

- يا ولدي رع. يا إلها أكبر من الإله الذي صنعك. احكم بالعدل. وأقم الدعوى على المذنبين حتى يبين المارق فيعاقب، ويظهر المذنب فيدان.

ولم يقتنع رع:

- إذا نحن انتظرنا حتى نقيم العدل. استشعر المارقون بالخوف وعرفوا المصير الذي سيأخذ بالمذنبين. في ذلك الوقت سيعمدون إلى الصحارى والقفار يختبئون فيها.. ولا يعود لنا إليهم من سبيل..!

وتشاور الآلهة، ثم أحنوا جباههم وهم يقولون مجتمعين:

- ليعاقب البشر دون محاكمة.. ولتكن عينك الإلهية.. ابنتك العزيزة (سخمت) هي الجلاد.!

وهكذا كان...

وانقضت (سخمت) لبؤة ممفيس، وأشد الربات وطأة وشراسة وحبا للدماء.. انقضت تلاحق البشر في كل مكان، تثخنهم طعنا بالخناجر والأنياب، وتضرب هنا وهناك.. تذبح وتقتل، تعب الدم عبا، انتقاما لأبيها المقدس ممن كانوا به يسخرون.

ومن كل أركان الأرض الملتاثة، علت صرخات البشر ذليلة خانعة. تطلب الغفران. ومن عليائه أطل رع، فإذا مصر كلها أنهار من دماء، وطوابير طويلة من أجساد الأشقياء. وأغمض الإله الرحيم عينيه، فما تصور قط أن (سخمت) تفعل كل هذه الأفاعيل بأفراد شعبه الذين خلقتهم يداه.

وانفثأ غضب رع، وأخذت به شفقة غامرة رحيمة. وصاح في ابنته:

- كفى يا ابنتي.. إنما أردنا معاقبتهم لا إبادتهم.!

ولكن لبؤة ممفيس التي أسكرتها خمر الدم، أبت أن تذعن لأبيها، وصاحت فيه:

- بحق حياتك يا رع.. إن قلبي لمغتبط بالفتك والتقتيل.. فدعني أنزل بالبشر كل ما يستحقون من عقاب.

ولكن الفتك والتقتيل كان بشعا مخيفا. ولم يك بد من أن يسرع رع بإنهاء رحلة النهار، فهبط الليل، وسادت الظلمة، وتوقفت شاربة الدماء عن الطواف المجتاح على أمل أن تستأنفه في الصباح.

وأطل رع حزينا إلى شعبه المسكين.. أبدا ما كان يريد لأبنائه من البشر تلك المجزرة الهائلة التي أنزلتها بهم الربة المتعطشة للدماء. ولابد مع الصبح الجديد من وضع حد لعذابات أهل الأرض.

وهتف رع فيمن حوله من أرباب السماء أن يأتوه سراعا برسل حاذقين

أسرع جريا من الهواء. وعندما أتوا أمرهم بالذهاب إلى جزيرة (فيلة) وإحضار كمية هائلة من ثمار الزمان، وثمار أخرى تجلب النوم.

وما هي إلا لحظات.. حتى كانت الثمار قد وصلت.. وكان الإله قد استدعى طحان هليوبوليس وأمره بعصر الثمار ومزجها بمسحوق حب الشعير الذي أعدته الخادمات ليصنعن منه الجعة. وعندما امتزجت كل تلك الأشياء، نتج عنها مزيج مسكر بلون كلون الدم البشري، يملأ ستة آلاف مكيال، وأمر رع بنقل المكاييل إلى كل أنحاء الأرض. وصب الرسل السائل الأحمر في كل مكان.. فامتلأت به الشقوق والحقول والأنهار.

وجاء الصباح. ونهضت (سخمت) تستأنف دورة التقتيل وعب الدماء. وأطلت الربة أمامها فإذا طوفان شامل من الدم البشري يغريها ويدعوها لري الظمأ. وراحت ربة التقتيل تعب من السائل المسكر المخدر وهي تظنه دما بشريا صرفا حتى ارتوت. وظلت تشرب وتشرب حتى هدأت سورتها، ولان قلبها، وانطلقت سكرى مخدرة لا تفكر في متابعة التذبيح والتقتيل.. واستلقت في راحة لتضع حدا للمجزرة المجنونة الهائلة.

***

واستمرت الأيام تمضي، وفي أعقابها السنون، والشيخوخة تنخر بدبيبها الثقيل في جسد رع، حتى يأتي زمن جديد يعود البشر فيه إلى التهامس عليه، والسخرية به..

ويعود إلى الإله حزنه. غير أنه في هذه المرة لا يفكر قط في تعذيب البشر.. بل تملؤه الرغبة في التنحي عن الملك، والخلود إلى الراحة والهدوء.

ويعلنها رع مدوية في مجمع الآلهة:

لم أعد أطيق البشر بعد.. ولن يكون أمامي إذا استمر بقائي بينهم إلا أن أبيدهم عن آخرهم..!

وهتف الآلهة في دهشة:

لا تتحدث عن المتاعب يا إله.. وابق حيث أنت.. فالبشر لا زالوا في حاجة إليك.

وأجاب رع:

- لقد وهنت أعضائي، ودب في جسدي العلل.. ولن أبقى حتى تهون شيخوختي أكثر مما هانت. لهذا فسأرحل إلى حيث لا يبلغ إليَّ بشر قط..!

ونادى رع ولديه شو.. إله الجو، ونوت.. إلهة السماء..

يا ولدي شو.. أنا تارك لك مقاليد الملك، فأكمل مشيئتي وتول أنت الأمر. وأنت يا بنتي نوت.. احملي أباك على ظهرك ودعيه معلقا فوق الأرض.

وحاولت نوت أن تعترض. غير أنها أذعنت للأمر فتحولت إلى بقرة، وحملت أباها رع فوق ظهرها الكبير..

وطلع الصباح التالي على الناس، فإذا رع العظيم قد غادر مقره. وأطل الناس أمامهم، والى ما فوق رءوسهم، فإذا بقرة إلهية هائلة قائمة ومن فوق ظهرها الإله الغاضب من جديد على أهل الأرض.!

وسجد الناس، وراحوا يتوسلون إلى الإله العظيم أن يبقى بينهم. وإذ وجدوا من العبث إقناعه.. قرروا أن يظهروا له برهانا على توبتهم.. فأقسموا له أن لن يكون الغد حتى يقتلوا أمام عينيه كل الذين تهامسوا عليه وائتمروا به..!

ورضى رع.. ونزل من فوق ظهر ابنته.. وعاد إلى قصره الكبير.

وطلع الصباح التالي على الناس، وقد خرجوا حاملين أقواسهم وسهامهم

يرمون بها خصوم الإله. ولم تستمر المذبحة طويلا.. فقد ارتفع صوت رع يخاطب الناس من جديد:

مغفورة لكم خطاياكم يا أبنائي.. فأنتم إذ ضحيتم بالمذنبين فإنما كفَّرتم عن ذنوب سواهم من الناس..!

واكتفى الناس بما ضحوا من مذنبين.. غير أنهم اتفقوا على التضحية بعد ذلك بكل من يهين الإله.. حتى يتقوا غضبه، ويكفروا عن أهانته، ويتقربوا إليه..!

ومع كل ذلك فقد كان رع رحيما بأبنائه من البشر.. فلم يحتمل قلبه أن يضحي البشر بعضهم ببعض تكفيرا عن ذنوب المذنبين.. فقرر أن يهديهم إلى استبدال الإنسان المذنب بالثيران والعصافير في القربان.. على أن يتلو الكاهن الذي يتولى تقديم القربان تعاويذ خاصة تحل الحيوانات محل المذنبين.

وهكذا أبرم الإله رع تحالفه مع من بقى حيا من البشر.. ثم اعتلى ظهر البقرة الإلهية ابنته العزيزة نوت.. فارتفعت به وتقوست حتى أصبحت كالقبة.

غير أن نوت لم تستطع أن تصمد طويلا. وكادت تنهار تحت ثقل رع فخارت قواها، ووهنت قوائمها، ولم تجد بدا من طلب يد العون. عندئذ قال رع:

يا ولدي شو.. ضع نفسك تحت ابنتي نوت، وآزرها على حملي. اجعلها تستند على ذراعيك القويتين من الجانبين. واحفظها فوق رأسك العظيم.

وأطاع شو.. وسلمت نوت من السقوط. وامتد بطنها كقبة زرقاء صارت هي نفسها فيما بعد السماء التي تغطي الكون. وراح رع ينثر على صفحتها النجوم لتنير الليل. وانصرف من بعد إلى تنظيم العالم الجديد الذي اكتشفه من فوق ظهر البقرة المترامية الأطراف..

واستمرت الحياة تسير..!

2ـ الخنزير الأسود

إنني أعلم لماذا أطلق اسم حورس على مدينة بي؛ وسأقص عليكم نبأها... كان العداء والكراهية مستحكمين بين حورس اله الخصب؛ وست إله الشر الذي ذبح أباه أوزيريس وشرد أمه إيزيس، وكان بينهما عراك وصراع، وكلما تقدم القتال ازداد شدة وعنفا؛ ولم ينحز النصر إلى جانب من الجانبين؛ رغم أن الآلهة كانوا يؤيدون حورس.

وكان ست شديد المكر والدهاء، يحاول التغلب على خصمه بالمكر والخديعة، لا بالشجاعة والمهارة في القتال؛ وكانت لديه القدرة على التشكل بأي شكل يريده؛ فلا يستطيع معرفته إنسان ولا إله؛ هذه قدرة ست.. أما قدرة حورس فكانت من نوع آخر لأن الحق والعدل ينتميان لحورس، أما الغش والخديعة فلا يمتان إليه بصلة أو سبب؛ وكان من خصائص حورس أن من نظر في عينيه الزرقاوين الصافيتين، يرى المستقبل منعكسا على حدقتيهما . ولذلك كان البشر والآلهة على السواء، يتجهون إلى حورس حينما يريدون علم المستقبل المغيب.

وقد وصل إلى علم ست أن رع سيتشاور مع حورس وهذه ـ فيما يعتقد فرصته المواتية ليصيب مقتلا من حورس، ولذلك تشكل في صورة خنزير أسود، فكان منظره رهيبا حقا، وقد كشر عن أنيابه الطويلة الحادة واكتسى بلون السحاب المرعد، كانت نظرته متوحشة خبيثة تلقى الرعب في قلوب الناس.

وأقبل رع ذو الجلال على حفيده حورس وتحدث إليه قائلا (دعني أنظر في عينيك الصافيتين لأرى ما سيجيء به المستقبل) وحدق في عيني حورس وكان لونهما كلون المياه الخضراء المنبسطة عندما تنعكس عليها سماء

الصيف الصافية؛ وبينما هو ينظر في عيني حورس إذا بالخنزير الأسود يمر.

ولم يعرف رع أن ذلك الخنزير الأسود؛ لم يكن إلا ذلك الإله الشرير فصاح في حورس (انظر إلى ذلك الخنزير الأسود.. إنني لم أر خنزيرا بهذه الضخامة، أو بهذه الوحشية) ونظر حورس ولكنه لم يعرف ست بهذه الصورة الغريبة، وظن أنه خنزير بري من الخنازير التي تقطن غابات الشمال، وهكذا ظل بلا حرس ولا حماية من عدوه الغادر...!

وعندئذ وجه ست قذفة من النار إلى عين حورس، فصرخ حورس من شدة الألم الذي أحدثته النيران؛ فصاح غاضبا (إنه ست.. وقد قذفني في عيني بالنيران) ولكن ست سرعان ما اختفى؛ ولم ير الخنزير الأسود مرة أخرى.

وحلت لعنة رع بالخنزير بسبب ست فقال: (ليكن الخنزير قرباناً لحورس)؛ وإلى يومنا هذا يضحى الناس بالخنزير إذا كان القمر بدرا؛ لأن ست عدو حورس وقاتل أوزيريس اتخذ صورته ليصيب الإله ذا العيون الزرق ولهذا السبب يعتبر رعاة الخنازير في مصر منبوذين ملوثين؛ محرما عليهم دخول المعابد وتقديم القرابين للآلهة، ولا يتزوج أبناؤهم أو بناتهم من أبناء الشعب الأطهار.

ولما شفيت عينا حورس، منحه رع مدينة بي؛ وجعل له أخوين مقدسين في مدينة بي، وأخوين مقدسين في مدينة نخن؛ حتى يكون له قضاة على الدوام، وعند ذلك طابت نفس حورس وعاوده فرحه القديم وعندما فرح حورس اخضرت الأرض؛ وأخرجت طيباتها؛ وانقشعت السحب الداكنة؛ وطابت الحياة..

3ـ الملك خوفو والسحرة

(كان للسحر في مصر القديمة أثر كبير في حياة الناس.. حتى لقد كانت أعمال السحر تستهوى الملوك والأمراء فيتخذون منها مجالا للهو والتسلية.

غير أن أصحاب عبادة الشمس الذين جاءوا بعد أسرة خوفو وأرادوا السيطرة على العرش، كانوا يعتبرون السحر لونا من ألوان الكفر... فلما أرادوا السيطرة على عرش مصر، راحوا ينسبون إلى خوفو وأسرته الإلحاد والميل إلى السحر والسحرة.. وراحوا يطعنون في عقيدة أسلافه وأبنائه، ويمهدون لظهور دينهم من خلال هذه الأسطورة التي وضعوها ليؤكدوا بها حق ملوكهم في العرش، عن طريق تأليههم ونسبتهم لرع... رب الشمس العظيم..)

أحس بضيق من كل شيء حوله، وهفا إلى بضع لحظات من المرح تسليه وتخفف عنه بعض ما يحمل فوق صدره. فأرسل خوفو إلى أبنائه الثلاثة يستدعيهم ليقصوا عليه بعض ما درسوه من أنباء سحرة طيبة، ويسردوا على سمعه بعض ما عرفوه من خفيف المُلح وطريف الفكاهات.

ونهض خفرع (أكبر أبناء فرعون) وبدأ يروي لأبيه قصته:

هذه القصة وقعت أحداثها في منف، خلال أيام ملكها الفرعون نبكا. وكان من عادة الملك كلما جاء إلى معبد الإله بتاح بمدينة منف، أن يزور الكاهن الساحر (أوباد) يسمران ويتبادلان الحديث حتى يحين وقت العودة .

وذات يوم، بينما الملك وحاشيته في زيارة الكاهن، إذ وقع بصر امرأته على فتى من الحاشية جميل رقيق. واقتربت المرأة منه، وراحت في غفلة

من الجميع تناجيه، وتطلب منه أن يعود متى انتصف الليل، يقضيان معا بعض ساعات العمر.

وكانت امرأة الكاهن جميلة رائعة، فما استطاع الفتى رفضا لعرضها الشيق، وما كان أسرعه، عندما انتصف الليل، في الانطلاق إلى حيث حددت له مكان الانتظار، وأخذت المرأة بيده، وسارت به إلى حيث كوخ جميل في بستان القصر، قضيا فيه بعض الوقت، ثم اتفقا على اللقاء نهار كل يوم في المكان ذاته، على حين يكون الكاهن قائما على شؤون معبده لا يستطيع أن يبرحه.

وكما حدث في ذلك اليوم، حدث مثله في كل يوم جاء بعد ذلك.. فما يكاد النهار يجيء، وينطلق الكاهن إلى المعبد، حتى يكون الفتى في الكوخ حيث تكون امرأة الكاهن في انتظاره، فيضمها إلى صدره، ويحيطها بذراعيه، ويبثها كل فاجر وخسيس من ألوان الغرام، وتستمر بكل منهما النشوة المجنونة حتى تغيب الشمس.. وعندئذ يقصد الفتى إلى بحيرة في البستان يغتسل فيها ثم ينصرف من بعد، لتعود نفس القصة مع مطلع اليوم الجديد!

وانتبه حارس البستان إلى ما يقع في بيت سيده كل يوم. ومضت أيام كان يخشى خولها أن يكشف له الأمر. غير أن تلك الخشية كان لابد أن تزول مع كثرة ما كان يمر من أيام. فانطلق الحارس إلى سيده يقص عليه كل القصة، ويطلب منه أن يعفيه من العمل الذي كرهه وأبغضه.

وثار غضب الكاهن لخيانة امرأته، وعمر قلبه حقدا وغيظا، وامتلأت به رغبة غامرة في الانتقام.

وفتح الكاهن صندوقا من الأبنوس أخرج منه كتاب التعاويذ. وإذ قرأ فيه قليلا أغلقه، ثم أخذ قطعة من الشمع، جعل منها دمية في شكل تمساح

صغير لا يزيد طوله عن سبعة أصابع.. وراح يتلو عليه من تعاويذ السحر ما يغريه بكل من ينزل إلى البحيرة، ليجذبه حتى القاع.

وسلم الكاهن الدمية إلى البستاني وقال له:

خذ هذا التمساح، واقذف به في البحيرة متى نزل الشاب ليغتسل في الماء.

وكان الغد. وجاء الفتى يختلي بامرأة الكاهن في بستان القصر، تماما كما كان يحدث كل يوم، وراح العاشقان يصخبان ويضحكان ويشربان الخمر حتى إذا غابت الشمس نهض الفتى إلى البحيرة يغتسل.. وما كاد يقفز في الماء حتى تبعه البستاني فجأة بتمساح الشمع.

وفي لحظة.. تحول التمساح الصغير إلى تمساح هائل طوله سبعة أذرع، هاجم الفتى وقضم ساقه، ثم جذبه في قوة معه إلى قاع الماء!

***

في ذلك الوقت كان الكاهن (أوباو) قد ذهب إلى قصر فرعون ليقضي بعض شؤون دينه. واستمر عمله في المدينة أياما سبعة، لم يكد ينتهي منها ويعود إلى منف، حتى تبعه الملك ليزور معبد بتاح.

وقال الكاهن لفرعون:

ألم تر إلى المعجزة التي وقعت في عهدك؟

قال الملك:

- فما هي؟

قال أوباو:

تعال معي تر بنفسك وتسمع بأذنيك..!

وانطلق الملك مع الكاهن حتى بلغا ضفاف البحيرة. ونادى الكاهن على التمساح، فخرج من الماء يجر الفتى بأسنانه، ثم ألقى بجثته أمام الملك.

قال فرعون:

- إن التمساح لرهيب!

وهنا انحنى أوباو، وأخذ التمساح بين يديه، فإذا به يعود سيرته الأولى.. دمية من الشمع لا يزيد طولها على أصابع سبعة.. ثم راح الكاهن يقص على فرعون ما كان من أمر الفتى والزوجة الخائنة.

وهز الملك رأسه الذي امتلأ رضا.. ثم قال لدمية الشمع:

- أيها التمساح.. خذ ما لك!

فانتفضت الدمية لتصير تمساحا هائلا من جديد، أمسك بجثة الفتى الخائن، وقفز بها إلى الماء.. ولم يره أحد بعد ذلك قط.

وانتهت قصة خفرع، بينما العجب يأخذ بالملك خوفو الذي ترحم على روح سلفه بألف رغيف، ومائة جرة من شراب، وقطعة من لحم، وصاع واحد من البخور.

***

وجاء دور الأمير (باوف رع) ليحكي القصة الثانية على فرعون. قال الأمير:

أحداث هذه القصة وقعت أيام جدي الملك (سنفرو). وكان الملك في ذلك اليوم محزون النفس مكتئب القلب. وعبثا حاول رجال القصر أن يهتدوا إلى ما يذهب عنه الحزن أو يزيل عن نفسه الضجر، وإذ بلغ الأمر بالملك ذلك المبلغ، دعا إليه كاتبه (جاجا أم عنخ) وقال له:

أيا ابن أخي.. لقد طلبت من كل أفراد حاشيتي اجتلابا للسرور والتفكه بما يروح عن النفس، فعجزوا كلهم عن تلبية طلبي. أفلا تستطيع أنت سبيلا إلى تسليتي.

أجاب الكاتب:

- بلى يا مولاي.. فما عليك إلا أن تخف إلى بحيرة البستان، وتأمر بإعداد أجمل الزوارق لأجمل نساء حرمك. فإنك إذا رأيتهن يجدفن ذهابا وجيئة ابتهج قلبك وارتاح فكرك وسرى عنك.

وسر الملك لاقتراح الكاتب. فانتقى من أميرات الحرم عشرين أميرة ممن تميزن برشاقة القدود وطول الشعور، وألقى عليهن ثيابا شبكية رقيقة النسج لطيفة اللون تشف عما تحتها، وأعطاهن مجاديف من خشب الأبنوس الموشى بالذهب.

وراحت الأميرات تجدفن، وأخذ الزورق يسبح. وتسللت إلى نفس فرعون البهجة تسعى إليه من خلال الماء والخضرة وجمال الوجوه.. وما لبث الجو من حوله أن امتلأ بالصفو والحبور.

غير أن ذلك الفرح ما كان ليستمر طويلا، فبينما الأميرات يجدفن ويغنين، إذ بمقبض أحد المجاديف يصطدم بشعر كبراهن، فيسقط من شعرها في الماء طلسم ثمين على شكل سمكة.

وأمسكت الأميرة، كما أمسكت الأميرات حولها، عن التجديف والغناء وتلفت الملك يسأل عن سر سكوتهن، فعلم بما وقع لكبيرة الأميرات.

وابتسم فرعون يهدئها ويهون عليها الأمر، وقال لها إنه سيأمر بما يعوضها عما فقد، غير أن الأميرة أمعنت في الرفض وهي تبكي، وأصرت

على استرجاع جوهرتها الثمينة المفقودة.

وتحير الملك. وأخذ به ضيق كبير.

والتفت الملك إلى رجال حرسه، وأمر باستدعاء كاتبه الأمير (جاجا أم عنخ) وقال الملك للكاتب:

- يا جاجا أم عنخ.. لقد أخذت بنصيحتك وفعلت ما اقترحت، وما كادت البهجة تعود إلى نفسي، حتى وقع طلسم إحدى الأميرات في الماء فتوقفت عن الغناء والتجديف، وتوقفت معها كل الأميرات. وبرغم كل ما حاولت من تهوين الأمر، إلا أن الأميرة أقسمت ألا تستأنف عملها حتى تسترد جوهرتها هي ذاتها، لا شبيهتها ولا سواها. فدبر لنا الأمر كما دبرت من قبل تلك النزهة.

وفتح الكاتب كتابه السحري. وراح يتلو بعض التعاويذ. فما هي إلا لحظة حتى ارتفع نصف الماء وانطوى على النصف الآخر كما تطوى قطعة نسيج، وأطل الكاتب في الماء فإذا الجوهرة الثمينة مستقرة في القاع، فمد يده وتناولها، أعادها إلى الأميرة، ثم تلا تعويذة أخرى عاد لها ماء البحيرة كما كان.. واستأنف الملك مرحه وبهجته مع الأميرات الصغيرات.

وانتهت قصة الأمير، وسر خوفو من تلك المعجزة التي أتاها الكاتب الساحر في عهد أبيه الملك سنفرو. فأمر بتقديم ألف رغيف ومائة جرة من شراب وذبيح وصاعين من البخور لروح الملك.. وتقديم قرص حلوى وجرة شراب وقطعة لحم وصاع خمر لروح (جاجا أم عنخ).

***

وهنا نهض الأمير (حورددف) يقص على أبيه الملك خوفو قصة ثالثة.

قال الأمير:

لقد سمعت يا مولاي قصص الأعاجيب القديمة التي لا سبيل إلى التأكد من صحتها، أما أنا، فسأحضر بين يدي جلالتك ساحرا معاصرا لا تعرفه. في استطاعته أن يقدم معجزاته بين يديك.

قال خوفو:

- أواثق أنت مما تقول يا حورددف.

أجاب الأمير:

أجل يا مولاي. فهناك قروي رقيق الحال يدعى (ديدى) يسكن قرية (ديد سنفرو) جنوبي منفيس. إن هذا الرجل ساحر مسكين، تجاوز عمره المائة بعشرة أعوام. ولكنه برغم شيخوخته يستطيع أن يأكل من الطعام كل يوم خمسمائة رغيف، وفخذ ثور، ويستطيع أن يشرب وحده مائة جرة من الجعة. ومن عجائب سحره يا صاحب الجلالة أنه يعيد الرأس المقطوع إلى مكانه، ويخضع الأسد الكاسر فيتبعه طائعا دون أن يجره بزمام، ويعرف فوق كل ذلك عدد الصناديق الموجودة في ناووس هيكل (توت) وعدد الكتب السحرية الموجودة في كل صندوق.

وعندما سمع الملك ذلك قال لولده:

- يا بني لقد طالما بحثت عن صناديق الكتب التي تحدثت عنها فلم أجدها، وإن في نيتي متى وجدتها أن أنسخ الكتب وأضع نسخها في هرمي فأسرع بإحضار هذا الشيخ الجليل لعلنا نستفيد بعلمه ومقدرته.

وامتثالا لأمر فرعون، نهض حورددف واستقل زورقا ملكيا توجه به إلى (ديد سنفرو) حيث يسكن الساحر العجوز. وإذ رسا الزورق ترجل الأمير، ورفعه الحمالون على محفة من خشب الأبنوس الموشى بالذهب، حتى بلغ

بيت الساحر. وكان ديدى في تلك اللحظة يستلقى على سرير صغير عند عتبة بيته، وحوله عبدان أحدهما يحك رأسه والآخر قدميه!

وحيا الأمير الساحر وقال له:

أن ملامحك أيها الشيخ لتدل على أن التقدم في العمر يضاعف سعادتك ويحول بينك وبين هموم الحياة. إن غيرك في الناس يفرقون من الشيخوخة لأنها في نظرهم نهاية الرحيل والتأهب للعودة إلى الأرض. أما أنت فمصيرك أكثر سعادة إن حكمتك أوسع وأرحب. ولهذا فقد أتيت إليك من قبل أبي فرعون خوفو أدعوك لزيارته.. وهناك.. في رحاب الملك، ستأكل وتشرب أشهى ما يقدم لضيوف القصر من طعام وشراب وستقضي بقية عمرك على أسعد ما تكون الحياة.

أجاب الساحر ديدى:

- لبيك يا حورددف، أيها الأمير الحبيب. ليهنأ بك أبوك ويقدمك على كل الشيوخ والحكماء. إن عملك يا بني لينفذ إلى كل الأشياء الخفية، وإن طلبك ليلبى يا ابن فرعون العظيم.

ومد حورددف يده فأقام الشيخ من سريره، وقاده إلى الميناء حيث أعد لامرأته وأولاده زورقا خاصا، على حين استقل الشيخ مع الأمير زورقه الملكي..

وبلغ الركب قصر فرعون، وخف الملك لاستقبال الساحر الشيخ في البهو الكبير وهو يقول:

- كيف يمكن أن يعيش مثلك في عهدي دون أن أسمع به ولا أراه؟

أجاب الشيخ:

- إن من يدعَ يلبي الدعوة، ولقد دعوتني يا سيد المصريين فإذا أنا بين يديك.

قال الملك:

- أصحيح أنك تستطيع إعادة الرأس المقطوع إلى مكانه؟

أجاب الساحر:

- أجل يا مولاي.

هتف الملك:

- إذن، أحضروا إلى هنا سجينا محكوما عليه بالإعدام، نجرب على رأسه تلك القدرة!

فقاطعه الشيخ الساحر قائلا:

- عفوك يا مولاي.. إني لأترفع عن أجراء مثل هذه التجربة على الرجال وكل مقدس من الحيوان.

وخجل فرعون، ثم أمر بإحضار إوزة قطع رأسها ووضع في طرف البهو على حين وضع جسمها في الطرف الآخر. وراح ديدى يهمهم ببعض التعاويذ فإذا بالجسم يقفز صوب الرأس، والرأس يقفز صوب الجسم. وما لبث الاثنان أن التحما، وعادت الإوزة حية تصيح.

واستحضر الملك بجعة، فأصابها ما أصاب الإوزة، ثم استحضر فحل بقر فكانت النتيجة واحدة، ولوحظ أن لديدى قدرة عجيبة على إخضاع الفحل وقيادته بغير زمام.

وهنا قال الملك:

- أصحيح انك تعرف عدد صناديق كتب السحر في ناووس هيكل توت..!

أجاب الساحر:

- عفوا يا مولاي.. إذا كنت لا أعرف عددها فأنا على الأقل أعرف مقرها.

وسأل فرعون:

- وأين مقرها يا ديدى؟

أجاب ديدى:

- إنها موضوعة في صندوق من الصفيح في غرفة السجلات ببهو معبد هليوبوليس.

قال فرعون:

- إذن أحضر لي الصناديق.

أجاب الساحر:

- عفوا يا سيدي.. لست أنا الذي أحضرها، بل يحضرها بكر الأبناء الثلاثة الذين تلدهم (رود ددت).

واستغرب فرعون وسأله:

- ومن تكون رود ددت؟

قال الساحر:

- إنها زوج أحد كهنة الإله رع، يسمى (رع أو سر).

وقد نبأها رع بأنها سوف تلد أبناء ثلاثة، يملكون الأرض قاطبة ويصير كبيرهم ملكا وعظيم كهان الشمس في هليوبوليس.

عندئذ خفق قلب فرعون هلعا وملأه الغم. فقد بدا له كأن أسرته تحتضر

وتموت. غير أن الساحر تابع كلامه وقال:

- ليطمئن بالك يا مولاي. فولدك سيكون ملكا من بعدك، ومن بعد ولدك سيملك حفيدك. ولكن بعد حفيدك سيملك كبير أبناء رود ددت.

وملأ الملك الحزن فدخل إلى القصر. وأمر بأن يقيم الشيخ في كنف حورددف، وأن يعطى كل يوم ألف رغيف ومائة جرة جعة، وثورا ومائة باقة بصل.

***

والحق ان رود ددت كانت تقيم في مكانها بدار زوجها كان (رع) وكانت الأيام تمر بها رتيبة ثقيلة حتى أتى اليوم الموعود وجاءها المخاض.

في ذلك اليوم دعا رع إله الشمس ابنتيه الإلهتين إيزيس ونفتيس، والآلهة (مسخونت) حارسة المهود وواهبة الأسماء، والآلهة (حقات) المولدة وزوجها الإله (خنوم) مصور الأجنة في الأرحام. وقال رع لوفد الآلهة:

كونوا إلى جانب رود ددت في ساعة العسر. فإن أولادها الذين تلدهم سيكونون ملوك هذه الأرض وسيبنون المعابد والمقاصير، ويملئون هياكل الآلهة بالضحايا والقرابين.

ومضت الآلهة متنكرة بأمر رع. فاتخذت الإناث هيئة المغنيات والراقصات، وقام الإله خنوم مقام الخادم الذي يتبعهن.

وعندما بلغن بيت رود ددت، وقفت الراقصات بالباب وبدأن يرقصن ويعزفن ويضربن على الدفوف. وخرج الكاهن يطلب منهن أن يمسكن، لأن زوجه في ساعة عسر، فعرضت الراقصات على الكاهن معرفتهن بعد أن أنبأنه بحذقهن في معرفة ما يعين الوالدة وما يلزم لها ساعة الوضع.

وفرح الرجل، وقاد الآلهات ليساعدن المرأة، فإذا هي تتمخض عن ثلاثة

ذكور لهم مظاهر الملوك، ويحملون زينة الملك وشاراته وعلى أعضائهم نقشت ألقابهم بحروف من الذهب، وأطلقت عليهم إيزيس أسماء الملوك أوسر كاف، وساحورع، وكاكاى.

وتأهبت الآلهات للانصراف، ذهبن يبشرن الكاهن بما وضعت زوجه فابتهجت نفسه واعتذر شاكرا وهو يقدم لهن بعض الشعير، فقبلن منه الهدية، وحملها الإله خنوم، وغادر الجميع دار الكاهن.

وبينما الآلهات في الطريق، إذ قالت إيزيس لرفيقاتها:

علام كانت زيارتنا لرود ددت؟ لقد عدنا بدون أن نمنحها أعجوبة تكون في المستقبل برهانا قاطعا لأولادها على الإله الأكبر رع هو الذي يرعاهم، هيا بنا نعود لنمنحها المعجزة.

ووافقت الآلهات على ما اقترحت إيزيس. فصنعن ثلاثة أكاليل ملكية لا يتوج بمثلها سوى الفراعنة ملوك الأرض كلها، ثم غرسنها بين حبوب الشعير.

وأثارت الإلهات العواصف فثارت، واستمطرن السماء فأمطرت، ليجدن ما يبرر عودتهن إلى بيت الكاهن قائلات:

- إن المطر يهطل بشدة، حتى ليتعذر نقل هذه الحبوب التي وهبتنا إذ ستبللها المياه وتؤدي إلى عفنها لا محالة، فدعها الآن في قبو مغلق ريثما نعود بعد حين من رحلتنا إلى الجنوب.

وغادرت الإلهات بيت الكاهن. وانطلقن إلى السماء..

أما الوالدة، فقد خرجت من غرفتها بعد أربعة عشر يوما، ونهضت لأعمال بيتها بعد أن علمت من جاريتها أن كل شيء في الدار على خير حال.. لا شيء تغير.. ولا مئونة نقصت.. سوى ما أهداه زوجها لأولئك المغنيات

من شعير أودعنه قبو الدار حتى يعدن إلى أخذه بعد حين.

ومضت أيام، ثم جاء يوم احتاجت امرأة الكاهن فيه إلى شعير. وطلبت رود ددت من الجارية أن تأتيها ببعض ما أودعته الراقصات لديهم على أن تعيد مقدار ما تأخذ إذا ما عاد زوجها.

وذهبت الكاهنة إلى القبو وفتحت بابه.. ففوجئت من الداخل بموسيقى وغناء، وهتافات شجية كمثل هتافات الشعوب لملوكها. وانطلقت الجارية تقص الأمر لمولاتها. ودخلت رود ددت القبو فلم تستطيع أول الأمر أن تكتشف مصدر الغناء والهتاف. واستمرت تبحث، وتضع أذنها على الأكياس حيث الحبوب المعدة للمغنيات، وعندئذ أدركت أن الأصوات تنبعث من داخلها.

وعمدت المرأة إلى صندوق خشبي وضعت فيه أكياس الشعير، وأحكمت إغلاقه وختمته بخاتمها، ثم لفته بقطعة جلد ووضعته في قبو الأواني الفارغة.. ثم أوصدت الباب..!

وعاد الكاهن في المساء فأخبرته بما فعلت، وقصت عليه كيف أخفت الشعير محافظة على أبنائها.. فهي ترى أن تلك الأصوات إنما هي بشير خير، قد يخشاه الملك إذا عرف أمره.. وربما قتل بسببه أبناءها..

وذات يوم، أغضبت الجارية سيدتها فضربتها. وسخطت الجارية وهي تغادر الدار حاقدة، وأصرت على الكيد لرود ددت بعد حين، بإفشاء سر الشعير الموسيقي الذي يبشر بالملوك الثلاثة، حتى يصل أمره إلى فرعون..

وسارت الجارية في الطريق ترغي وتزبد. وإذ هي كذلك لقيها أخ لها يغزل الكتان. وعندما سألها إلى أين تذهب، أخبرته بما قررته. وأغضب تصرفها أخاها، فتناول حزمة من جذوع الكتان وراح يضربها وينهرها ويثخنها

بالجلد الفظيع..

وهربت الجارية من أخيها وراحت تجري. وعندما وجدت نفسها بقرب النهر نزلت إلى الماء تريد أن تبرد أوجاعها وآلامها. وإذ هي تسبح خرج من الماء تمساح هائل فتك بها وابتلعها.

ومضت الجارية الخائنة إلى غير رجعة..

انطلق أخوها إلى رود ددت يبشرها بهلاك أخته جزاء ما أضمرت لها من كيد..!

وفرحت المرأة.. وظلت تعيش في فرحتها حتى صار أبناؤها من بعد ولد خوفو وحفيده.. ملوكا على أرض مصر، وكهانها باسم رع حورس.. إله الشمس.. وسيد هليوبوليس..

4- بلاد الليل والظلام الدامس

عند ما خلق العالم، خلق به نهران، نهر مصر ونهر السماء، وكان النيل. نهر مصر. عظيما، كان ينبع من الجنوب من خلف الشلال ويفيض على أرض مصر، فيجلب الخير والبركة والمحاصيل إلى أرض تا. مرى، وكان نهر السماء عظيما جبارا يجري عبر السماء وخلال الدوات، عالم الليل والظلام الدامس، وعلى هذا النهر كان قارب رع يسير واسمه قارب ملايين السنين، ولكن الناس يدعونه قارب مانزت إذا كان الفجر، عندما يشرق رع في جلال على الأفق الشرقي للسماء، ويدعونه قارب مسيكتت إذا كان المساء، عندما ينحدر رع في جلال إلى ظلمات الدوات، حيث يشمخ جبل مانو بقمته إلى السماء الغربية، فعلى الأفق الغربي يبدو للناظر جبل مانوا، وعلى الأفق الشرقي يبدو جبل باخو، وكلاهما ضخم رهيب، فأصلهما راس على الأرض، وعلى قمتيهما تستقر السماء.

وعلى أقصى قمة جبل باخو يعيش ثعبان طوله ثلاثون ذراعا، وقد رقط جلده بالبازلت الأسود والمعادن البراقة، وهو يحرس الجبل، والمياه الخضراء المترامية، ولا يستطيع أن يمر به إلا رع في قاربه الخالد.

وعندما يحل المساء ينحدر رع في جلال إلى الأفق الغربي، ويغرب في ظلمات الدوات عند ثغرة أبيدوس، وكم هو جميل قارب مسكتت عند المساء، إنه مزيج من الألوان الرائعة البديعة مزيج من القرمز والأرجوان، واللازورد والذهب الخالص الجميل.

وعند ثغرة أبيدوس تقف جمهرة من الآلهة في انتظار قارب رع، ليعدوه لرحلته خلال ظلمات الدوات، أرض الليل والظلام الدامس، وهناك يتعرى

القارب من حلاه، ويمر خلال الدوات عاريا من الجلال بسيطا، وفيه يرقد جسد رع ميتا قد فارقته الحياة.

ويمسك الآلهة بالحبال، ويجرون القارب على صفحة النهر الحزين، ويتسع النهر رويدا رويدا... وتحتل ربات الليل الاثنتا عشرة أماكنهن، حيث يقدن القارب خلال الظلمات، لأنهن قباطنة النهر ولا أحد غيرهن يعرف مجاهل الدوات حتى رع نفسه.

وأول مملكة من ممالك الدوات بلاد الليل والظلام الدامس هي نهر رع، وكم هي حزينة تلك المملكة، وإن لم يكن ظلامها دامسا، لأن النهر في هذه المنطقة تحيط به أفاع ست على كل من ضفتيه، وقد التفت حول نفسها وتكومت وشرعت رءوسها، وقد اندلعت من أفواهها ألسنة اللهيب، وفي قمرة القارب يرقد رع ميتا لا حياة فيه...

وفي مقدمة القارب يقف آب ـ نوت فاتح الطرق، وصار به الساعة الأولى، وحول القمرة يقف بعض الآلهة، أولئك هم حماة رع وحراسه من الأرواح الشريرة، ومن هجمات أبيب عدوه اللدود في بلاد الدوات، بلاد الظلمات.

ويمضي قارب رع وئيدا خلال الدوات، إلى بلاد الظلام الدامس بلاد الرعب والفزع حيث يسكن الموتى، وحيث يرقد أبيب في انتظار مقدم رع، وهكذا تنقضي أول ساعة من الليل.

وعند حدود كل مملكة من ممالك الدوات بوابة عالية الأسوار لا يمكن أن يتسلقها إنسان، وقد رشقت في أعلى الأسوار رءوس الحراب مدببة حادة، أما الباب فمن الخشب، وهو يدور على محور وتقوم على حراسته أفعى مهولة، فلا تسمح لأحد بالدخول إلا أولئك الذين تعرف أسماءهم، وعند منحنى الممر، ثعبانان كبيران مجنحان، ينفثان لهيبا ممتزجا بالسم، أحدهما من

أعلى الباب والآخر من أسفله، فيتقابل لسانان من اللهيب المسموم عبر الممر، الذي يقف في نهايته حارس يقظ.

وربة الساعة الأولى تفتح الطريق أمام ربة الساعة الثانية، وسرعان ما تتسع الأبواب، ويختفي ذلك اللهب المسموم، ويمر قارب رع في سلام..

أما المملكة الثانية من ممالك الدوات، فهي أو ـ نس، وإن كان أهل الشمال وجزر المياه الخضراء يدعونها أورانوس، وهناك يتسع النهر ويحمل على مياهه القاتمة أربعة روامس، ليس لها مجاديف ولا ساريات، ولكنها طافية على النهر، يحملها التيار كما يشاء، وهي روامس غريبة حقا لأنها تحمل أطيافا كثيرة، لها أشكال الرجال، وفي هذه المملكة ينتشر سلطان رع، فهو الملك والسيد، ويحيا سكانها في سلام، لأن أحدا لا يستطيع أن يخترق تلك البوابات التي يغمرها اللهيب المسموم، ويقف عليها حراس أشداء.

نعم سعداء... أولئك الذين يعيشون في مملكة أو ـ نس، لأن أرواح القمح تعيش بها، ففيها نبرا، وتيبو ـ ين، الآلهة التي تصنع القمح والشعير وتبارك المحصول فتزيد الخيرات والثمرات.

ويمضي قارب رع وئيدا خلال الدوات، إلى بلاد الظلام الدامس، بلاد الرعب والفزع، حيث يسكن الموتى، وحيث يرقد أبيب في انتظار مقدم رع، هكذا تنقضي الساعة الثانية من الليل، وربة الساعة الثانية تفتح الطريق أمام ربة الساعة الثالثة، وسرعان ما تتسع الأبواب، ويمر قارب رع في سلام..

أما المملكة الثالثة من ممالك الدوات فهي نهر الإله الواحد، وهنا (أمنتت الجميلة، مملكة أوزيريس، وعلى ضفتيّ النهر تماثيل للآلهة، وهي تحيط بأوزيريس، وقد اكتسى أوزيريس مهابة وجلالا، يليقان بملك عادل، وقد توج

رأسه بتاج الجنوب الأبيض، وتاج الشمال الأحمر.

كم هو عظيم أوزيريس إله الموتى، لأن كل من يموت يقف أمامه للحساب، حيث توزن قلوب الموتى في الميزان، فتوضع في كفة، وفي الكفة الأخرى ريشة الحق، أما عرشه فقد استوى على ماء غدير عميق رقراق، وقد نبتت على سطح الغدير زهرة لوتس وحيدة لونها كالسماء في البكور، وعلى زهرة اللوتس يقف أطفال حورس الأربعة، الذين يعاونون أوزيريس في الحساب، ويحفظون أجساد الموتى، ولهم الشرق والغرب والشمال والجنوب تحميهم الربات الأربع العظيمات، وهم يقفون على زهرة اللوتس ووجوههم إلى أوزيريس، وأولهم له وجه إنسان، والثاني له وجه قرد، والثالث له وجه ابن آوى، والرابع له وجه طائر جارح وهذه هي الساعة التي يخشاها الأشرار، لأنهم يؤخذون بما قدمت أيديهم، ولا منقذ لهم ولا معين.

وقلب الشرير ثقيل بما يحمل من وزر، ولذلك فهو يغطس في الماء ويظل إلى القاع حتى يصل إلى فكى أممت آكل القلوب، وعندئذ يساق الشرير إلى ظلمات الدوات ليعيش مع أبيب الكريه، وليقذف به بعد ذلك في حفرة من النار.

ولكن هناك أيضا المؤمنون المحسنون، الذين لم يلحقوا أذى بإنسان، وأعانوا الأيامى، وراعوا اليتامى والمساكين، وقدموا الطعام للجائعين، وكسوا العراة، أولئك الذين لم يقترفوا إثما ولم يسيئوا إلى إنسان، عندما يقبل أولئك على أوزيريس. ويضع قلوبهم في كفة ميزانه، تجد قلوبهم أخف من ريشة الحق، فتهبط كفة الريشة، وتشيل كفة القلب المؤمن، وعندئذ يتناول توت المزدوج العظمة ذلك القلب، ويودعه صدر صاحبه، ثم يتناول حورس يده ويقوده إلى ظل عرش أوزيريس حيث يعيش في مملكته إلى أبد الآبدين، وعندئذ فقط يستطيع أن يرى أوزيريس، لأن أرواح الموتى لا تستطيع رؤية

الآلهة طالما هي تسكن الجسد، وتتعرض للانفعالات، وعندما تتحرر من هذه القيود، ثم تنطلق في تلك العوالم الطاهرة، عوالم الدار الآخرة، وعندئذ يصبح ذلك الإله ملكهم وسيدهم يعتمدون عليه ويجتلون طلعته، ويستمتعون بذلك الجمال الذي لا يستطيع تصوره إنسان.

ويمضي قارب رع وئيدا خلال الدوات إلى بلاد الظلام الدامس بلاد الرعب والفزع، حيث يرقد أبيب الكريه في انتظار مقدم رع، وحيث حفر النار تعد للأشرار، وهكذا تنقضي الساعة الثالثة من الليل، وتفتح ربة الساعة الثالثة الطريق أمام ربة الساعة الرابعة، فتتسع الأبواب، ويمر قارب رع في سلام.

أما المملكة الرابعة من ممالك الدوات فهي (رى ـ ستاو) أو فوهة المقبرة، والمملكة يخيم عليها الخراب، فهي صحراء لا نهاية لها، ورمال جائعة براقة، لا نبات فيها ولا حياة عليها سوى بعض الثعابين الضخمة، تتلوى رائحة غادية، تفح فحيحا مخيفا، وتنشر أجنحتها، وتندفع كأنها في سباق رهيب، ولكن غضبها ليس موجها إلى رع، فهو يمر بينها آمنا سالما، والنهر في هذه البقعة تائه ضال بين الصخور والرمال، ومجراه عميق ضيق يحده حائطان من الصخر الشديد الانحدار، الذي تصفعه الرياح فتئن لصلابته، ولأوزيريس الكلمة على هذه الصحراء فمن يمر بها آمن سالم، لا خوف عليه وفي هذا المجرى الضيق لا يستطيع قارب رع أن يواصل الرحيل، ولذلك فهو يتحول إلى أفعى هائلة قوية، عند مقدمته رأس أفعى شرسة متيقظة، وعند المؤخرة رأس أفعى ذات أنياب مميتة السم، وتنساب تلك الأفعى على الرمال كما ينساب القارب على صفحة النهر.

ويمضي قارب رع وئيدا خلال الدوات إلى بلاد الظلام الدامس بلاد الرعب والفزع، إلى حيث يربض أبيب في انتظار مقدم رع، وهكذا تنقضي

الساعة الرابعة من الليل، وتفتح ربة الساعة المنقضية الطريق أمام ربة الساعة الخامسة، فتتسع الأبواب ويمر قارب رع في سلام.

أما المملكة الخامسة من ممالك الدوات فهي المختفية، حيث يسكن سوكار الإله الصقر رب المدفونين؛ وهو يقيم في جحر عميق في باطن الأرض، ويقوم فوق الجحر تل من الرمال ويحرس مسكنه أبو الهول عن يمين وعن شمال، لكل منهما جسم أسد ووجه رجل ومخالبهما بارزة كالحيوانات المفترسة حين تتحفز للهجوم، وفيما بينهما تربض أفعى مثلثة الرءوس، وبين جناحيها يقف سوكار، وله جسم إنسان ورأس صقر، وهو شرس وقوي كالصقر، وعقابه شديد على أولئك الذين يعصونه، وقرب مسكنه بحيرة يغلي ماؤها كأن تحتها موقدا، وفي البحيرة الملتهبة يلقَى بالعصاة، الذين يصرخون مستنجدين برع عندما يمر بهم القارب، ولكن رع يرقد في القارب ميتا في انتظار خيبيرا، ولن يجيب على صراخهم أحد، طالما القارب يواصل المسير.

وعلى الحافة الأخرى من الأخدود يقوم صرح عالٍ ممهد، هو دار الليل والظلام، وعلى كل جانب من جانبيه طائر، ويتلوى حواليه ثعبان مزدوج الرأس، وهو رافع الرأسين يفح ويهدر. وهو متحفز للهجوم على من يحاول دخول البناء، وكم هو حارس أمين، لأن خيبيرا روح العالم العظيمة، تسكن دار الليل والظلام. خيبيرا إلهة البعث، تظل في انتظار رع على صورة جعران، ويرفرف على القارب عندما يصل، ويظل طائرا فوقه حتى يحين موعد إعادة الحياة إلى الإله الميت.

ومن خلال الظلام الدامس، ينحدر على المجرى الضيق شعاع من النور، وتلك هي نجمة الصباح تنتظر عند البوابة لتقود القارب إلى الأمام، لأن ظلام الليل يعني اقتراب حلول اليوم الجديد.

ويمضي قارب رع وئيدا خلال الدوات، إلى بلاد الظلام الدامس، بلاد الرعب والفزع إلى حيث يرقد أبيب الكريه في انتظار مقدم رع.

وهكذا تنقضي الساعة الخامسة من الليل، وتفتح ربة الساعة المنصرمة الطريق أمام الساعة الجديدة فتتسع الأبواب ويمر قارب رع في سلام.

أما المملكة السادسة من ممالك الدوات، فهي (نبع المياه) ويحكمها أوزيريس الإله العظيم، وحاكم مدينة دادو، الإله الحي، خالق الناس والماشية، إله الخضرة الذي ينحني أمامه الناس جميعا في إجلال وتقديس.

ويتخلص النهر من الرمال مرة ثانية، ويعاود القارب السير على النهر مرة أخرى، ويشيع السرور بين ركابه، لأن ساعات الليل أوشكت أن تنقضي، وعلى ضفتي النهر تماثيل للآلهة، غامضة عجيبة، وهناك سبعة صولجانات وأسد قوي، يزأر في الظلام، ويكاد لا يُرى إلا على الضوء الضئيل الذي يشعه زورق رع، وهناك أيضا ثلاثة كنوز يحرس كلا منها ثعبان ينبعث من فمه اللهيب، وتلك الكنوز تحوي أشياء غريبة حقا، ففي أحدها رأس إنسان وفي الثانية جناح طائر، وفي الثالثة رِجل أسد، وهناك أيضا تعيش الأفعى ذات الرءوس الخمسة، وبين طياتها يرقد خيبيرا، إله البعث وعلى رأسه يضع الجعران، وعند قدميه رمز اللحم، وهكذا يبعث الحياة في الموتى، وهكذا سيرد الحياة إلى رع، فهذه أبعد حدود الدوات، وخلف البوابة يمتد الطريق إلى شروق الشمس.

ويمضي قارب رع وئيدا خلال الدوات إلى بلاد الظلام الدامس. بلاد الرعب والفزع حيث يرقد أبيب الكريه، في انتظار مقدم رع. وهكذا تنقضي الساعة السادسة من الليل، وتفتح ربتها الطريق أمام الساعة السابعة، وتتسع الأبواب ويمر قارب رع في سلام.

أما المملكة السابعة من ممالك الدوات فهي الكهف السري. وهي مليئة بالأخطار والشرور، لأن أبيب الكريه يعيش في هذه المملكة وهو على شكل أفعى هائلة فاغرة فاها، تبتلع كل ما يأتي به النهر من ماء، فقد يتحطم قارب رع، ثم يفنى رع بعد ذلك، وعندئذ تسيطر على العالم قوى الظلام والشر، وتنتصر على الآلهة.

ولكن إيزيس تقف في مقدمة القارب، إيزيس التي لا يستطيع أحد أن يقاوم سحرها، إيزيس أعظم الربات على الإطلاق، ويدين لها العالم بالحب والولاء، تقف مادة ذراعيها مرتلة كلمات القوة، فيعبر غناؤها المقدس ذلك النهر القاتم، ويلتف الثعبان (مهن) حول جسد رع، لأن ساعة الخطر قد حلت..

وعلى لسان رملي وسط المجرى يرقد أبيب، وطول هذا اللسان أربعمائة وخمسون ذراعا ولفات أبيب تغطيه حتى لا يظهر منه شيء إلا النهر يجري من حوله، ويهدر أبيب ويزمجر، فتردد أركان الدوات زمجرته الشبيهة بالرعد، ولكن إيزيس لا تهتز لكل ذلك ولا ينقطع ترتيلها، ولا تتوقف حركات يديها السحرية وكلما استمرت في ترتيلها وتلاوة تعاويذها.. رقد أبيب على الرمال لا يستطيع حراكا، وعندئذ تقفز سلك، وهر - دسوف من قارب رع ويوثقانه بالحبال، ثم يطعنانه بالمدى محاولين القضاء عليه. ولكن أبيب خالد لا يموت، وفي كل ليلة يقبع في انتظار قارب رع ليفتك به، ويمسك به سلك، وهر - دسوف حتى يمر القارب ويعبر الضفاف الرملية، وهو يقاوم ويجتهد أن يحل وثاقه، ولكن الحبال قوية، والمِدى حادة نفاذة، وتذهب جهوده أدراج الرياح.

ويمضي القارب قدما إلى مدافن الآلهة، التي تقع بجوار النهر، تلالا عالية من الرمال؛ وعلى كل تل بناء؛ وعند نهاية كل تل رأس رجل ترقب مرور رع.

ويمضي قارب رع وئيدا هادئا خلال الدوات؛ سائرا خلال الظلام، إلى

الشروق والنهار الجديد، وهكذا تنقضي الساعة السابعة من الليل، وتفتح ربتها الطريق أمام ربة الساعة الثامنة، ويمر قارب رع في سلام.

أما المملكة الثامنة من ممالك الدوات، فهي مثوى الآلهة، حيث يقيم الموتى من الآلهة، فهم يرقدون هناك في مثواهم الأخير، محنطين وملفوفين في لفات الكتان، كما يحنط الناس ويلقون، وعندما يمر بهم رع يحيونه في إجلال، لكن أين هو من سماع صوتهم..؟ إنهم عنه بعيدون، ولا يسمع لهم إلا هديرا وغمغمة، كخوار الثيران المتوحشة، أو صراخ الطيور الجارحة؛ أو عويل النائحات، أو طنين النحل في خليته، وأمام القارب يسير تسعة من الآلهة. أشكالهم غريبة، غامضة عجيبة، لا يشبهها شيء على الأرض، ويتقدم هؤلاء أرواح تاتانن الأربعة، على شكل كباش كبيرة متوحشة، قرونها متسعة مدببة، وقد توج أولها بريشة طويلة، وتوج الثاني بتاج الشمال الأحمر، والثالث بتاج الجنوب الأبيض، أما الرابع فقد توج بقرص الشمس، وكم هو قديم في ممفيس تاتانن، حيث يقع مثوى بتاح جنوب السور.

ويمضي قارب رع وئيدا هادئا ويسير خلال الظلمات، إلى الشروق والنهار الجديد، وهكذا تنقضي الساعة الثامنة فتفتح ربتها الطريق أمام الساعة التاسعة، فتتسع الأبواب ويمر قارب رع في سلام...

أما المملكة التاسعة من ممالك الدوات فهي (عالم صور)، وهنا يجري النهر عنيفا قويا، ويندفع القارب بسرعة التيار، تحرسه اثنتا عشرة من آلهة النجوم، وفي أيديها مجاديف قصار، وهي على أتم استعداد لمساعدة سيدها عند الحاجة.

ولا يغمر الظلام هذه المملكة، لأن اثنى عشر ثعبانا كبيرا تلتف على نفسها على ضفتي النهر، وينبعث من أفواهها ألسنة من اللهيب تنير صفحة

السماء وأنحاء الدوات، ويطفو على النهر روامس ثلاثة غريبة الشكل، فهي لا تشبه القوارب المألوفة، وحمولتها أغرب من شكلها، فهي محملة بأطياف تشبه البقر والكباش، ولها أرواح الناس، وهؤلاء هم الذين تقدم لأرواحهم القرابين في الدار الأولى، وتتدفع ربات النجوم في غناء لطيف، وتردد الأرواح غناءها، ويستمر الجميع في الغناء حتى يعبروا ذلك الممر الطويل، في تمجيد رع، رب القارب، وخالق السموات والأرض.

ويستمر قارب رع سائرًا في هدوء خلال الدوات، راحلا إلى حيث الشروق، والنهار الواضح الجديد، وهكذا تنقضي الساعة التاسعة من الليل؛ وتفتح ربتها الطريق أمام الساعة التالية، فيمر قارب رع في سلام..

أما المملكة العاشرة من ممالك الدوات، فهي نبع المياه والشطوط الرفيعة، وحاكمها هو رع وسكان المملكة يهرعون للقاء ملكهم، عندما يمر على النهر الدفاق، وهنا نجد المجرى عميقا منحدرا والقارب يندفع بعنف مع التيار، والحراس مسلحين بأسلحة براقة، وعلى استعداد لحماية ملكهم، وعلى وجوههم نور كنور الشمس، وعلى الشاطئ ربات أربع يبعثن بأشعة من نور، تبدد الظلام أمام موكب رع على النهر الخالد.

وأمام قارب رع تسير نجمة الصبح، على شكل ثعبان مزدوج الرأس، يسعى على قدميه، وعلى رأسه تاجا الشمال والجنوب، وبين طياته يقف صقر السماء العظيم، وهو سيد السماء، لأن نجوم السماء تتبعه، ولكن الناس يسمونه هسبر، ولو سيفر أيضا، وفي رمس على النهر ثعبان كبير، هو روح الأرض، وهو يراقب أعداء رع في جنبات الدوات.

وهذه أكبر ممالك الدوات لأن خيبيرا يمزج نفسه برع، في مملكة الغموض والعجائب هذه، ويخلق رع من جديد، ويظل جسد رع مسجى في القارب،

بينما روحه قد اتحدت بروح خيبيرا.

ويمضي قارب رع قدما خلال الظلمات، إلى الشروق والنهار الواضح الجديد، وهكذا تنقضي الساعة العاشرة من ساعات الليل فتفتح ربتها الطريق أمام الساعة التالية، فيمر قارب رع في سلام.

أما المملكة الحادية عشرة من ممالك الدوات فهي (فوهة الكهف) وحاكمها رع، وهنا يجري النهر هادئا منخفضا، وهنا حيث التيار منعدم، يجر الآلهة القارب، وهم لا يجرونه بالحبال، ولكن بجسد الثعبان مهن، حامي رع، وفي مقدمة القارب نجمة نارية، ولكن ضوءها ليس في حمرة الضوء الذي يغمر هذه المملكة، فهي حمرة مخيفة مرعبة، تبعث الرهبة في القلوب، والأشرار يخشون هذه المملكة، لأن عقابهم ينتظرهم هناك، فهنا وهناك حفر من النار، ويحرس الحفر ربات تنفسهن نيران، ويمسكن بأيديهن سيوفا من النيران، وهن يقطعن الأشرار بأسلحتهن، ثم يرمين بأشلائهم في النار حتى تحترق، وهنا يقف حورس ليرى أشلاءهم، لأنهم أعداء أوزيريس و رع، إنهم مقترفو الإثم وناشرو الفساد على الأرض، عصاة الآلهة، ولا منقذ لهم من ذلك العذاب، ولا فرار من النار، وبئس القرار، ويعبق جو الدوات برائحة هذه الأجساد المحترقة ودخانها.

وعلى الضفة البعيدة من النهر النجوم.. فهناك (شدو).. على هيئة ثعبان أحمر قرمزي اللون.. والنجوم التي يتكون منها جسده عشرة عدا.. وهنالك كائن غريب أيضا.. يبدو كثعبان مجنح.. ولكن له ساقين.. وبين جناحيه طيف إنسان.. ويسميه الناس آتمو.. ساكن هليوبوليس.. وهو قديم.. بل أقدم من رع نفسه.. وهو الذي يبعث بنسيم الشمال الرطب إلى أرض مصر.. وحوله تبدو عينا حورس.. لقد بدأت أنفاس الصباح الرطيبة تنبعث.. وفي طياتها يقترب النهار الوليد.

ويمضي قارب رع خلال الظلمات.. إلى الشروق والنهار الواضح الجديد.. وهكذا تنقضي الساعة الحادية عشرة.. وتفتح ربتها الطريق أمام الساعة التالية.. ويمضي قارب رع في سلام.

أما المملكة الثانية عشرة من ممالك الدوات فهي (ولَّى الظلام وأقبل النور) وعلى مقدمة القارب ذلك الجعران الكبير (خيبيرا) متأهب ليرد الحياة إلى رع قبل أن يصل إلى حدود الدوات.. وليست هذه المملكة كسابقتها.. لأنها منطوية في جوف ثعبان كبير ضخم.. اسمه حياة الآلهة.. وفي هذا الفراغ الواسع يسافر قارب ملايين السنين.

ويجر القارب اثنا عشر من أتباع رع بعد أن يربطوه بالحبال، وفي جوف الأفعى يتحول رع إلى خيبيرا ويحيا مرة ثانية، لأن الرحلة خلال الدوات أوشكت على الانتهاء، وعند فم الأفعى تقف اثنتا عشرة ربة يتسلمن الحبال، ويجررن القارب إلى الأفق الشرقي للسماء، ويخرج جسد رع الميت من القارب كما يقذف غشاء الحبة بعد نمو النبات، لأن روح رع وحياته في جعران خيبيرا، وقد تم البعث ويخرج قارب رع من تيه الدوات بين الغناء والبهجة والفرح،

كم هو فاخر قارب مانزت وهو يجد نحو الشروق، وتتفتح الأبواب، أبواب السموات على مصاريعها ويطلع النهار، ومن بين الأعمدة المرمرية يخرج قارب رع. ويغمر النور جبل باخو. ويستقبل الثعبان الضخم حارس المياه الخضراء رع بابتهاج على الأفق الشرقي والأشعة تنسكب على مخالبه.

كم هو رائع قارب مانزت المولود على النهر، وعندما يلتمع في وضح النهار، وفي الزبد عند مقدمة القارب تمرح سمكة (آبتو) وترى سمكة (آنت) تسبح في المياه الخضراء، ومن الأرض تتصاعد الصلوات والدعوات لأن

جميع المخلوقات تمجد رع عند الشروق.

وتباركت يا رع عند ما تشرق... فقد ولى الليل والظلام، وعند فجر اليوم تشرق وتمتلئ السموات بنورك.. أنت كبير الآلهة، لك المجد وانصر... إن الآلهة يترامون عند قدميك كالكلاب ويتسابقون لتحيتك عند الفجر....

تباركت يا رع عند ما تشرق.. فعند شروقك يشيع السرور في الناس، لأنك تحكم العالم، يا من تمجدك النجوم في السماء، ويقدسك آلهة الأرض.. يا رب السموات..

تباركت يا رع عندما تشرق... فلا يستطيع أحد أن يصف مجدك... يارب الحكمة والحق، إن أرواح الشرق تنتظر، وأرواح الغرب عبيدك وخدامك، ويقدسك الشمال والجنوب...

لك التقديس يا سيدنا... يا من خلقتنا... فإنك تشرق في أفق السماء، فتسبب للناس الحياة...

لك المجد يا رع عندما تشرق .....

لك المجد عندما تشرق في جمال يا رع ...

***

5- رحلة إلى الآخرة

(برع المصريون في السحر حتى صار علما يتقنه العلماء ويتفننون فيه. وأصبح لهؤلاء السحرة النفوذ الأكبر والمقام الأسمى أمام الفراعنة، يدعونهم لتفسير أحلامهم والانتصار بهم على أعدائهم بخارق ما يقدمون من معجزات.

وقد نبغ أبناء بعض الملوك في السحر حتى أقيمت لهم التماثيل... ومن بينهم ساتنى الذي يجيء ذكره في هذه الأسطورة. والذي يكشف خلال رحلته سر يوم القيامة والحساب عند قدماء المصريين).

كان يكره نفسه.. فبرغم العلم الخارق الذي وهبه له الإله بتاح، والحكمة والمهارة والبراعة في السحر، لم يكن (ساتنى) ابن الفرعون (أوزيناريس) ليعرف السعادة قط. وكان عقمه هو سر تعاسته، فما استطاعت زوجته الأميرة (ماهى) إنجاب ولد يخفف عنهما شقاء الوحدة، وما عرفت رموزه السحرية، ولا الطقوس والتعاويذ، كيف تمنحه القدرة على إنجاب ولد.. بعد أن حرمته عليه الآلهة.

ومع هذا فما كفت (ماهى) قط عن الصلاة للإله (بتاح) رب منفيس، والابتهال إليه أن يجود عليها بولد. ولم يحتمل قلب الإله بتاح كل تلك الآلام التي تعتمل في قلب المرأة التي تقدم له كل يوم عشرات القرابين. وأخذت به شفقة رقيقة حانية، فأرسل إليها رسله تهتف في أذنها، إذ تملكها النعاس وهي تصلي في المعبد!

ابشري يا ابنة فرعون، فالآلهة التي لا تنسى عبيدها المخلصين، قد استجابوا لصلواتك!

وفي نفس اللحظة، سمع (ساتنى) في نومه هاتفا يهتف به:

يا ابن فرعون ستضع امرأتك طفلا سمه (سنوزيريس) ولتهنا مصر بالخوارق التي يأتيها لكل الناس.

وكان الإله بتاح عند وعده. فما مضت أيام حتى كانت (ماهى) قد وضعت طفلا سماه أبوه (سنوزيريس) لم يكد يرى النور حتى هتف باسم بتاح.. ثم سجد يصلي..!!

وكانت هذه أولى معجزات سنوزيريس، الذي أدرك أبوه لأول وهلة أنه أمام خارقة لم يكن لسحره أن يواجهها بشيء قط. بل إن سحره ما كان ليستطيع أن يجعل من الوليد محدثا يناقش الكهان كما فعل وليده وهو بعد في المهد، وكاتبا يبذ المكلفين بتعليمه كما حدث مع ابنه عندما بلغ سن السادسة..!!

والحق، أن (سنوزيريس) كان أكثر من معجزة. وكان - وهو في تلك السن - يشترك مع كهنة بتاح في قراءة كتاب الحكمة، ويدهشهم بقدرته الخارقة على تفهم القديم من نصوصه التي وضعها الإله توت قبل ذلك بمئات من سنين..!!

وذات يوم، بينما كان (ساتنى) يغتسل على سطح بيته، والى جواره ولده سنوزيريس، شق السكون صوت عويل يرتفع في الطريق، تختلط به أهازيج موسيقى الموت. وأطل (ساتنى) فإذا مأتم رهيب. لواحد من الأغنياء يشيع إلى مدفنه الأخير في موكب فخم، يزيد جلاله شجو الألحان التي تسير معه حتى مقابر منفيس.

ومضت لحظات، وإذا ميت آخر يعبر الطريق، ملفوف في خرقة. يشيعه بضعة أفراد من ولده، إلى خارج منفيس.. بغير ما موسيقى ولا احتفال ولا موكب.. حتى الدمع نفسه، ما كلف أحدهم نفسه أن يذرفه من وراء الجثمان.

وهتف (ساتنى) وهو يطل إلى السماء:

- يا أوزوريس.. يا سيد (الأمنت) العظيم القدرة في العالم الآخر. اكتب لي دخول دار الأموات في عظمة وجلال كهذا الغني، ولا تحرمني شجو الموسيقى وندب النادبين، كما حرمت هذا الفقير.

ونظر إليه ولده (سنوزيريس) طويلا ثم قال:

يا أبت، إني لأتمنى لك أن تموت ميتة هذا الفقير، لا ميتة ذلك الغني..!

وتألم (ساتنى) وهو يسمع أمنية ولده. وقال يعاتبه:

- لكم تؤلمني يا ولدي سنوزيريس.. أهذا هو الدليل على حبك لأبيك؟

وأجابه الصبي:

- وإذا أردت.. فأنا على استعداد لأطلعك على مصير كل منهما في الآخرة، الغني الذي بكاه الناس.. والفقير الذي لم يجد من يبكيه..!

وعجب (ساتنى) وراح يسأله:

- وكيف تستطيع ذلك يا سنوزيريس..؟!

عندئذ، أمسك (سنوزيريس) بيد أبيه، وأخذ يتلو تعاويذ بدت غريبة حتى على أبيه الساحر العظيم.. ثم انطلق به يقوده إلى جبل منفيس حيث هبطا معا فجوة ضيقة بين الصخر، ما كادا يهبطانها حتى وجدا نفسيهما في قاعة قادتهما إلى أخرى أكثر سعة، ثم إلى ثالثة تزيد اتساعا عن كل قاعات قصر الفرعون نفسه.وهنا شهد (ساتنى) جماعة مزدحمة من الناس.. فيها الفقير والغني، الوضيع والرفيع، الجميل والقبيح...

وعاد (سنوزيريس) يقود أباه ويجتاز به الباب إلى قاعة رابعة، حيث شهدا قوما مولين وعلى ظهورهم حمير تأكل.. وقوما آخرين يمدون أيديهم إلى

الطعام المعلق فوق الظهور فلا يستطيعون إليه سبيلا، إذ تقف دونهم حفر يحفرها قوم آخرون، تتسع وتتسع وتحول بينهم وبين الوصول إلى الزاد.!

وتحولا معا ليجتازا القاعة الرابعة إلى الخامسة. وشهد (ساتنى) باب القاعة يرتكز على عين رجل راح يستغيث ويصرخ.. ومن خلفه ناس يبكون ويلحون في طلب الدخول فلا يسمح لهم أبدا...

وكان لا بد لساتنى وولده كي يدخلا القاعة الخامسة، أن يدوسا على الرجل المنطرح تحت الباب. وكان هذا جزءا من العقاب الذي قدر له، إذ يدوسه كل الأموات الذين يجتازون قاعات العذاب إلى مكان السعداء..!

وكانت القاعة السادسة..

وشاهد (ساتنى) محكمة الموتى منعقدة، يرأسها القاضي الأكبر أوزيريس سيد (الأمنت).. أي الدار الآخرة.. متربعا على عرش من ذهب، وفوق رأسه تاج الجنوب الأبيض المرصع من جانبيه بريشتيّ نعام. والى جوار أوزيريس كان يتربع الإله أنوبيس، والإله توت، وحولهما من شمال ويمين اثنان وأربعون قاضيا من الآلهة تكتمل بهم هيئة المحكمة..

وكان هناك في وسط القاعة ميزان توزن فيه الحسنات والسيئات. يستجوب أنوبيس الميت ويدون توت أجوبته. فمن رجحت حسناته السيئات قادة الآلهة المحيطون بأزوريس إلى جنة الأموات الصالحين حيث يتمتع بالسعادة الخالدة. وأما من رجحت مساوئه حسناته، فإنه يسلم إلى (معت) كلبة سيد الأمنت المفترسة، المستلقية تحت قدميه مستعدة دائما لتمزيق كل محكوم عليه بالعقاب.

وتفرس (ساتنى) في آلهة العقاب.. فإذا فمها فاغر كأتون، ومخالبها

حادة كسكين، ورأسها مدبب كتمساح، وجسمها بشع كتنين...!

وبينما (ساتنى) يتأمل آلهة العقاب، إذ به يلمح رجلا نبيل الطلعة، يرتدي ثوبا من كتان فاخر، يقف إلى جوار أوزوريس. وسأل (ساتنى) ولده عمن يكون هذا الرجل فأجاب:

- هذا هو الفقير الذي رأيته مكفنا بخرقة بالية ومحمولا بلا موكب إلى خارج منفيس. إنه هو نفسه الذي تمنيت يا أبي ألا تموت ميتته. لقد حل أمام محكمة الموتى، فرجحت حسناته سيئاته. إنه تعذب كثيرا في الأرض ليسعد طويلا في السماء. ولكي تتم سعادته خلع أوزوريس عنه كفنه الممزق، وألبسه كفن الغني الذي رأيته مشيعا في حفاوة إلى مقبرة منفيس.. هذا الغني نفسه هو الذي دست فوقه عندما ولجت القاعة، وكان محور الباب مرتكزا على عينه اليمنى يفريها كلما فتح أو أغلق.. فقد حوكم الغني فرجحت سيئاته حسناته، وحكم عليه بالعقاب الصارم. وهكذا ترى يا أبت أنني قد تمنيت لك في الأرض ميتة الفقير لا ميتة الغني.. لأنني كنت أعلم مصير كل منهما في الآخرة...

وقال (ساتنى) يسأل ولده:

- لقد رأيت يا ابني في (الأمنت) ما أدهشني. فهل تستطيع أن تخبرني عن هؤلاء الذين رأيناهم مولين وعلى ظهورهم تأكل الحمير..؟ ومن أولئك الذين لا يملكون سبيلا إلى الزاد بسبب الحفر التي تزداد وتتسع تحت أقدامهم..؟

أجاب سنوزيريس:

أجل يا أبت. الأولون هم أبناء هذه الأرض الذين لعنتهم الآلهة. يعملون ليل نهار ليضمنوا بقاءهم. فتتحول نساؤهم إلى حمير نهمه، تنهب أموالهم وتأكل على ظهورهم. أما الذين يمدون أيديهم عبثا إلى الطعام. فهم أولئك الذين استأثروا

بخيرات الأرض وما شبعوا، فعوقبوا بالحرمان جزاء حرمانهم للآخرين..!

وما كاد سنوزيريس ينتهي من شرح ما عميَ على أبيه، حتى أخذ بيده ليعود به إلى الأرض من جديد.

***

... وظل سنوزيريس يقدم الخوارق كل يوم إلى أهل الأرض..

وذات يوم بينما كان فرعون جالسا على عرشه في منفيس، بين مستشاريه وقواده وكبار موظفيه، دخل الحاجب يعلن وجود مشعوذ حبشي بالباب، يبغي المثول بين يدي فرعون، ويزعم أنه يحمل رسالة مختومة. وعندما أذن الملك، دخل القاعة رجل حبشي سلم ثم قال:

- أنا قادم من بلادي أيها الملك، لأسأل هل في استطاعة أحدكم أن يقرأ القصة المدونة في الكتاب الذي أحمله دون أن يفضه؟! لو أن أحدكم استطاع فسأعود إلى بلادي.. بلاد الزنوج لأقول إن علماء مصر هم خير علماء الأرض. أما إن عجزتم وعجز كتابكم وعلماؤكم عن ذلك فأنا عائد إلى بلادي لأعلن ان مصر بلد متأخر لا يعيش فيه سوى الجهال والأغبياء..

وأحس الملك، والقادة، والجميع، كان الأرض تميد بهم، وهتفوا جميعا.

- وحق بتاح العظيم.. كيف يمكن لعالم أو كاتب مهما برع في تفهم الرسوم الهيروغليفية، والنصوص الغامضة، أن يقرأ قصة في كتاب دون أن يفضه!؟

غير أن فرعون كان يخشي أن توصف بلاده بالجهل والتأخر، فأرسل إلى ولده (ساتنى) كبير السحرة والحكماء يستدعيه. وحضر الابن وسجد لأبيه الذي قال له:

- أسمعت يا ولدي ما قال المشعوذ الحبشي؟ إنه يسأل ما إذا كان في

استطاعة أحد الكتبة أو العلماء، يتحدى كل علماء مصر وكتابها، أن يقرءوا قصة في الكتاب الذي يحمله دون أن يفضه؟

وأجاب ساتنى:

يا صاحب الجلالة.. ما من أحد يملك القدرة على أن يقرأ كتابا دون أن يفضه. ومع ذلك فأمهلني عشرة أيام أتفكر خلالها كيف أمنع الزنوج من أن يتهموا بلادنا العزيزة بالتأخر والجهل..!

ووافق الجميع على الانتظار. وأعدت للمشعوذ الحبشي غرفة ينزل بها حتى يعقد الاجتماع المنشود.. ويرد فيه ساتنى على التحدي الغريب..!

***

انطلق ساتنى إلى بيته وفي القلب منه غيظ مجنون.. كانت الحيرة تأخذ به، وخوف الفشل يرعبه، واستلقى على فراشه يبغى النوم، ولكن هيهات للنوم أن يزوره أبدا.

ودخل سنوزيريس على أبيه، فوجده يتقلب كمن يرقد فوق جمر وسأل الابن أباه:

- ماذا بك يا أبت؟ بح لي بسر الملك وأنا كفيل بأن أبدد أوجاعك وآلامك..!

وأجاب ساتنى:

- دعني يا سنوزيريس.. إن ما بي ليتعدى قدرة الصغار على تخفيف الآلام والأوجاع.. حتى لو كانوا يملكون كل أصول السحر..

ولكن سنوزيريس لم يزل بأبيه يلح ويلحف، حتى اضطر ساتنى آخر الأمر أن يقص عليه قصة المشعوذ الحبشي، وتحديه لكل أهل مصر.. حتى فرعون..

ولم يكد سنوزيريس يسمع القصة حتى برقت عيناه ببريق غريب، ثم

انفجر ضاحكا في صخب كبير أثار عجب ساتنى فراح يقول له:

- ما الذي يضحك كل هذا الضحك يا ولدي؟ أو تسخر منى..؟!

قال سنوزيريس:

إنما أضحك لأن الهموم التي تهد قواك لم يسببها سوى ذلك الأمر التافه الضئيل.. انهض يا أبت، ولك مني العهد أن أقرأ قصة الحبشي كاملة، دون أن أفض كتابه..!

وسرى عن ساتنى.. وأن ظل يأخذ به بعض الشك...

وانطلق ساتنى إلى الفرعون أوزيناريس، فقص عليه الأمر، ورجاه أن يدعو أهل القصر كلهم إلى الاجتماع.. ويأمر بإحضار المشعوذ الحبشي..

واكتمل الجمع. ووقف الحبشي وسط القاعة يتحدى.. وفي يده الكتاب مغلقا مدفونا بين طيات ثيابه.

ووقف سنوزيريس يرد التحدي:

- ملعون أنت أيها الحبشي. لقد أغضبت آمون الإله الأكبر، وبتاح رب منفيس. وجرؤت على القدوم إلى مصر.. حديقة أوزوريس، وبلاد رع العظيم.. ووقفت تتحدى بقولك.. سأعود إلى بلادي.. بلاد الزنوج وأعلن أن علماء مصر كلهم، جهلاء. ألا فلينصب عليك غضب آمون.. وها أنا أمام سيدك وسيدنا فرعون العظيم.. أتلو كل حرف من قصة الكتاب الذي تخفيه تحت ثيابك.. وإذا نجحت في مهمتي فإياك أن تنكر على ذلك...

وانحني الحبشي أمام سنوزيريس، وقد أحس شيئا من الرهبة وقال:

- إذا نجحت في مهمتك فلك مني العهد أن أعترف بنجاحك أمام الجميع...

وساد القاعة صمت غريب.. الفرعون والأمراء والكهنة والقادة. وأفراد

الشعب كلهم، في انتظار كلمة النصر المعلقة على شفتي سنوزيريس الصغير.

وبدأ سنوزيريس يتلو قصة المشعوذ فقال:

هي قصة مجهولة جرت حوادثها في عهد فرعون (سيا ـ آمون). في ذلك العهد كان ملوك الحبشة أعداءً لمصر. وكانوا يتحينون الفرص للنيل منهم بمختلف الوسائل والأساليب. وقد اجتمع مرة ثلاثة من سحرة الأحباش الماهرين وأخذوا يبحثون الوسيلة إلى إهانة مصر وإذلال شعبها.

قال الأول:

- إن باستطاعتي أن أرمى مصر بسحر يغرقها في الظلمات الدامسة ثلاثة أيام وثلاث ليال، دون أن يتسلل إليها خيط واحد من النور..!

وقال الثاني:

- وأنا باستطاعتي أن أرمي مصر بسحر يجدب كل ما فيها من حقول لسنوات ثلاث..!

وقال الثالث:

- أما أنا فباستطاعتي أن أرمي مصر بسحر ينقل ملكها إلى الحبشة حيث يجلد علنا خمسمائة جلدة. ثم يعاد إلى بلاطه في أقل من ست ساعات..!

وصفق ملك الأحباش للاقتراح الثالث.. فقد استهوته فكرة جلد فرعون مصر. وسأل الساحر عن أسمه فأجاب:

- أنا (نازى) ابن السيدة (زنجاو).

قال ملك الأحباش:

- نفذ اقتراحك الخارق يا نازى.. وأنا أعدك بحق آلهتي أن أصونك من انتقام فرعون وأغدق عليك أثمن الهدايا.

عندئذ صنع نازى محفة من شمع محمولة على أكتاف أربعة حمالين. ثم تلا تعاويذ جعلت الحياة تدب في الحمالين الأربعة. وخاطبهم قائلا:

- اذهبوا في الحال إلى مصر واستحضروا ملكها على المحفة أمام ملكنا العظيم. وبعد أن يجلد خمسمائة جلدة، عليكم أن تعيدوه إلى بلاطه في أقل من ست ساعات.

وأجاب الحمالون الأربعة:

- سمعا وطاعة يا مولانا.

وطار الحمالون الأربعة إلى مصر بقوة السحر. وعندما بلغوا القصر، راحوا يتلون تعاويذ خدرت كل حرس البلاط. ثم حملوا الفرعون (سيا ـ آمون) في المحفة ونقلوه إلى قصر ملك الحبشة حيث جلد خمسمائة جلدة.. ثم عادوا به إلى بلاطه قبل أن تمضي الساعات الست بكثير..!

وفي الصباح.. أفاق فرعون محطما منهوكا. وأحس كأن في جسده النار. ودعا الملك إليه رجال بلاطه وقال لهم:

- ما الذي حدث لي في الليل..؟ لقد حملت في محفة إلى خارج مصر..!

وبهت أفراد الحاشية، وتبادلوا النظرات وقد ظنوا أن الخبل قد أصاب الملك.

وأدرك الفرعون ما يدور بخلدهم، فكشف عن ظهره الذي ألهبته السياط وقال لهم:

- وحق بتاح الكبير، لقد نقلت ليلا إلى قصر ملك الحبشة حيث جلدت خمسمائة جلدة، ثم أعدت إلى بلاطي في أقل من ست ساعات!

واقترب كل رجال البلاط من الملك يتفحصون آثار السياط. فما تمالكوا أن أغمضوا أعينهم لفرط القسوة والبشاعة التي نزلت بجسد الملك.

وكان بين رجال البلاط ساحر اسمه (بانيشى) ما كاد يرى آثار الجلد حتى صاح:

- إنه سحر الزنوج يا صاحب الجلالة هو الذي فعل بك هذا، ولكن.. وحقك يا مولاي.. وحق آمون ورع وبتاح لأنزلن بهم عقابا ما تصوره واحد منهم قط جزاء ما فعلوا وأثموا..

واستعان بانيشى بتعاويذه وطلاسمه.. وصلى لتوت رب السحر فمنحه سحرا عظيم القدرة دهن به فرعون ليقيه من عدوان الزنوج. وعندما جاء الليل التالي سلط نازى سحره ليعيد الكرة مع فرعون، ولكن عبثا. أما بانيشى فقد سلط سحره الخارق على ملك الزنوج فنقله ليلا إلى مصر حيث جلد أمام الفرعون وكل سكان مصر بضعة آلاف جلدة. وكرر بانيشى سحره ثلاثة أيام متوالية، حتى ثار ملك الأحباش فدعا إليه نازى وقال له متوعدا:

- إنك أنت سبب المصائب التي حلت بي.. وعليك أنت أن تنقذني من سحرة مصر. وإلا فلن يكون رأسك فوق عنقك متى أصبح الغد..!

وأجاب نازى:

- سمعا وطاعة يا مولاي. سأذهب بنفسي إلى مصر لأنازل خصمي الساحر المصري في عقر داره..!

وانطلق نازى الحبشي إلى مصر. وبينما كان فرعون مجتمعا بمستشاريه وقواده انتصب نازى وسط القاعة، وراح يصرخ بأعلى صوته:

- أنا نازى ساحر الزنوج.. أتحدى في مجلس فرعون كل سحرة مصر.. وعلى الأخص ذلك الساحر الذي خطف ملكي ونقله إلى مصر بالرغم مني.

ونهض بانيشى ساحر مصر وأجاب:

- أنا لك يا نازى.. أنا لك يا من جرؤت على أن تنقل فرعون مصر سيدك وسيد الأرض كلها إلى الحبشة حيث ضرب بالسياط. أنا لك يا من جرؤت مرة أخرى أن تأتي إلى مصر وتتحداني في عقر داري. وحق أنومو سيد هليوبوليس، لقد قادتك آلهة مصر إلى في الوقت المناسب، وسأنزلن بك العقاب الذي تستحق. فابدأ أيها المتحدي بسحرك.. ولنر لمن تكون الغلبة ومن يفوز بالنصر..؟

ولم يكد بانيشى يتم كلامه، حتى تلا الحبشي تعويذة. وفجأة شبت النار في مجلس فرعون الذي راح يصرخ ومن حوله رجال البلاط.

- أنقذنا يا بانيشى.. أنقذنا..!

وتلا بانيشى إحدى تعاويذه الواقية. فهبت من الجنوب ريح عاتية ما لبثت أن أخمدت النار.

وعاد الحبشي يتلو تعويذة أخرى. فانتشر في القاعة ضباب كثيف أخفى كل فرد عن أعين الآخرين. ولكن بانيشى رد عليه بتعويذة أخرى، فإذا الريح تهب فتزيل الضباب المتلبد عن القاعة..

ثم كانت التعويذة الثالثة التي تلاها نازى. فإذا بقبو ضخم يقوم حول المجلس، فيعزل من فيه عن كل أرض مصر. وما كاد القبو يطبق على فرعون ورجاله حتى صرخوا صرخة رعب وفزع. وتلا بانيشى تعاويذه، فإذا زورق مسحور ومعاول تهدم القبو، وتنقل حجارته لتلقي بها في بحيرة موريس.

عندئذ استسلم الساحر الحبشي، وحاول أن يهرب متخفيا. لكن بانيشى لم يلبث أن كشفه في هَيَئَة إوزة ملقاة على ظهرها.. وإلى جوارها صياد مستعد للقضاء عليها.

وخلع الساحر الحبشي كبرياءه، وراح يقبل الأرض ويطلب الغفران.

عفوك يا سيدي.. أنا أعترف بجرمي وألتمس منك الغفران. امنحني مركبا أستقله إلى بلادي فلا أعود إلى مثل ما فعلت قط.

وأجابه بانيشى:

قسما بكل آلهة مصر.. لن تفلت من قبضتي قبل أن تتعهد أمام الجميع بعدم العودة إلى مصر أبدا.

وأقسم الساحر الحبشي:

وحق جميع الآلهة.. لن أعود إلى مصر قبل أن تمضي ألف وخمسمائة سنة.

وعندئذ، أطلقه بانيشى من ربقة السحر.. ومنحه مركبا أعاده إلى بلاد الزنوج.

***

هنا توقف سنوزيريس عن التلاوة.. فقد انتهت القصة.

وسجد المشعوذ الحبشي، وعفر جبينه في التراب وقال:

- لقد نجحت في مهمتك.. وتلوت القصة بكل حرف فيها.

ولم يكد ينتهي من اعترافه حتى حاول الهرب والنجاة. لكن سنوزيريس تلا تعاويذه، فتوقف الحبشي وتسمرت قدماه، وما استطاع الحركة أبدا.

وتكلم سنوزيريس مخاطبا فرعون:

إن هذا الساجد تحت قدمي أيها الفرعون العظيم.. ليس سوى نازى الحبشي نفسه... لقد انتهت الألف وخمسمائة سنة التي كان قد أقسم ألا يطأ خلالها أرض مصر، وعاد لينتقم من مصر والمصريين. أما أنا.. يا من تعرفونني باسم سنوزيريس.. فلست سوى بانيشى.. وقد علمت بينما أنا في

العالم الآخر أن هذا الحبشي سيسلط سحره على مصر. فسألت أوزوريس أن يعيدني إلى الأرض لأصده عن النيل من كرامة بلادي.. وها أنا قد فعلت!

وعندما انتهى بانيشى المتقمص في جسد سنوزيريس من كلامه، تلا تعويذة غامضة، فإذا نازى الحبشي يتحول إلى الرماد.

وبينما الجميع ينظرون في دهشة إلى بقايا الحبشي.. إذ بانيشى هو الآخر يتلاشى من أمامهم فجأة.. كأنما قد ابتلعته الأرض.

وخيم على المجلس سكون رهيب.. قطعه بكاء طويل في أقصى القاعة.. وأطل الفرعون.. وأهل مصر جميعا.. فإذا (ساتنى) قد انتحى ركن القاعة، وراح يبكي ولده الذي اختفى وتلاشى.. والى جواره وقفت (ماهى) زوجته تعزيه وتخفف عنه بلواه..

وسكت الجميع.. فما كان أحد ليستطيع أن يتكلم بعدُ..!

6- كتاب الحكمة

كان نفر - كا - بتاح الابن الوحيد لفرعون مصر، وقد زوجه من الأميرة الجميلة آهورا، وولد لهما طفل أسمياه ميراب، هكذا سجلت أسماؤهم فى دار الحياة.

ورغم أن نفر - كا - بتاح كان وحيد الملك، إلا أنه لم يوجد همه إلا إلى المخطوطات القديمة، التى دونها الكتبة المصريون على أوراق البردى، وأودعوها دار الحياة، أو تلك الرموز المحفورة على جدران المعابد لقد كان ينفق أيامه جميعها فى دراسة ما كتبه الأقدمون.

وذات صباح قصد إلى المعبد ليصلى للآلهة، ولكنه أبصر ببعض النقوش فأخذ يقرأوها ونسى أن يصلى للآلهة، بل لقد نسى الآلهة جميعاً، ونسى الكهنة وكل شىء حوله، واستغرق فى القراءة لا يحس شيئاً سواها، وبينما هو فى استغراقه ذاك، روعته ضحكة ساخرة عريضة، جاءته من ورائه، فنظر فإذا أحد الكهنة فى ثيابه البيض وقد دمعت عيناه لكثرة ما ضحك فسأله:

- «لماذا تضحك منى أيها الكاهن..؟» فأجابه الكاهن:

- لأنك تنفق وقتك فى قراءة ما لا يفيد، إن كنت تريد قراءة شىء ذى قيمة فإننى أدلك على مخبأ كتاب الحكمة الذى أودعه توت فنون سحره، وأسرار معرفته.

وسأله نفر - كا - بتاح أسئلة متلاحقة فى لهفة وشغف شديدين فأجابه الكاهن:

- «لقد كتب توت ذلك الكتاب بيده، وهو يحوى كل ما بالعالم من فنون السحر، فلو قرأت صفحته الأولى لكشف عن بصرك الغطاء ورأيت كل شىء فى السموات والأرض، وما فى باطن الكهوف والبحار، وستفهم لغة الطير

فى الهواء، وستعلم ما تقوله الزواحف فى جحورها، وسترى الأسماك فى أعماق البحار المظلمة».

ولو قرأت صفحته الثانية، لأمكنك أن ترجع إلى الدنيا فى صورتك السابقة، بعد أن تموت وتصبح فى عالم الأرواح.

وسترى بعد ذلك الشمس مشرقة، والقمر بدراً، والنجوم ساطعة فى السماء، كل ذلك فى آن واحد، بل وسترى الآلهة أنفسهم فى السماء.

وعندئذ قال نفر - كا - بتاح: « بحق حياة الفرعون، سيصبح ذلك الكتاب ملكى، ولك أن تطلب منى ما تريد، وعلى أن أجيب كل ما تطلب، فقال الكاهن: «أنفق على جنازتى، واستوثق من أننى أدفن كأحد الأغنياء، وحولى كهنة يرتلون، ونسوة يبكين وتقدم القرابين للآلهة من أجلى، ويراق الخمر المقدس، وذلك حتى تستقر روحى فى سلام فى حقول آلوا، يجب أن ينفق على جنازتى مائة قطعة من الفضة».

وسرعان ما أرسل نفر - كا - بتاح رسولاً ليأتيه بالنقود، فلما عاد الرسول سلم الكاهن فى يديه مائة قطعة من الفضة فلما تسلمها الكاهن قال لنفر - كا - بتاح:

إن الكتاب فى قفط فى وسط النهار.

فى وسط النهر صندوق من الحديد.

وفى صندوق الحديد صندوق من البرنز.

وفى صندوق البرنز صندوق من خشب الصندل.

وفى صندوق خشب الصندل صندوق من الأبنوس والعاج.

وفى صندوق العاج والأبنوس صندق من الفضة.

وفى صندوق الفضة صندوق من ذهب.

وفى صندوق الذهب تجد كتاب الحكمة الذى كتبه توت ومن حول الصندوق الحديدى تسعى أفاع وعقارب وأنواع شتى من الزواحف، وفوق كل ذلك أفعى مهولة لا يستطيع أن يقتلها إنسان.

لقد رصدت كل هذه الزواحف لحراسة كتاب الحكمة، الذى كتبه توت بيديه.

ولم يكد الكاهن يفرغ من حديثه، حتى خرج نفر - كا - بتاح من المعبد، لأن فرحه كان كبيراً لدرجة أنه لم يدر أين هو؟ وأسرع الخطى إلى زوجته آهورا ليخبرها بنبأ الكتاب وليخطرها بأنه ينبغى له أن يرحل إلى قفط لساعته، ليحصل على هذا الكتاب الفريد.

ولكن آهورا كانت حزينة جدّاً لهذا النبأ، وقالت له «اعدل عن هذه الرحلة، لأن المتاعب والأحزان تنتظرك فى أرض الجنوب» قالت ذلك ووضعت يدها على ساعد نفر - كا - بتاح، كأنما ينبغى عليها أن تنقذه من الحزن الذى ينتظره، ولكنه لم يكن ممن يتراجعون عن عزمهم بسهولة، فانطلق من أمامها وذهب توا إلى أبيه الفرعون.

وقص على أبيه الفرعون كل ما علم وقال له: «أعطنى السفينة الملكية يا أبت، حتى يتسنى لى أن أذهب إلى الجنوب، وأحصل على كتاب الحكمة، وسيكون معى زوجتى آهورا وولدى ميراب» فأصدر الفرعون أوامره فأعد اليخت الملكى، واستقبله نفر - كا - بتاح، وزوجته آهورا وولدهما ميراب، وصعدت السفينة فى النهر حتى وصلت إلى قفط، فلما وصلوا إليها خف لاستقبالهم على الشاطئ كهنة إيزيس ورئيسهم فى قفط، ليرحبوا بالأمير الشاب وزوجته آهورا وولدهما ميراب، وانطلقوا جميعاً فى موكب كبير إلى

معبد الرية وتقرب نفر - كا - بتاح إلى الرية بذبح ثور وأوزة، وأراق زقاق النبيذ على المذبح، تكريماً لإيزيس وولدها حورس، ثم أقام كهنة إيزيس وزوجاتهم احتفالاً كبيراً دام أربعة أيام تكريماً لنفر - كا - بتاح وزوجته آهورا.

وفى صبيحة اليوم الخامس، دعا نفر - كا - بتاح إليه أحد كهنة إيزيس، الذين حذقوا فنون السحر جميعاً، وعرفوا أسرار الآلهة، ثم عكفوا على صنع صندوق سحرى كالغواصة، وأودعوه تماثيل رجال ومؤنا ثم تليت تعويذة سحرية على المخلوقات الجديدة، فدبت فيها الحياة، وتنفس الرجال وتحركوا داخل الغواصة، ثم غمر نفر - كا - بتاح الغواصة فى النهر وقال: «يا خدام.. يا خدام افعلوا ما آمركم به» ثم حمل السفينة الملكية بالرمال وأبحر على النهر وحيداً، بينما جلست آهورا على شاطئ النهر فى قفط، تترقب وتنتظر، لأنها كانت تحس أن المتاعب والأحزان ستعقب هذه الرحلة إلى أرض الجنوب.

وغاص الرجال المسحورون بغواصتهم أياماً ثلاثة بلياليها فى النهر، فلما توقفوا، توقفت السفينة الملكية عن السير، وأدرك نفر - كا - بتاح أنه وصل إلى المكان الذى فيه كتاب الحكمة.

وألقى نفر - كا - بتاح بحمولة السفينة من الرمال فى النهر صانعاً سدين، وبين السدين كان فراغ طوله خمسون ذراعاً وعرضه خمسون ذراعاً، وفى وسط ذلك الفراغ كان الصندوق ملقى، وإلى جواره التفت أفعى مهولة على نفسها، تلك الأفعى التى قال الكاهن إنها لا يمكن أن يقتلها إنسان، وأحاط بالصندوق من كل جانب أفاع وعقارب، وأنواع شتى من الزواحف.

ووقف نفر - كا - بتاح فى مقدمة السفينة الملكية، وصاح عبر المياه فى الأفاعى والعقارب وشتى الزواحف صيحة عالية مرعبة، وتلا عليها تعويذة سحرية، فلما انتهت التعويذة جمدت الأفاعى والعقارب وشتى الزواحف فى

أماكنها، لأنها سُحرت بكلمات نفر - كا - بتاح، فلم تستطع حراكاً، وتحرك نفر - كا - بتاح حتى حاذى حافة الفراغ، ثم نزل من سفينته، وسار بين الأفاعي والعقارب وشتى الزواحف، وكانت كلها مفتحة العيون، تنظر إليه وتراه، ولكنها لا تستطيع الحركة فقد أثرت التعويذة عليها.

وأصبح نفر - كا - بتاح وجهاً لوجه مع الأفعى التى لا يستطيع أن يقتلها إنسان ورفعت الأفعى رأسها وتراجعت قليلاً إلى الوراء - استعداداً للمعركة القادمة، وهجم عليها نفر - كا - بناح وفصل رأسها عن الجسد ولكن سرعان ما التصق الجسم بالرأس مرة أخرى، وعادت الأفعى التى لا يمكن أن يقتلها إنسان إلى الحياة مرة أخرى واستعدت لمواصلة النزال، وهجم عليها نفر - كا - بتاح مرة ثانية، وضربها ضربة قوية، أطاحت بالرأس بعيداً عن الجسد، ولكن سرعان ما انضم الجسد والرأس إلى بعضهما البعض وعادت الأفعى التى لا يمكن أن يقتلها إنسان إلى الحياة مرة أخرى، واستعدت لاستئناف الصراع، وأدرك نفر - كا - بتاح أن الأفعى خالدة، ولا يمكن ذبحها والقضاء عليها إلا بالحيلة، فعاود الهجوم عليها للمرة الثالثة، وشطرها نصفين وذر الرمال على مكان القطع، حتى إذا ما حاول النصفان الاتصال ثانية، لم يتمكنا من ذلك لوجود رمل يفصل بينهما، وهكذا ارتمت الأفعى التى لا يستطيع أن يقتلها إنسان، عديمة الحيلة بين يديه.

ثم تقدم نفر - كا - بتاح إلى الصندوق الكبير حيث هو ملقى فى الفراغ وسط المجرى وكانت الأفاعى والعقارب وشتى الزواحف تراه، ولكنها لا تستطيع منعه، وفتح الصندوق الحديدى فوجد صندوقاً برونزيّاً، وفى الصندوق البرنزى وجد صندوقاً من خشب الصندل، وفى صندوق خشب الصندل وجد صندوقاً من الأبنوس والعاج، وفى الصندوق الأخير وجد

صندوقاً من الفضة، وفى صندوق الفضة وجد صندوقاً من الذهب، وفى الصندوق الذهبى وجد كتاب الحكمة الذى كتبه توت بيديه.

وفتح نفر - كا - بتاح الكتاب وقرأ الصفحة الأولى فكشف عن بصره الغطاء، اطلع على ما فى السموات والأرض، وما فى باطن الكهوف والبحار، وفهم منطق الطير فى الهواء، وعلم بما تقوله الزواحف فى جحورها، ورأى الأسماك فى أعماق البحار المظلمة.

وقرأ الصفحة الثانية، فرأى الشمس مشرقة، والقمر بدراً، والنجوم ساطعة فى السماء، وكل ذلك فى آن واحد، بل ورأى الآلهة أنفسهم فى السماء.

وعندئذ أدرك نفر - كا - بتاح أن ما قاله الكاهن كان صحيحاً وذكر أن زوجته آهورا تنتظره على الشاطئ عند قفط، فتلا تعويذة سحرية على الخدام الذين صنعهم قائلاً: «يا خدام يا خدام نفذوا ما آمركم به، وارجعوا بى إلى المكان الذى جئت منه».

وَجَدَّ الرجال المسحورون ليلاً ونهاراً فى الرحيل، حتى وصلوا إلى قفط حيث تجلت آهورا على ضفة النهر، وكانت قد صامت عن الطعام والشراب منذ رحل عنها نفر - كا - بتاح لأنها كانت تترقب الحزن والمتاعب التى توشك أن تنزل بهم جميعاً.

ولكنها حينما رأت نفر - كا - بتاح عائداً إليهم فى سفينته الملكية، رقص قلبها فرحاً وأقبل عليها نفر - كا - بتاح فوضع بين يديها كتاب الحكمة، وطلب منها أن تقرأ فيه، فعندما قرأت الصفحة الأولى، كشف عن بصرها الغطاء، وأطلعت على ما فى السموات والأرض، وما فى باطن الكهوف والبحار، وفهمت منطق الطير فى الهواء، وعلمت بما تقوله الزواحف فى جحورها، ورأت الأسماك فى أعماق البحار المظلمة.

ولما قرأت الصفحة الثانية، رأت الشمس مشرقة، والقمر بدراً، والنجوم ساطعة فى السماء، كل ذلك فى آن واحد، بل ورأت الآلهة أنفسهم فى السماء.

ودعا نفر - كا - بتاح بقطعة نظيفة من البردى، وكوب من الجعة ثم كتب كل التعاويذ التى يحتوى عليها كتاب الحكمة، ثم تناول كوب الجعة، وغسل فيه رقعة البردى حتى انمحت الكتابة تماماً وعادت ورقة البردى نظيفة كما كانت، ثم جرع الكوب حتى الثمالة، وهكذا حفظ كل التعاويذ التى كان الكتاب يحتويها عن ظهر قلب، وهذه هى الطريقة التى يتبعها كبار السحرة.

ثم ذهب نفر - كا - بتاح وآهورا إلى مبعد إيزيس، وقدما القرابين إليها وإلى ولدها حورس وأقاما احتفالاً كبيراً، وفى اليوم التالى صعدا إلى ظهر السفينة الملكية، وأبحرا مسرورين على النهر متجهين صوب الشمال تدفع شراعهما ريح رخاء.

ولكن انتظر.. لقد اكتشف توت ضياع كتابه الحبيب «كتاب الحكمة» فثار غاضباً كالقط البرى المتوحش الذى يقطن الجنوب، وأسرع إلى رع كبير الآلهة، وقص عليه القصة قائلاً:

«إن نفر - كا - بتاح قد عثر على صندوقي المسحور وفتحه وسرق كتابى.. حتى كتاب الحكمة يسرقونه..؟ لقد ذبح الحراس الذين يحيطون بالصندوق، والأفعى التى لا يستطيع قتلها إنسان قد خلفها عديمة الحيلة، فانتقم لى يا رع من نفر - كا - بتاح ابن فرعون..».

وأجاب رع ذو الجلال قائلاً: «خذه هو وزوجته وابنهما، وافعل بهم جميعاً ما تشاء».

وهكذا فإن المتاعب والأحزان التى تنبأت بها آهورا كانت على وشك الوقوع، لأن توت قد حصل على إذن من رع، بأن يجرى قضاءه فيمن سرق كتاب الحكمة.

وبينما السفينة الملكية مبحرة شمالاً فى هدوء ورخاء، خرج الصبى، ميراب من تحت المظلة، وتقدم حتى بلغ حافة السفينة، وأخذ يحدق فى الماء فاجتذبته قوة رع، فسقط فى الماء وغرق لساعته وعندما سقط فى الماء صرخ الملاحون فى السفينة، وصاح المارة على الشاطئ، ولكنهم لم يستطيعوا انقاذه جميعاً.

وخرج نفر - كا - بتاح من القمرة، وقرأ تعويذة سحرية على الماء، فطفت جثة ميراب على السطح فانتشلوها ومددوها على ظهر السفينة، وقرأ نفر - كا - بتاح تعويذة أخرى بلغ من قوتها أن الطفل الميت تكلم، وأخبر نفر - كا - بتاح بكل ما حدث بين الآلهة وأن توت يعمل على الانتقام وأن رع قد منحه قوته ليستخدمها ضد سارق كتاب الحكمة.

وأصدر نفر - كا - بتاح أوامره فاتجهت السفينة إلى قفط مرة ثانية حتى يدفن الصبى ميراب بالاحتفال اللائق بابن أحد الأمراء ولما انتهت مراسيم الاحتفال بدفنه، أبحرت السفينة مرة أخرى صوب أرض الشمال.. وقد فقدت الرحلة بهجتها بعد أن مات ميراب وقد أثقلت الهموم قلب آهورا انتظاراً للأحزان والمتاعب المقبلة، لأن انتقام توت لم ينته بعد.

ووصلت السفية إلى المكان الذى غرق فيه ميراب، فخرجت آهورا من تحت المظلة، وتقدمت إلى حافة السفينة وأطلت فى المياه فاجتذبتها قوة رع فسقطت فى الماء، وغرقت لساعتها، وعندما سقطت أبصر بها ملاحو السفينة، وأبصر بها المارة على الضفة، ولكنهم جميعاً لم يستطيعوا إنقاذها.

وخرج نفر - كا - بتاح من القمرة وتلا تعويذة سحرية على الماء، فطفت جثة آهورا على سطح الماء، فانتشلها الملاحون. ومددوها على سطح السفينة، وتلا نفر - كا - بتاح تعويذة أخرى بلغ من قوتها أن الجسد الميت

تكلم، فأخبره بما دار بين الآلهة، وبأن توت لا يزال يجرى وراء الانتقام، لأن رع قد منحه قوته ليستخدمها ضد سارق كتاب الحكمة.

وأصدر نفر - كا - بتاح أوامره فعادت السفينة أدراجها إلى قفط حتى تدفن آهورا بالاحتفال اللائق بابنة ملك، ولما انتهت مراسيم الدفن، أبحرت السفينة الملكية مرة أخرى صوب أرض الشمال، ويا لها من رحلة مقبضة حزينة هذه المرة.. فقد ماتت آهورا ومات ميراب، ومع ذلك فلا يزال توت يريد الانتقام.

ووصلت السفينة إلى المكان الذى غرق فيه ميراب وغرقت فيه آهورا، فأحس نفر - كا - بتاح بأن قوة رع تجذبه، وكان متأكداً من أنها ستتغلب عليه رغم مقاومته لها، فتناول قطعة من نسيج الكتان الملكى، جيدة متينة، فصنع منها نطاقاً، وربط بها كتاب الحكمة إلى صدره لأنه صمم على ألا يحصل توت على كتابه مرة أخرى.

وعندئذ جذبته القوة الخفية بشدة هذه المرة، فوجد نفسه يخرج من تحت المظلة، ثم ألقى بنفسه فى النهر، فغرق لساعته، وعندما سقط فى النهر أبصره الملاحون فى السفينة والمارة على الضفة ولكنهم لم يستطيعوا إنقاذه جميعاً، وعندما بحثوا عن جثته لم يعثروا عليها.

وهكذا أبحرت السفينة الملكية شمالاً حتى وصلت إلى أرض الشمال وألقت مراسيها فى ممفيس، وذهب ربانها إلى الفرعون وأخبره بكل ما حدث.

ولبس الملك ثياب الحداد، وكذلك رجال البلاد، والكاهن الأكبر وسائر كهنة ممفيس، ورجال الجيش لبسوا جميعاً ثياب الحداد، ثم سار الجمع فى موكب حزين إلى المرفأ، حيث ترسو السفينة الملكية، وعندما وصلوا

إليها أبصروا بجثة نفر - كا - بتاح طافية بقرب السفينة، بجوار المجاديف الكبرى، ولقد حدثت هذه المعجزة نتيجة لقوة نفر - كا - بتاح السحرية، فقد ظل ساحراً عظيماً حتى فى مماته، لأنه قد أذاب التعاويذ فى كوب الجعة وشربها.

وانتشلت الجثة فأبصروا بكتاب الحكمة مربوطاً إلى صدره، بنطاق من الكتان وأصدر الملك أمره أن يدفن نفر - كا - بتاح بالاحتفال اللائق بابن ملك، وأن يدفن معه كتاب الحكمة.

وهكذا تحقق انتقام توت.. ولكن كتاب الحكمة ظل مع نفر - كا - بتاح..

7- حكاية الأخوين

«لا يكاد نوع واحد من أنواع الأساطير يخلو من قصة المرأة التى تكون سبباً فى صراع جبار بين أخوين.. وهذه الأسطورة المصرية القديمة تعد مثلاً رائعاً لذلك اللون من ألوان تلك القصة.. ينزاح من بين سطورها الستار عن وسائل المرأة فى غرس بذور العداء بين الإخوة، كما ينزاح عن ألوان أخرى من الغدر والخيانة والدهاء، تتفنن فيها المرأة سواء كانت من القمة أو كانت من الحضيض..».

«أنوبو» و«بايتى» شقيقان، يملكان داراً صغيرة على ضفاف النيل العظيم، يقيمان فيها معاً، وكان أنوبو الأكبر متزوجاً، فكان يتولى شؤون الإدارة والتنظيم، على حين كان بايتى الأصغر عاملاً، يغزل النسيج ويرعى البقر ويحرث الأرض.

وكان بايتى الصغير يعود من الحقل كل مساء، يسوق بقراته فى هدوء، وعلى ظهره حمل من حشائش الأرض يقدمه لها خلال الليل. وكان متى دخل الدار، يحيى أخاه وامرأته، ثم ينطلق إلى «الحظيرة» يأكل ويشرب وينام.. وما تكاد الشمس تستيقظ، حتى ينهض من نومه ليعجن الدقيق، وينضج الخبز، ويقدم المائدة حافلة لأخيه وامرأته. وبعد أن ينتهى بايتى من تناول فتات الخبز، يمنحه أخوه حصته ويصرفه إلى شؤون الحقل، ويمضى الفتى فيسوق بقراته أمامه وينطلق إلى الحقل حيث ترعى البقرات وتسمن، لتعود فتضع عجولاً صغيرة كثيرة يستغلها «أنوبو» ويخفى ثمنها ثم لا يعطى أخاه منها شيئاً قط..!

وذات يوم، عندما بدأ موسم إعداد الأرض للزرع، ذهب الاخوان معاً إلى الحقل حيث يشقى بايتى ويقف الكبير ليشرف على العمل، ويداه فى وسطه، يأمر وينهى، ولا يفعل شيئاً أبداً.

وعندما أتم بايتى حرث الأرض قال له أنوبو:

- لقد حان وقت الزرع.. فاذهب إلى الدار وأحضر منه كيس البذور.

وذهب بايتى الصغير إلى الدار.. ودخل على امرأة أخيه على حين أنها منهمكة فى تصفيف غدائر شعرها الطويل، وطلب الفتى من المرأة أم تعطيه كيس البذور ليعود مسرعاً إلى الحقل. وأشارت المرأة إلى قاعة المخزن، وقالت له بلا اكتراث أن يتخيز الكيس الذى يريد.. ودخل بايتى فانتقى كيساً كبيراً ملأه قمحاً وشعيراً، ثم رفعه على ظهره، وسار فى طريقه إلى باب الدار، ليسرع بالكيس إلى حيث ينتظره أخوه.

ورفعت المرأة عينيها إلى الفتى.. كان رائعاً قويّاً كواحد من الآلهة، تطل من كل جزء من جسده فتوة الشباب وعنفوانه.

وأحست المرأة كأن فى أعصابها النار، وفى جسدها فحيح الأفعى.. وقالت له ومن عينيها تنطلق دعوات كالصراخ:

- ما أثقل هذا الحمل فوق ظهرك.. ومع ذلك فأنت تبدو كمن يحمل قشة..

واضطرب الفتى لإطراء زوجة أخيه.. ولكنه سار فى طريقه كمن لم يسمع وعادت المرأة تقول له:

- ما أجمل أن يكون للمرأة زوج نضر قوى، مفتول العضلات، مملوء بالعنفوان، وما أتعس امرأة تعيش مع زوج من قش، كما أعيش مع زوجى!

وازدادت المرأة اقتراباً من الفتى الصغير، ووضعت كفها الساخن على ذراعه المفتول وهى تهمس:

- إنك أقوى من أخيك يا بايتى، وأكثر منه عنفواناً وروعة. لكم تمنيت أن أكون زوجتك أنت!.

وانتفض الفتى كأن قد لدغته أفعى، ودفع عنه امرأة أخيه فى غضب وثورة، وراح يلقى فى أذنيها أقذر النعوت وأقبح الأوصاف لتعاويضها بأخيه، وكأنه ما أحس غرضاً آخر من وراء محاولات المرأة المشحونة بالإثم والعار.

وفتح الفتى الباب، وانطلق إلى الحقل وهو يجهد أن يخفى غضبه، حتى لا يكتشف أخوه سره.

وانهمك الفتى فى العمل وكأن شيئاً لم يحدث قط.. وما حاول أبداً أن يفتح فمه ليحكى لأخيه من أمر زوجته شيئاً.

أما هى.. فقد أرعبها أن يعرف زوجها الأمر، وامتلأت رغبة فى الثأر من الفتى الذى طعن كرامتها وأذل كبرياءها.. ولو أدى الأمر إلى القضاء عليه.

وراحت المرأة تلطخ جسمها بالطين، وتخدش ذراعيها وكفيها لتوهم زوجها إذ يعود بأنها آثار معركة عامرة بالمقاومة، عندما حاول أخوه اغتصابها، ورفضت أن تستسلم له..!

وهبط الليل، وسبق الأخ الأكبر أخاه إلى الدار، على حين كان بايتى يسوق البقرات فى الطريق إلى الخطيرة.. وعجب أنوبو عندما وجد امرأته لا تستقبله بباب الدار تحمل المصباح.. وعجب أكثر عندما وجد أنها لم تعد الماء لتسكبه على يديه وقدميه.. وانطلق إلى حجرتها وقد أحس شيئاً غير عادى، ففوجئ بها راقدة تبكى وتتوجع، وكل جسدها تلطخه آثار طين وتراب.. والخدوش تغطى منها كل الذراعين والكفين..!

وقالت له المرأة، من خلال الشهقات والدموع:

- إنه أخوك يا أنوبو.. لقد حاول أن يفعلها معى عندما حضر ليأخذ البذور.. كنت أجلس أصفف شعرى فاقترب منى، وألقى كيس البذور على

الأرض، وراح يتفاخر بقوته ويسخر من ضعفك.. وعندما نهيته هاجمنى وألقانى على الأرض، وحاول أن يسرق منى ما تملكه أنت وحدك.. وقاومته بكل عنف وإصرار، وأنا أقول له أن أخاك كأبيك فلا تسرق عرضه.. ولكن الإثم كان لا يريد أن أغيب عن نظرات عينيه، فأقسم أن ينالنى بالقوة.. وإذا امتنعت عليه راح يضربنى ويشتمنى حتى سقطت من إعياء. ثم راح يقسم أن يقتلنى إذا بحت لك بما حدث.. ومع هذا أنا أشكو إليك ولا أخفى عنك أمراً.. على حين أعرف أننى إذا أخبرتك إنما أضع حدّاً لحياتى التى سيسلبها منى عندما يعرف أننى أخبرتك.. هذا إذا لم تسبق أنت وتضع حدّاً لحياته هو نفسه..!

وأخذ الإثم والعار برأس أنوبو.. ولم يطق تخيل تلك الصورة التى طلع عليها من خلال كلمات امرأته.. فأخرج خنجره فشحذه، وانطلق به إلى الحظيرة متربصاً خلف الباب فى انتظار وصول أخيه.

ومضت لحظات.. ثم ظهر بايتى وهو يسوق أمامه بقرأته فى الطريق إلى الحظيرة.. ولم تكد أول البقرات تدلف من الباب حتى سمعها تقول:

- حذار حذار.. إن أخاك متربص لك وراء الباب وفى يده خنجر مشحوذ.. فانج بنفسك..!

ودخلت البقرة الثانية.. فسمعها هى الأخرى تعيد ما قالت الأولى، وكلما دخلت بقرة جديدة سمع نفس التحذير والإنذار.

وأخذ العجب بالفتى الصغير.. وانحنى بناظريه يحاول استطلاع ما خلف الباب.. فإذا قدما أخيه تتحركان فى بطء.. استعداداً للحظة الهجوم.

وفى لحظة.. أدار بايتى رأسه، وانطلق يعدو بكل ما فى جسده من قوة،

ومن خلفه انطلق أخوه رافعاً خنجره الطويل المسنون..!

واستعان بايتى بالإله رع حورس، وراح يهتف فى رعب:

- أيها الإله الشمس.. يا من تنتصر للمظلوم على الظالم، أقم الحواجز والسدود بينى وبين أخى..!

واستجاب الإله لدعوات الفتى.. فإذا نهر هائل يجرى بينه وبين أخيه.. تمتلئ مياهه بأفواه التماسيح.. وإذا رأى الفتى ذلك توقف عن الجرى، والتفت إلى أخيه الواقف يغلى على الضفة الثانية..

- يا أخى أنوبو.. ابق مكانك حتى تطلع الشمس.. فتحكم بعدلها بينى وبينك، ويأخذ كل واحد منا حقه.. ولكنى أنبئك منذ الآن أننى سأذهب إلى وادى الطلح.. ولن أقيم بعد ذلك فى مكان تكون أنت مقيماً فيه..!

وعندما طلع النهار، وأشرق رع حورس، وقف الأخوان يحتكمان إليه.. وقال بايتى يخاطب أخاه:

- لماذا حكمت علىّ بالموت قبل أن تستمع إلى دفاعى؟ أنا لست خائناً ولا يمكن أن أكون.. لقد بعثتنى لأجلب البذور.. فراحت امرأتك تقول إننى أقوى منك وأكثر عنفواناً.. وزينت لى الإثم وهى تقول إنها كانت تتمنى أن أكون أنا زوجها.. فعنفتها ونهيتها ثم انصرفت وفى الوقت الذى رفضت فيه أن أخبرك بالأمر حفظاً عليها، كانت هى تختلق قصص الإثم لتقتص منى.. واستمعت أنت إلى الأفعى فخنت أخوتى وغدرت بى وأردت أن تقضى علىّ!

وسكت الفتى وهو يمسح دموعه للحظات.. ثم عاد يقول:

- وبرغم كل ما أردت أن تصنع بى يا أخى سأصفح عنك.. فعد إلى بيتك وزوجتك، واعتن وحدك ببقراتك.. أما أنا فسأذهب إلى وادى الطلح،

ولن أقيم بعد حيث تكون..!

وبكى أنوبو وهو يعتذر لأخيه:

- أنا مؤمن بخطئى، وسأعرف كيف انتقم من المرأة الخائنة.. ولكن أنت يا أخى، لا تتماد فى غضبك، وابق معى نعش كأحسن ما يكون الإخوة، وانزع عن رأسك هذه الأفكار التى ملأته.. فلن تستطيع الحياة وحدك بوادى الطلح، حيث الوحوش والشياطين.

وهز الفتى الصغير كتفيه وهو يجيب:

- لقد انتهى ما كان يربطنا منذ سللت خنجرك لتطعننى.. ومع هذا فإن كنت لا تزال تحب أخاك، فسيمهد لك رع حورس فرصة التوبة عندما أقع أنا فى مصيبة، ولا يكون هناك من أحد ينقذنى سواك.

وهتف أنوبو:

- كيف أستطيع إنقاذك يا بايتى، وأنت فى وادى الطلح، على حين أقيم أنا هنا، ولا أدرى من أمرك شيئاً.

قال له بايتى:

- سأضع قلبى على إحدى زهرات الطلح بقوة السحر.. فإذا حدث وقطع أعدائى ساق الشجرة فسيقع قلبى على الأرض، وعندئذ ستفور الجعة فى كأسك وتتعكر، وستحس مرارة كالنار فى حلقك، فإذا أردت فى تلك اللحظة أن تنقذنى، فالق بالكأس على الأرض، وأسرع إلى وادى الطلح باحثاً عن قلبى الذى سيكون قد غاص واختفى.. فإذا وجدته فضعه فى إناء ماء بارد.. وعندئذ ترتد إلى جسدى الحياة وأنهض لأنتقم بنفسى من كل من أراد إلىّ الموت..!

وانطلق بايتى إلى وادى الطلح وعاد أنوبو إلى بيته، فهاجم امرأته ومزقها

بنفس الخنجر الذى أرادت أن يقتل به أخاه، وحمل الجثة الخائنة فألقى بها إلى الكلاب..!

***

عاش بايتى فى وادى الطلح هادئاً سعيداً، يقضى أوقاته فى مطاردة حيوانات الصحراء، ويعود مع الليل إلى بيت أنيق صغير أقامه فى جانب الوادى.

وبينما هو جالس ذات يوم، مر به الآلهة التسعة الذين يتدبرون شؤون مصر.. وقالت له الآلهة:

- ألا تؤلمك العزلة يابنى؟ أليس من الخير لك أن تعود إلى بيتك بعد أن ثأر لك أخوك من امرأته؟

وسجد بايتى للتاسوع المقدس.. والتمس من الآلهة أن يتركوه فى وادى الطلح حيث يعيش..

ورأى رع حورس أن يخفف عن الفتى وحشة العزلة، فأمر الإله الخلاق «خنوم» أن يخلق له امرأة تشاركه الحياة. وخلق له «خنوم» زوجة أجمل من كل نساء الأرض، تشبه إيزيس..!

وهبطت الزوجة لتقع بين أحضان الفتى الصغير.. وملأته فرحة غامرة وسعادة لا توصف.. ولم يدر أن ربات الجمال السبع ماكدن يشاهدنها وهى تقع بين ذراعيه حتى تنبأن فى صوت واحد بأنها ستموت بالسيف..!

وأحب بايتى امرأته كما لم يحب رجل امرأة قط.. وبلغ به الحب حد أن صار يغار عليها من النيل نفسه، فمنعها من مغادرة الدار أو الاقتراب من النيل حتى لا يخطفها النهر.. ومن أجل أن يؤكد لها مدى حبه وإخلاصه، كشف لها عن سر قلبه المعلق على زهرة شجرة الطلح، وحذرها من قطعها

حتى لا يفقد حياته ويموت..!

وخرج بايتى للصيد ذات يوم.. وكان الضجر قد أخذ بامرأته لطول ما أقامت وحدها فى البيت فانتهزت الفرصة، وغادرت الدار منطلقة إلى حيث شجرة الطلح التى حذرها من الذهاب إليها ودفعها الفضول إلى رؤية القلب المعلق على الزهرة، وإذ أشبعت فضولها، جلست على جانب النهر، وكشفت عن ساقيها الجميلتين، ودلتهما فى الماء وهى تحركهما فى صخب ولذة وانطلاق.

واضطرب النيل وأثاره مرأى الساقين الجميلتين، وأحس جوى إليها، فدفع أمواجه تضمها وتحاول اختطافها، ولكنها سارعت برفع ساقيها العاريتين، وانطلقت تجرى فى خوف إلى داخل الدار.

وأسف النيل لهرب المرأة التى رغب فيها.. وراح يتوسل إلى شجرة الطلح أن تدعه يخطفها، ولكن الشجرة رفضت توسله، وظلت على رفضها وهو على توسله، حتى أشفقت به آخر الأمر، فمنحته خصلة من شعر المرأة، يشم فيها عبيرها ويطفئ بها ظمأه المجنون..!

وحمل النيل خصلة الشعر وراح يجرى ولم ينتبه خلال جريه إلى مغسلة فرعون التى كانت تمتد من جانب الشط، فإذا بخصلة الشعر تسقط فى المغسلة، وإذا بالطيب الساحر يتسرب منها إلى ثياب فرعون فيثير أعصابه، ويقسم ليقتلن رئيس الغسالين إذا لم يأته بسر الطيب..!

وراح رئيس الغسالين يبحث وينقب، حتى عثر آخر الأمر على خصلة الشعر فى المغسلة، فحملها إلى فرعون الذى شمها، فأحس نشوة صاخبة مجنونة، وأمر بالسحرة أن يأتوا إليه للتو.

واجتمع كل سحرة المملكة عند الملك.. وراحوا يفحصون خصلة الشعر

ولا يفهمون لها سرّاً.. ولكن واحداً منهم هتف آخر الأمر:

- أيها الملك، هذه الخصلة انتزعت من شعر إحدى بنات الإله رع حورس.

وأقسم الملك ليبحثن عن ابنة الإله ذات العبير الساحر، وأرسل رسله يجوبون كل أنحاء الأرض، وعاد بعضهم ليرفعوا تقارير فشلهم إلى الملك، أما الآخرون الذين ذهبوا إلى وادى الطلح، فلم يعد منهم سوى واحد فقط، استطاع الهرب من بايتى الذى قتل كل رسل الملك عندما حاولوا التسلل لمعرفة مكان امرأته.

وانطلق الرسول الهارب إلى الملك يخبره بمكان ابنة الإله رع حورس.

وأمر الملك فرقة من الفرسان والرماة بالذهاب إلى وادى الطلح. وأرسل مع الفرقة امرأة أوصاها بمرافقة ابنة الإله متى تم اختطافها، ومساعدتها على التأنق والتزين، وكمنت الفرقة بين الغاب حتى خرج بايتى للصيد.. فهاجموا البيت الصغير، واختطفوا المرأة التى خلقها «خنوم» وانطلقوا بها إلى فرعون

***

عاشت المرأة فى القصر سعيدة كملكة.. واستقر بها الرأى أن تبقى هناك حتى الأبد، ولا تعود إلى وادى الطلح حيث الرجل الذى لم تخلق لسواه.. وعندما بدا لها أن سيأتى اليوم الذى لابد أن يعثر عليها فيه زوجها، انطلقت إلى فرعون تكشف له سر القلب المعلق على زهرة شجرة الطلح، وكيف يفقد الرجل حياته متى قطعت الشجرة وسقط القلب..!

وانطلق رسل الملك من جديد إلى وادى الطلح وعندما عادوا كانت الشجرة قد قطعت، وكان القلب قد اختفى تحت الأرض.

ومضى نهار كامل.. وجاء مساء..

وجلس «أنوبو» الشقيق الأكبر فى بيته يملأ كأسه، فإذا بها تتعكر وتزبد.. ومن خلال زبد الجعة شهد أنوبو وجه شقيقه.. فأدرك أنه فى مكروه.

ولبس أنوبو حذاءه وحمل سلاحه، وأخذ طريقه إلى وادى الطلح، وعندما دخل بيت أخيه وجد الجثة لاتزال ساخنة فوق الفراش.. وراح يبحث هنا وهناك عن القلب الضائع، ولكنه لم يستطع أن يعثر عليه.

واستمر أنوبو يبحث ويجد فى البحث.. وراحت الأيام تنقضى وتعقبها الشهور، وهو لا يزال يبحث عن قلب أخيه حتى مضت ثلاث سنوات.. وأدرك فى النهاية أن الأمل قد ضاع، وقرر أن يعود إلى المدينة.

وفى اليوم الذى يسبق الرحيل، نزل أنوبو يبحث عن قلب أخيه للمرة الأخيرة، فظفر ببذرة فى شكل قلب، لم يكد يضعها فى كأس به ماء بارد، حتى انتفخت، وظلت تتشبع بالماء وتنتفخ حتى صارت فى حجم القلب، ولم يكد القلب يبلغ حجمه الطبيعى حتى تحرك الجسد الذى كان لا يزال محنطاً فوق الفراش، وفتح بايتى عينيه، وعادت الحياة إليه.

***

انطلق الاخوان عائدين إلى منفيس.. وخلال الطريق راح بايتى يقص على أخيه كيف سينتقم من المرأة التى خانته، والملك الذى قتله.. واتفقا معاً على الطريقة التى يمكن أن يدخلا بها القصر.

وفى الصباح، تحول بايتى إلى صورة ثور.. يحمل كل علامات التقديس.. من سواد الشعر، وبياض الجبهة وانتصاب نسر مبسوط الجناحين على الظهر وصورة جعران على اللسان، مع غزارة فى شعرات الذيل..!

وطلب بايتى من أخيه أن يقوده فى تلك الصورة إلى القصر حيث تعيش امرأته.. وقال له:

- سر بى إلى بلاط فرعون، فهناك سيحسنون وفادتك، ويقدمون لك خير الطعام، ويثقلونك بالذهاب والفضة.. وسينظر الناس إلىّ كتحفة خارقة، ويقدسوننى ويجعلون لى فى الأرض أعياداً، عندئذ عد أنت إلى بيتك واتركنى داخل القصر حيث أنزل نقمتى بكل من فيه.

وانطلق أنوبو يقود الثور فى الطريق إلى القصر.. وأطلت الملكة فإذا ثور مقدس فيه كل علامات التقديس يقوده فلاح، فأمرت باستدعاء صاحبه.

ودخل أنوبو يقود الثور حتى القاعة التى يجلس فيها الملك والملكة، فلم يكد الملك يرى الثور حتى انحنى له، ثم أمر بأكياس من الذهب والفضة تهدى للفلاح، وأخذ الجنود الثور إلى حظيرة أنيقة، لا يغلق بابها أبداً، وكلف أمهر العبيد بالسهر عليه وتدليله ورعايته كل صباح ومساء.

وراحت الأيام تمضى وبدأ الثور ينزل وحده من الحظيرة إلى الحديقة، ولا أحد يمنعه، فما كان أحد فى مصر يجرؤ على اعتراض طريق ثور مقدس، أو حرمانه من التمتع بحريته.

وذات يوم دخل الثور حرم القصر، ووقف أمام أجمل نساء فرعون واحلاهن.. ولم تكن سوى الملكة.. زوجته..!

وانتبهت امرأة فرعون إلى الثور، ومدت كفها تربت على شعره.. ولم تكد تفعل حتى سمعت من بين شفتى الثور صوتاً يدعوها.. فانحنت لتنصت.. وقال الثور:

- انظرى.. ها أنا حي..!

وهتفت الملكة فى فزع ورعب:

- أنت..؟! من تكون أنت..؟!

وقال الثور:

- أنا بايتى زوجك الذى خلقك من أجلى الإله، لقد طلبت من الملك قطع الشجرة لأموت.. ولكنى مع ذلك مازلت حيّاً فى جسد ثور..! وغادر الثور حرم القصر.. وترك زوجة فرعون أشد ما تكون فزعاً ورعباً..

ومضى يوم.. وتبعه آخر..

وبينما كان فرعون يجلس إلى زوجته حول مائدة عامرة بأطايب الطعام والشراب، راحت هى تصب له الكأس ومن خلفه كأس.. حتى ثمل وانهار.. وأسلس لها القياد.. هنا قالت المرأة لفرعون:

- عدنى بحياة رع حورس، أن تمنحنى كل ما أطلب منك..!

وضحك الملك فى نشوة لا تعى وهو يقول:

- وحياة رع حورس.. لأمنحنك ما تطلبين..!

- إذاً امنحنى كبد ذلك الثور الحبيب..!

وفى نشوة الخمر.. وانتظار اللذة.. أمر الملك بذبح الثور.. وانطلق الجزارون وفى أيديهم السكاكين، وعندما غادروا الحظيرة كان كل شيء قد انتهى.. وكان جسد الثور محمولاً على أعناقهم وقد فارق الحياة!.

ومر الجزارون وجسد الثور معهم أمام باب فرعون، وبينما هم يمرون، قطرت الجثة دماً أمام الباب، لم ينتبه إليه أحد، ومر اليوم وجاء صباح، فإذا شجرة لبخ قد ارتفعت حيث قطر الدم.. وهى تحمل ثماراً حلوة لذيذة مقدسة..!

وأحيط الملك علماً بالمعجزة.. فأقام حفلاً رائعاً للشجرة.. اشترك فيه كل أهل بلاد مصر..

ومضت أيام..

وهبط الملك إلى الحديقة ذات يوم وإلى جواره زوجته، وتحت شجرة اللبخ المقدسة جلس الملكان يتساقيان كئوس الحب.. وإذ هما فى نشوتهما

انتبهت الملكة إلى صوت يقول لها:

- أيتها المرأة الخائنة.. أتفعلين ذلك وانت تستظلين بظلى أنا زوجك بايتى..؟!

وصرخت المرأة وهى تحملق فى الشجرة التى عادت تقول:

هأنذا ما أزال حيّاً برغم كل أوامرك وخياناتك.. لقد طلبت قطع شجرة الطلح ليموت قلبى، وأمرت بذبح الثور لأ فقد الحياة.. ولكنى مع ذلك لا أزال حيّاً أتبعك فى تلك الشجرة التى تطل عليك كل صباح ومساء..!

ومضت أيام أخرى..

وبينما الملكة تقضى مع الملك وقتاً لا يكاد خلاله يستطيع أن يرفض لها طلباً.. قالت له الملكة:

- عدنى بحق رع حورس.. أن تمنحنى كل ما أريد..!

- وحياة رع حورس.. لأمنحنك كل ما تريدين.

- أصدر أمرك بقطع شجرة اللبخ.. وليصنع لى من خشبها خزانة جميلة.. رائعة..

وفى اليوم التالى أمر الملك بقطع شجرة اللبخ ووقفت الملكة تتشفى بينما النجارون يشقون الساق ويمزقونه ليصنعوا لها خزانتها.

وفجأة.. وبينما هى تأمر وتنهى.. طارت إلى فمها قطعة صغيرة من الخشب ابتلعتها بالرغم منها.. ولم تهتم لها أبداً..

ومضت أيام وشهور.. وجاء الملكة المخاض..

وولدت امرأة فرعون ولداً ذكراً.. لم يكن سوى بايتى.. هو نفسه..!

وفرح الملك بالطفل الصغير.. وأعلنه وليّاً للعهد ووارثاً للملك من بعده

على كل أرض مصر..!

وراحت السنوات تمضى والأمير يكبر والملك يقترب من الشيخوخة.. وعندما بلغ الفتى عنفوانه، كان فرعون فى طريقه إلى السماء.

وملأت الأفراح كل مصر وهى تحتفل بالملك الجديد وبينما الكهنة يضعون على رأس فرعون تاجه.. طلبوا منه أن يتزوج أمه.. زوجة الفرعون الراحل..!

وجلس فرعون الجديد على العرش.. ودعا إليه كل الكهنة، وكل القادة، وكل من فى مصر من أعيان..

وبينما الجميع ينتظرون أن يعلن الملك زواجه بالملكة.. انطلق صوته عميقاً يحكى كل ما كان.. منذ خرج هارباً من دار أخيه.. حتى أجلسته الآلهة على عرش مصر.. وبين هذا وذاك عرف الجميع من تكون المرأة التى تقف أمامهم لتكون زوجة الملك الجديد..!

وارتفع صوت الملك يسأل كهنته وقواده عن الحكم الذى ينزلونه بالمرأة الخائنة.. وفى صوت واحد قال الجميع:

- الموت..!

ونفذ الحكم.. وبالسيف قطع رأس الملكة.. تماماً كما تنبأت لها ربات الجمال السبع.

أما بايتى.. فقد استمر يجلس على عرش مصر عشرين سنة.. طار بعدها إلى السماء تاركاً عرشه لأنوبو.. الأخ الذى كاد يقتله ذات يوم بسبب امرأة..؟!

8- جعة (بيرة) هليوبوليس

كان رع يحكم الوجهين، وكان ثانى ملوك مصر، وقد شمل السلام البلاد فى عهده، وقد زادت المحاصيل وعمت البركة والخير كل الأقاليم حتى إن الناس يتحدثون إلى اليوم عن البركة التى حلت بالبلاد فى عهد رع.

ولقد خلق رع نفسه بقدرته، ثم خلق السموات والأرض، ثم خلق الآلهة والبشر، ثم حكم أولئك جميعا.

ولقد ظل آلاف السنين يحكم ما خلق، حتى دبت الشيخوخة إلى جسده الإلهى، ولم يعد الناس يخافونه كما كانوا فى الماضى، بل وكانوا يضحكون ويتغامزون إذ مر بهم قائلين: «انظروا إلى رع، إنه أصبح شيخاً، إن عظامه أصبحت ترن كالفضة، وقد تصلب لحمه فأصبح كالذهب، وأصبح شعره فى زرقة اللازورد».

وأخذ رع يستشعر المهانة كلما استمع إلى همسهم الخبيث، أو ضحكهم المستهتر، وذات يوم دعا إليه الآلهة الذين يحفون بموكبه وصاح فيهم «ائتونى بابنتى، وقرة عينى، ونادوا الآلهة شو، وتفنوت، وجب، ونوت، والإله العظيم نون، الذى يسكن نهر المجرة وسط السماء، نفذوا أوامرى سرّاً حتى لا يسمع الناس أو يروا شيئاً مما يحدث وحتى لا يخافوا فيختبئوا.

وفى السر ذهب الرسل، وانطلقوا فى هدوء يبلغون الرسالة إلى الأرباب، وقد أقبل الأرباب فى الخفاء، لم يشعر بانتقالهم أحد، حتى وصلوا إلى قصر رع العظيم فى مخبئه السرى، فلم يحس الناس بكل ما حدث، فاستمروا فى تغامزهم وضحكهم، وهم لا يعلمون بالعقاب الرادع الذى يوشك أن يحل بهم.

وحف بالعرش الأرباب والربات، المقبلون من شتى الجهات، وانحنوا فى خشوع

أمام رع، حتى مست جباههم الأرض قائلين: «مرنا نطعك أيها الإله العظيم؟».

وعندئذ قال رع لنون العظيم، الذى يقطن نهر المجرة وسط السماء «أيها الإله العظيم يا أكبر الآلهة سناً، يا من نسل منك الجميع.. انظر إلى الناس الذين خلقتهم من عدم.. انظر كيف يسخرون منى، ويهزأون بى، ماذا أصنع بهم..؟ قل لى؟ إننى قررت ألا أذبحهم قبل أن أستشيرك فى ذلك وأسمع رأيك»؟

وأجاب الإله العظيم نون الذى يقطن نهر المجرة وسط السماء: «رع.. يا بنى.. يا أكبر الآلهة يا أقوى الملوك، أسرع بموكبك الخالد، وليحل غضبك على العالم، أرسل إليهم ابنتك وقرة عينك سخمت، حتى لا تدع منهم حيّاً».

وتكلم رع ثانية فقال: «انظر.. انهم سيفرون إلى الصحارى والجبال، ويخبئون أنفسهم إذا شعروا بالخوف نتيجة سخريتهم وضحكهم، ولن يستطيع أحد أن يجدهم فى الصحارى والجبال».

وقالت الأرباب والربات مجتمعين، وقد أحنوا جباههم أمام رع: «أرسل عليهم ابنتك وقرة عينك.. أرسل عليهم سخمت».

وعندئذ أقبلت ابنة رع، التى يسمونها سخمت، لبؤة ممفيس ويسمونها هاتور، أشرس الربات على الإطلاق، تنقض على فريستها كالأسد.. التذبيح مسرتها المثلى، ومتعتها فى عب الدماء.

وانطلقت سخمت استجابة لرغبة أبيها، إلى أرض الشمال وأرض الجنوب، لتذبح الثائرين على أبيها رع، فأحالت ثورتهم إلى سخرية وأضحوكة للعالمين، ولقد ذبحتهم جميعاً فى أرض تامرى وكذلك على الجبال المستلقية شرق النهر العظيم وغربه، وأخذت تضرب هنا وهناك، فتذبح كل من يعترض طريقها، وأمامها تفر جموع الخارجين والثائرين.

وأطل رع من عليائه على الأرض، فراعته تلك الأنهار من الدماء فصاح بابنته: «كفى.. كفى يا ابنتى.. وليحل السلام يا هاتور ألم تنتهى بعد مما أمرتك به؟».

فضحكت هاتور كما تضحك اللبؤة، وهى تعب من دم الفريسة وصاحت: «بحق حياتك يا رع.. إننى أنفذ قضاءك فى الناس، وقلبي بذلك سعيد».

وجرى النهر أحمر قانياً عدة أيام، والربة المتوحشة تعب من دماء الناس، وقد تخضبت أقدامها بالدماء، وهى تسير فى أرض مصر حتى وصلت إلى هنن - تى - سوت..

وأطل رع من عليائه على الأرض مرة أخرى فامتلأ قلبه شفقة ورثاء للبشر، الذين ابتدعتهم يداه، رغم أنهم سخروا منه وتضاحكوا عليه، ولكن أحداً لا يستطيع أن يوقف الربة المتعطشة للدماء عند حد، حتى رع نفسه، ولن تتوقف عن تذبيح الناس حتى تروى غلتها فالآلهة والناس لا يستطيعون لها دفعا، ولن تتوقف إلا بالخديعة والدهاء.

وأصدر رع أوامره قائلاً: «إليَّ بالرسل الخفاف الذين يسرعون كالريح العاصف» فلما أن حضروا إليه قال لهم: «اذهبوا إلى جزيرة فيلة.. أسرعوا.. عجلوا.. وأحضروا إلى الثمار التى تجلب النوم.. أسرعوا وعجلوا، فينبغى أن تكون الثمار هنا قبل فجر الغد..».

وأسرع الرسل بسرعة كسرعة الريح العاصفة حتى بلغوا جزيرة فيلة، حيث مياه النهر العاتى تتكسر على صخور الشلال فى عنف وهدير، وأحضروا الثمرة التى تجلب النوم، ثم قدموها لرع، وكانت الثمرة حمراء قرمزية، وكان عصيرها فى لون دم البشر، وحملها الرسل إلى هليوبوليس مدينة رع.

وجرش نسوة هليوبوليس الشعير وصنعوا منه الجعة، ومزجوا عصير الثمرة المنومة بالجعة، فأصبح لون الجعة كالدم النجيع وصنعوا منها سبعة آلاف مكيال، وخمروها فى عجلة، لأن الليل يوشك أن ينقضي، وقد لاحت طلائع الفجر.

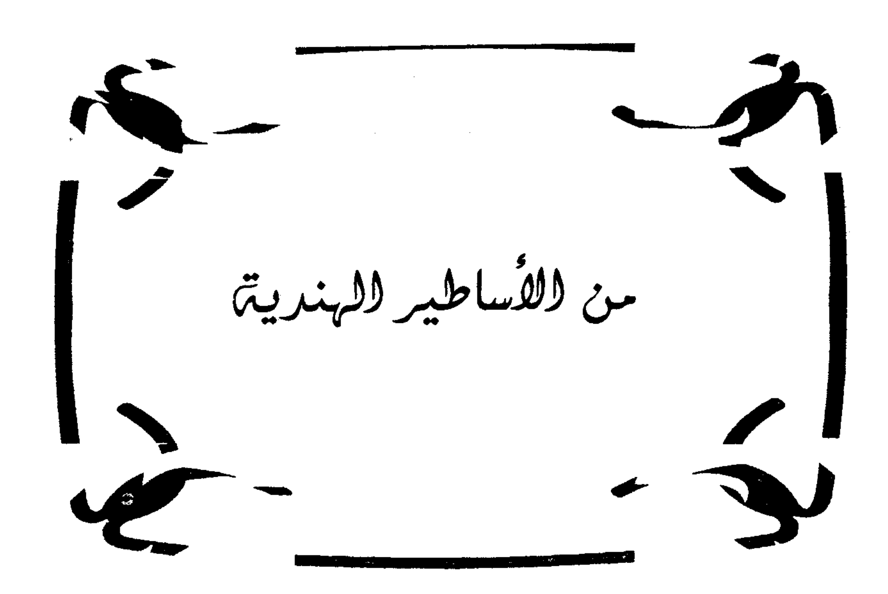
وأقبل رع، وفى موكبه الأرباب والربات، ليفحصوا الجعة المصنوعة، وقد وجدها رع فى لون دم الإنسان، فقال: «إنها جعة جيدة، بهذا سأحمى البشر من الفناء».

وعندما أشرق الفجر أصدر أمره: «احملوا هذه الجعة إلى حيث المذبوحون من الرجال والنساء، وصبوها فى الحقول قبل أن ينقشع الظلام».

وصبوا الجعة على الحقول فغمرتها جميعا، حتى بلغ مستواها ارتفاع أربع نخلات باسقات.. وكان لونها كالدم النجيع.

وفى الصباح أقبلت سخمت المتوحشة وهى على أتم استعداد لتعمل الذبح والتقتيل، وبينما هى متقدمة أخذت تتلفت هنا وهناك لعلها أن ترى فريسة تفتتح بها يومها، ولكنها لم تر شيئاً.. وأبصرت بالحقول التى تغمرها الجعة بلون الدماء، فكشرت عن أنيابها وضحكت كما تزأر اللبؤة الشرسة، وقد ظنت أن تلك الدماء الجارية من صنعها، وأنها قد سفكتها جميعاً، فانتشت طربا، ومالت على الجعة وأخذت تشرب..! أخذت تشرب وتشرب.! وكلما أمعنت فى الشرب أمعنت فى الضحك، لأن النشوة لعبت برأسها، وبدأ مفعول الثمرة يجلب النوم إليها، فلم تعد تستطيع التذبيح والتقتيل.

وناداها رع إليه قائلاً: «تعالى يا جميلتى» فأقبلت إليه سكرى تتعثر، وهكذا أنقذ رع البشر من الفناء، وحماهم من غضب الربة المتوحشة..!



من الأساطير الهندية

1- المصباح المسحور

«بين هذه الأسطورة فى أدب الهند.. وأسطورة علاء الدين فى ألف ليلة وليلة شبه كبير.. وليس شك أن لكل منهما أصلاً واحداً، يؤكد ذلك أن أغلب أساطير ألف ليلة يوجد لها شبه فى أساطير الهند والصين.. بل وفى كثير أيضاً من أساطير فينقيا.. على أن كل واحدة منها تختلف فى الغالب عن شبيهتها بتأثير البيئة وأصول الحياة التى تعيش فى أرضها كأسطورة.. كما حدث فى «المصباح السحرى».

عندما فتحت الباب، وجدت أمامها عملاقاً أسود قبيح الخلقة كوجه عفريت.. وإذا أرادت أن تغلق فى وجهه الباب وضع قدميه بين ضلفتيه ليمنعها.. وقال لها:

- ما كنت أظن امرأة فى العالم تستقبل شقيق زوجها الأكبر كما تستقبليننى الآن..!

وتوقفت يدها فوق الباب وهى تحدق فى وجهه.. أيمكن أن يكون هذا العملاق حقّاً شقيق زوجها الذى مات منذ سنوات؟! لقد كان زوجها خفيف السمرة وهذا أسود.. وكان زوجها قصيراً وذاك عملاق، وكان لزوجها عينان صافيتان كماء البئر، بينما عيناه هو تبرقان بريق الثعبان فى خبث ودهاء.

وانتبهت المرأة من تفكيرها على صوته يقول:

- لقد تركت تجارتى فى بلاد الرقراق وجئت لأطمئن على أخى الذى افترقت عنه منذ أكثر من عشرين سنة. وانى لأكاد أموت جوعاً لطول الرحلة عبر الصحارى والقفار، كما أحس رعدة الحمى من البرد بعد إذ أغرقتنى

مياه الأمطار طوال ليلة أمس.. فهيا يا امرأة أخى خذينى بقرب النار أستشعر الدفء على حين تعدين بعض طعام يزيل عنى الجوع الذى يكاد يقضى علىّ..!

وأمام المدفأة وهو يأكل، راح الرجل يسمع من الأرملة كيف مات أخوه فى حادث بالبحر، وكيف أحضروه إليها وهو لا يستطيع أن يخرج من بين شفتيه سوى لفظ واحد فقط لم تستطع أن تفهم ما يعنيه.. فقد كان يقول.. الكنز.. الكنز.. ولا شىء بعد.

وفكر الرجل قليلاً وهو يتلكأ فى المضغ قبل أن يجيب:

- الكنز يا زوجة أخى العزيز.. الكنز.. أجل إنك تريدين معرفة مكانه.. ولعلك إذا أذنت لولدك بالخروج معى للبحث عن الكنز الذى أظنه فى واد كنا قد اجتزناه معاً أنا وزوجك ذات يوم.. فسنعود معاً محملين بجواهر لا حصر لها ولا مثيل.

وابتلعت المرأة لعابها وهى تبتسم فى فرح.. فقد استطاعت أخيراً أن تعرف سر الكنز..!

وظل الرجل ضيفاً عليها لبضعة أيام وعندما جاء اليوم الذى حدده للرحيل خرج ومعه الغلام يحمل كيساً كبيراً ملأته لهما المرأة بكل ما يلزمهما خلال الرحلة من طعام وشراب.. وقطع الاثنان معاً عدة أميال فى طرق طويلة وعرة.. وإذ أحس الغلام بالتعب قال لعمه:

- لقد تعبت يا عماه.. وما عدت أقوى على السير أكثر مما سرت..

وعنف الرجل الغلام فى قسوة لضعفه وخوره.. فاندفع يمشى بأقصى ما يستطيع من سرعة يمكن أن يحتملها جهده الصغير..

وتوقفا آخر الأمر عند تل تسلقاه.. وعندما بلغا قمة التل أمر التاجر

الفتى الصغير بجمع حمل كبير من الحطب، واشعال النار فيه وجمع الفتى الحطب ثم وقف أمامه لا يدرى كيف يوقده على حين أن عمه واقف يتأمل.. ولا يفعل شيئاً قط..!

وأمره الرجل أن ينفخ بفمه كما لو كان يشعل النار.. وظل الغلام ينفخ وينفخ والنار لا تريد أن تشتعل.. وقال لعمه:

- عماه..

ولم يتركه الرجل يكمل.. فقد صفعه على وجهه وهو يقول:

- اسكت أيها البغل فلست عم أحد.. انفخ..

وعاد الفتى ينفخ فى الحطب ورأسه تدور.. فهذا الرجل ليس بعمه.. وهو لذلك يعذبه ويصفعه ويقسو فى معاملته قسوة لا يبررها شىء قط..

وفوجئ الفتى بالرجل يلطمه من جديد ويقول:

إنك لا تنفخ جيداً.. أنفخ وإلا قضيت عليك..!

وبكى الغلام.. وأبى أن يعيد النفخ..

وانهال الرجل عليه ضرباً وركلاً حتى تعب.. وتحول هو إلى الحطب وراح ينفخ فيه بقوة.. حتى اشتعلت النار فجأة.. وأمسكت بالحطب حتى أتت عليه وعندئذ.. ظهر بين الرماد باب سحرى، أمر الرجل الفتى الصغير أن ينحنى عليه ويفتحه بيديه.

وراح الغلام يجذب الباب بشدة، ولكن الباب أبى أن يفتح وعاد الرجل يضرب الفتى بشدة ويقول له:

- إنك بغل كبير.. لا تريد أن تعمل إلا تحت ضرب السياط.. وعاد الصغير يجذب الباب بكل ما منحه الله من قوة.. وأخيراً رفع الباب من مكانه.. وإذا

تحت الرماد سرداب طويل يضيئه مصباح.. تراكمت حوله كميات كبيرة من الزهور مصنوعة من ذهب..!

وأمر الرجل الغلام بالنزول فى السرداب.. وحذره من أن يطأ الزهور الذهبية بقدميه، وأمره أن يذهب إلى المصباح المعلق فيأخذه وينير لنفسه المكان.. حتى يستطيع أن يجمع أكثر ما يستطيع جمعه من الأزهار الذهبية، ويضعها على صفحة من فضة كانت هناك.

ونفذ الغلام الأمر ورفع الصفحة المملوءة بأزهار الذهب فناولها الرجل، ثم طلب منه أن يرفعه إلى الخارج ليغادر السرداب غير أن الرجل لم يكد يأخذ صفحة الذهب حتى ضرب الكفين الممدوتين إليه فى قسوة، ثم أغلق الباب الحديدى السحرى.. ومضى تاركاً الصبى حبيساً داخل السرداب المظلم المخيف..!

وراح الغلام يبكى ويستغيث ولكن صوته الضئيل لم يكن من الممكن أن يخترق الباب الحديدى الضخم الذى يفصل بين السرداب وسطح الأرض..!

ومرت الساعات طويلة قاسية، وبدأ اليأس والجوع يحطمان أعماق الفتى الصغير.. وراح يبكى.

وبدأت عيون الفتى تنضب فلا تجد حتى الدموع ومد يده الصغيرة يمسح ما فوق خديه من آثار الدموع.. وقد خطر بباله أن ينهض ليدور فى السرداب عله يجد أى شىء يستطيع أن يأكله.

ومد الفتى يده إلى الأرض يتكئ عليها وهو ينهض، فاصطدمت كفه بالمصباح الذى كان ملقى على الأرض فى الظلام.. واحتك الخاتم الذى يضعه فى أصبعه بجوانب المصباح.. وفى لحظة أضاء المصباح كأنه البرق.. ثم

خرج منه فى الحال عفريت مارد.. انحنى أمام الغلام فى احترام وقال له:

- مولاى.. أنا عبدك بين يديك.. مر بما تريد أنفذه فى اللحظة والتو..!

وارتعد الفتى الصغير وهو يرى العفريت غير أن انحناءته وكلماته العامرة بالاحترام أزالت من قلب الفتى شبح الخوف.. وانطلق لسانه يقول فى دشهة:

- هل تستطيع يا سيدى أن تفتح الباب وتخرجنى..!

وفى لمح البرق، مد العفريت ذراعه العملاقة فنحى الباب الحديدى، ثم مد يده فرفع الغلام من داخل السرداب ليضعه على سطح الأرض. ولم يكد يفعل حتى اختفى فجأة تماماً كما ظهر من قبل.

وانطلق الغلام يجرى ويجرى، وفى يده المصباح حتى بلغ داره، وعندما دخل البيت ألقى بنفسه فى أحضان أمه التى صرخت وهى تشهد هزاله، وسألته عما به فقال لها: إنه لا يستطيع أن يقص عليها الأمر حتى تقدم له ما يسد منه الرمق.

وقالت الأم فى أسف حزين:

يا ولدى المسكين.. ليس فى المنزل شىء أقدمه لك..!

قال الغلام:

- لا تحزنى يا أمى.. سأبيع هذا المصباح الذى وجدته فى السرداب ثم نشترى بثمنه طعاماً كثيراً.

وبدأ الفتى يحك المصباح لينظفه ومرة أخرى لمس الخاتم جوانب المصباح.. فإذا البرق يخطف وإذا العفريت ينطلق منه وينحنى فى احترام ويقول:

- مولاى.. أنا عبدك بين يديك.. مر بما تريده أنفذه فى التو واللحظة.

- ولم يرتعد الفتى هذه المرة.. بل قال له فى شجاعة:

- أرجوك أن تأتيتى بأرز مطهو.. وآخر غير مطهو..!

وفى اللحظة نفسها.. امتدت أمام الفتى وأمه مائدة حافلة بأطباق أرز ساخنة، وإلى جوارها أكياس أخرى مليئة بأرز كأنه حصد منذ لحظات.

ومضت أيام.. ونسى الغلام أمر المصباح..!

ثم مضى عام.. وتبعته أعوام.. وبلغ الغلام مبلغ الشباب.

وذات يوم.. بينما هو يسير فى الطريق.. إذا مرت به ابنة حاكم المقاطعة تختال فى محفتها وهى فى الطريق إلى البحيرة، وراح الفتى يرقبها ويتبعها حتى بلغ حاملو المحفة جانب البحيرة.. ونزلت الأميرة الجميلة وخلعت ملابسها.. ثم انزلقت إلى الماء تستحم.

واختبأ الفتى خلف شجرة، وراح يراقب حركات الأميرة، وقد امتلأ حبّاً وشغفاً، وعندما عاد إلى البيت آخر اليوم كان ملء أعماقه رغبة فى أن تصير الأميرة زوجة له..!

وانطلق الفتى إلى أمه يستحلفها أن تذهب إلى الراجا فتخطب له ابنته، وذهلت المرأة وهى تسمع طلب ولدها.. وقالت له:

- كيف يا ولدى.. وهل تجرؤ على خطبة ابنة الراجا ونحن فقراء لا نملك شيئاً على الإطلاق..!؟

أجاب الفتى العاشق:

- اذهبى إليه يا أماه واسأليه عن شروطه.. لعل السماء التى ملأت بالحب قلبى أن تمنحنى ما يطلب الراجا لقاء هذا الحب..!

وانطلقت الأم إلى الراجا فوقفت ببابه.. وقالت له فى استحياء إن ولدها يحب الأميرة.. ويسأله أن يأذن له بزواجها..!

وأجاب الراجا:

- لا مانع لدىّ من أن تتزوج ابنتى.. ولكنى لن أزوجها إلا لمن يستطيع أن يقدم لها من المال ما يزيد على ما أملكه أنا نفسى..!

وعادت الأم إلى ولدها فحدثته بما أجاب الراجا.. وامتلأ الفتى حيرة وراح يقضى النهار والليل يفكر ويبكى.. والعشق يكاد يقضى عليه.

وبينما الفتى فى عذابه إذ ذكر العفريت الذى كان يظهر له عندما يحك بخاتمه المصباح، فانطلق إليه ومد اصبعه بالخاتم يفعل به كما كان يفعل من قبل. وفى اللحظة نفسها انطلق العفريت من المصباح وقدم له من المال أضعاف ما يملكه الراجا.

وحمل الفتى كنزه إلى قصر الراجا الذى فتح عينيه دهشة، ثم قبل أن يخطب له ابنته وحدد موعداً قريباً لإتمام الزفاف.

غير أن الوقت راح يمضى والراجا لا يريد أن ينجز وعده وعندما ذهبت إليه أم الفتى آخر الأمر تستنجزه الوعد، راح يحاول التهرب والتحلل مما وعد به، فلما ضيقت عليه الخناق طلب أن يعد الفتى لابنته قصراً لا يقل عن قصره رونقاً وفخامة..!

وأمسك الفتى المصباح من جديد.. وطلب من العفريت أن يبنى إلى جوار قصر «الراجا» قصراً يفوقه جمالاً ودقة.. وبينما الليل يمضى كان العفريت قد انتهى من تشييد قصر رائع بدا قصر «الراجا» إلى جواره كوخاً ضئلاً.

وكان لابد للراجا بعد ذلك أن يمتثل..

وتزوج الفتى بفتاته..

ومضت شهور.. من بعدها شهور..

وذات يوم خرج الفتى فى رحلة صيد.. وبينما هو على مسافة غير قصيرة من القصر.. ظهر أمام البوابة رجل كئيب الوجه عملاق كان هو نفسه «العم الشرير» الذى حبس الغلام فى ظلام السرداب.

وفتحت الأميرة باب القصر للرجل الذى كان يحمل مصباحاً جديداً يتألق ويبرق.. وعرض الرجل على الأميرة المصباح الجديد متنازلاً عنه مقابل أى مصباح قديم تعثر عليه فى القصر..!

وفرحت الأميرة بالمصباح الجديد.. وانطلقت تبحث عن مصباح زوجها القديم الذى علاه الصدأ، فأعطته للرجل.. وهى لا تدرى من أمره شيئاً..!

وعندما ابتعد الرجل قليلاً عن القصر.. حك المصباح بخاتمه.. فظهر العفريت وانحنى يقول له:

- مولاى.. أنا عبدك بين يديك.. مر بما تريد أنفذه فى التو واللحظة..!

وطلب الرجل من العفريت أن ينقل القصر والأميرة بداخله إلى بلده عبر البحار.

وعندما عاد الأمير من صيده راح يبحث عن قصره فما وجد له أثراً وراح يصرخ ويبكى كمن أصابه مس.. وينادى على زوجته الحبيبة.. ولكن رجع الصدى وحده هو الذى كان يجيبه من بعيد..!

ولم يكن من الممكن أن يفهم «الراجا» شيئاً من ذلك السر المجهول.. كل ما كان يبغيه هو أن تعود ابنته التى اختفت مع القصر.. وصرخ «الراجا» فى الفتى وهو يهدد ويتوعد:

- سأمهلك أيها الفتى ثلاثة عشر يوماً.. فإذا لم ترد إلى ابنتى خلالها قطعت رأسك قبل الصباح.

وانطلق الفتى يبحث فى جنون.. وراح يدور فى كل مكان، فى الصحارى والقفار.. فى الجبال والوهاد، ولكن أحداً لم يستطع أن يهديه قط..!

وجاء اليوم الثالث عشر، وأيقن الفتى أن الغد سيحمل له الموت، فاستسلم لقدره، وصعد إلى قمة جبل ينام على الصخر ويريح جسده المنهوك.

وبينما هو نائم.. إذا احتك خاتمه بالصخرة التى أسند إليها رأسه وفى لحظة ظهرت جنية أيقظته وسألته عما يريد..!

وصرخ الفتى:

- لقد فقدت زوجتى وقصرى.. وفدلينى على مكانهما إذا كنت تعرفين.

وتحولت الجنية إلى نسر كبير طار به فى الهواء.. وعندما بلغ بلد التاجر هبط النسر وترك الفتى أمام باب القصر.. ثم اختفى كأنما ابتلعته الأرض.

وبقدرة السحر حول الفتى نفسه فى هيئة كلب.. وانطلق فى حديقة القصر حيث كانت الأميرة تستلقى فى ذهول.. وعندما رأته يتمسح بها، وأطلت فى أعماق عينيه أدركت أنه زوجها الحبيب.. فعانقته وراحت تحدثه عن التاجر الذى خطفها.. وقالت له إنه خرج فى عمل سيعود منه بعد لحظات وعندما سألها الفتى عن المصباح.. قالت له إن التاجر لا يتركه فى القصر أبداً.. بل يحمله فى سلسلة تحيط بعنقه حتى لا يخطفه منه أحد..

وسألها زوجها:

- وما الذى يمكن أن نصنعه الآن..؟!

أجابته الزوجة الوفية:

- إن الشر لا يقضى عليه سوى الشر.. فدعنى أدس له السم فى طعامه هذا المساء..!

وعندما عاد التاجر من عمله.. أمر بعشائه فأعد له.. وإذ انتهى منه أحس آلاماً كريهة قاتلة.. ولم يكد يدرك سرها حتى سقط على الأرض ميتاً.

وعاد الكلب إلى صورته الأولى.. ومد الفتى يده فخلع المصباح من السلسلة التى تحيط بعنق التاجر.. وسأل العفريت أن يعيد القصر وهما فيه إلى مكانه الأول.. بجوار قصر الراجا..

وحمل العفريت القصر فوضعه فى مكانه القديم.. ولكنه قبل أن يختفى أقسم ألا يعود أبداً.. فما عاد يستطيع حمل القصور.

2- القرد العريس

بينما كان أحد القرود يسرق الفاكهة من فوق إحدى الأشجار، وخزت ذنبه شوكة فأسرع يهبط من الشجرة، وجرى وهو يحمل بعض الفاكهة إلى الجراح «الحلاق».

وقال القرد وهو يخاطب الحلاق:

- هلا تفضلت يا سيدى الحلاق ينزع الشوكة من ذنبى وإليك هذه الفاكهة أتعاباً لك.

ورمق الحلاق القرد مرتابا، وظن أنه ما أتاه إلا ليسخر منه. فأمسك بذنبه وطفق يبحث عن الشوكة مدة طويلة، ولكنه لم يعثر عليها، وأخيراً وبعد أن عيل صبره، قطع الذنب من منبته، ورفعه للقرد قائلاً:

- يا لها من شوكة كبيرة! أليست كذلك؟

ولم تجز فعلة الحلاق على القرد، فاختطف موسه فى مقابل ذنبه، وانطلق هربا.

وصادف فى الطريق، رجلاً هرماً يقتلع العشب من الأرض بيده ويضعه فى دثار، فقدم له الموسى فى سماح، ورفع الهرم صوته شاكراً له صنيعه، ثم شرع فى الحال يقطع به العشب.

وأخذ القرد يرقب الرجل فى عمله، وقد كشر عن أنيابه، وسرعان ما ثلمت الموسى.

وصاح القرد وهو يثب على قدميه:

- ماذا! لقد أثلمت موسىَّ ولابد أن أحصل على شىء فى مقابله.

قال هذا وانطلق يجرى حاملاً معه دثار (ملابس) الرجل.

ومضى فى طريقه وقد لف الدثار حول جسمه، إلى أن لقى رجلاً يحمل كمية من السكر فى جوال صغير. وكان بعض السكر يتساقط من الجوال. فقدم له القرد الدثار فى الحال. وشكر الرجل صديقه الرقيق القلب، ووضع السكر فى الدثار، وطواه على هيئة حقيبة وعقدها من أعلى، ورمى بها على كتفه وسار فى طريقه، والقرد يتبعه عن كثب، والسكر مازال يتسرب من الدثار.

وصاح الرجل بالقرد.

- لقد مزقت دثارى الثمين، وعليك أن تعوضنى عنه.

وانطلق يجرى حاملاً الدثار بما فيها من السكر. وبعد قليل شاهد امرأة عجوز تغلى لبناً وحفيدها الصغير فى حجرها، فمشى إليها ووضع السكر أمامها وهو يقول:

- هل لك يا سيدتى أن تصنعى لى بعض الحلوى.

وشكرته المرأة، وصنعت قدراً من الحلوى اللذيذة من السكر واللبن، وضعته على صفحة، وأعطت بعضاً منه لحفيدها حتى يكف عن البكاء.

وصاح القرد على الفور:

- بأى حق يا سيدتى تتصرفين فى أى قدر من حلواى دون إذن منى؟ ولذلك فلن تنالى شيئاً منها.

وما إن قال هذا حتى حمل صفحة الحلوى ومضى بها فى المقابل ما فقد من سكر والتقى بعد ذلك برجلين يحملان فتاة صغيرة فى محفة على كتفيهما ثم جلسا فى ظل شجرة بجوار بئر. وشعرا بالظمأ فشرعا يشربان من ماء البئر، وأتى القرد من خلفهما وقدم لهما صفحة الحلوى، لقد سرا جدّاً لعطائه الذى جاء فى وقته وأتيا على الحلوى كلها، ولما نهضا لاستئناف سيرهما أعادا إليه الصحفة الفارغة.

وصاح القرد:

- ماذا! أتسلمانى صحفة فارغة فى برود، ولا مقابل لحلوى!! لابد أن آخذ الفتاة عروساً لى.

ثم أمسك بالفتاة وهو يحملها فى أثناء الطريق:

- لابد أن تتزوجينى، وتكونى عروساً لى.

وأجابت الفتاة فى ارتياع:

- وأنَّى لى أن أتزوجك، وما أنت إلا مجرد قرد؟

راح القرد يؤكد لها أنه ليس قرداً، وإنما قزم، فكل القرود لها ذيول أما هو فليس له ذيل.

وقالت الفتاة وقد زايلتها بعد دهشتها:

- حسناً.. ومن سيقوم بعقد قراننا؟؟

وتوجه القرد عندئذ إلى برهمى كان يتلو مخطوطاته المقدسة ورجاه أن يتولى عقد زواجهما.

وفى نفس الوقت.. كان والدا الفتاة فى أعقاب الفارين، وأدركهما وهما مازالا فى صحبة البرهمى واصطحبا الفتاة على الفور إلى البيت، والقرد يتبعهم فى ملابس العريس وهو يصيح بهما:

- ردَّاً إلى عروسى.. ردَّاً إلى عروسى، فهى نتيجة لمبادلة عادلة.

وما إن دلفوا إلى داخل البيت حتى صفقوا الباب فى وجه القرد، تاركين إياه بالخارج. فاستمر يطرق الباب ويصيح:

- ردَّاً إلى عروسى! رداً إلى عروسى.. إنها مبادلة عادلة، فقد استبدلت

موسى بذنبى، ودثارى بموسى، وسكرا بالدثار، وحلوى بالسكر، وعروسا بالحلوى، ردًّاً إلى عروسى.. رداً إلى عروس!!

وردت أم العروس من وراء الباب المغلق:

- أى صهر أحمق أنت!! وأية ضوضاء هذه التى تثيرها بلا سبب!! إنك بذلك لا تتيح لنا وقتاً لأن نعد استقبالاً مناسباً لك. تذرع بالصبر يا صهرى العزيز، وتريث أكثر من ذلك حتى أدعوك.

وهدأ القرد وانتظر فى صبر وأناة.

وفى هذه الأثناء، كانت أم العروس قد أعدت مقعداً مغطى «بالدبابيس» وأخفتها بقطعة من لقماش المطرز طرحتها عليها، ثم ذهبت إلى الباب وقادت العريس من يده إلى المقعد ودعته إلى الجلوس.

أما القرد العريس، فقدطرب لهذا الاستقبال الملكى ورمى بثقله على المقعد ذى «الدبابيس» وفى الحال هب واقفاً وهو يصيح من فرط الألم:

- يا إلهى حشرة تلدغ جئت بها إلى المنزل يا حماتى!

وانطلق من الحجرة لا يلوى على شىء، وهو يصرخ ألما، ويقطع على نفسه العهود ألا يلعب دور العريس مرة ثانية أبداً.

***

3- خَلْق المرأة

من الأساطير الهندية القديمة هذه الأسطورة:

خلق الله مخلوقاً قويّاً دعاه الرجل.. سأله: هل أنت راض؟

فأجاب الرجل: كلا

قال الرب: وماذا تريد؟

أجاب الرجل: أريد مرآة أنظر فيها مجدى..

وعلبة أضع فيها حلاى..

ووسادة اتكئ عليها..

وقناعاً أختبئ وراءه وأنا تعس..

وألعوبة أفرح بها..

وتمثالاً أملأ عينى بجماله..

وفكرة تستفزنى..

ومنارة أهتدى بها..

فخلق الله المرأة.

4- الإخلاص والخيانة

يحكى أن برهميا أنقذ نمرا وقردا وأفعى وإنسانا من نبع ماء فنفحه القرد بعض الفاكهة كان قد جمعها من حديقة قصر المهراجا.

وأهداه النمر سلسلة ذهبية كان قد سلبها من ابن أحد الملوك الذى كان قد وقع فى أسره.

قدم البرهمى السلسلة إلى الإنسان الذى كان قد أنقذه كذلك وكان هذا صائغ ذهب على أن صائغ الذهب هذا أدرك أنه قد سبق له أن صاغ هذه السلسلة لابن الملك فأعلن أن البرهمى هو قاتل ابن الملك.

زج بالبرهمى فى السجن وعندئذ طلب البرهمى من الحية مساعدة فلدغت الحية الملكة وتركت سمومها تسرى فى جسدها.

ولم يكن فى وسع أحد أن يشفى الملكة سوى البرهمى وهكذا حدث ان كشف الشر الذى دبره صائغ الذهب فقتل، أما البرهمى فقد كوفئ بسخاء.

5- رامايانا

«رامايانا هى أوديسة الهند فى تاريخ الأدب الأسطورى. وهى أشهر أساطير الهند وأحبها إلى النفوس.. وتتناول حياة بطل اسمه راما، نفاه أبوه فى غابة الشياطين حيث لقى من المصائب والأهوال ألواناً شتى. ونشب صراع جبار بينه وبين رافانا ملك الشياطين الذى تمكن من خطف زوجته، فظلت تنتظر زوجها صابرة طاهرة. لا تستسلم ليأس أبداً.

والهندى يعتبر رامايانا كتاباً مقدساً.. ويعتبر راما صورة مجسدة للألوهية.. ولا يزال يتوجه إليه بالصلاة. وهو حين يقرأ الأسطورة إنما يشعر بأنه يستمد من قراءاته سموا دينيّاً كما يستمد متعة أدبية وارتفاعاً خلقيّاً.. إذ تطهره هذه القراءة من أوزاره جميعاً وتجعله ينجب ولداً حتى ولو كان عقيما..!».

كان الجميع سعداء إلا الملك، فبرغم العصر الذهبى الذى كان يعيش فيه كل الشعب، إلا أن شيئاً واحداً كان ينغص على الملك الحياة.. فقد أبت الآلهة أن تنعم عليه بولد. يتولى من بعده عرش البلاد.

ولقد كان سكان مدينة «أيوذيا» يعرفون تلك الحسرة التى تأخذ بقلب الملك، «داشاراذا» سيد بلاد «كوسلا» إلا أنهم ما كانوا يملكون شيئاً قط سوى أن يرفعوا أيديهم، وهم يقدمون القرابين، يدعون «براهما» أن يمنح ملكهم الطيب وليّاً للعهد.

ولعل رب الأرباب قد استجاب لدعوات القوم الصالحين، فذات يوم بينما كان الملك مجتمعاً بكهنته يقدمون القرابين لبراهما، إذ ظهر لهم الإله «فشنو» فى شكل نمر، متربعاً وسط النيران، وقال للملك.

- خذ هذا الأرز المقدس، واللبن الحليب، ووزعه على زوجاتك، فقد أرسلنى براهما لأبشرك بغلام اسمه راما، يكون له ثلاثة إخوة آخرون من كل زوجة من الزوجات.

وحمل الملك اللبن والأرز إلى زوجاته وقسمه عليهن.. فلم تمض أيام حتى أنجبت «كوشالا» زوجة الملك الأولى ولدا سماه «راما»، ثم تبعتها «كايكى» بولد سماه «باراتا» أما الثالثة فقد أنجبت ولدين هما «لاكشمان وساتروجنا».

وعاش الإخوة الأربعة فى كنف الملك حتى شبوا. ومع مر السنين كان راما قد اتخذ من أخيه لاكشمان صديقاً وتابعاً ورفيقاً. فى حين كان ساتروجنا قد جعل من نفسه هو الآخر حارساً لأخيه باراتا.

وكبر راما حتى بلغ السادسة عشرة، وبدأ الملك يمنحه من قلبه كل شىء، ويدربه على أن يكون ملكاً من بعده على كوسلا، ومن أجل أن يأمن على ولده متى تولى العرش من عداوات جيرانه، امتلأ رأسه بفكرة تزويجه من سيتا.. كبرى بنات «جاناك» ملك «ميثالا».

والحق أن سيتا كانت أجمل فتيات ذلك العصر، غير أنها لم تكن فى الحقيقة ابنة الملك.. فقد كان يسوق المحراث يحرث به بستان قصره ذات يوم، وإذا بالأرض تنشق من تحته، ونخرج من مجرى الحرث طفلة صغيرة يشع من حولها النور، ذات جبين من عاج، وشفة من مرجان، وأسنان تسطع بلمعة الآلئ.. كانت هى نفسها سيتا.. التى اعتبرها الملك هدية من الآلهة، فتعهدها فى قصره حتى شبت، وعندما حان وقت زواجها، قرر جاناك ألا يزوجها إلا لمن يستطيع أن يثنى القوس المقدس الذى أهدته الآلهة لأجداده الأقدمين.

وتقدم لخطبة الأميرة أبناء القصور من كل الممالك حوله.. غير أن أحدا لم يستطع أن يثنى القوس.. فقد كان قوسا ماردا عملاقا، صنعه الإله شيفا لنفسه، ثم أهداه لأجداد جاناك، ومنذ ذلك اليوم عجز الجميع عن ثنيه فلا الآلهة، ولا المردة ولا الشياطين كانوا يملكون القوة التى تستطيع أن تثنيه.

وقرر راما أن يشترك فى المباراة وانطلق إلى ميثالا على حين كان الملك يستعد لإقامة عيد الضحية.

وكان الشعب كله يحيى الملك حين دخل راما الساحة، وأعلن عزمه على خطبة سيتا.. ابنة الملك!.

وتحولت إليه كل الأنظار.. لقد كان صدره بارزاً كليث، وجسده فارعاً كإله، وعيناه مهيبتين كفيل.

وأمر الملك بالقوس فأحضر على عربة ذات عجلات ثمان يجرها خمسة آلاف عملاق، ومد رما يده فأخرج القوس من كيسه وبدأ يثنيه. وارتعد الجميع، فما كان أسهل ما انحنى القوى فى يد راما الذى ظل يثنيه حتى تلامس طرفاه، ثم تحطم فى صوت كالرعد، وهزة كالزلزال، حتى إن آلاف المشاهدين سقطوا على الأرض.. سوى جاناك وراما.. والأميرة التى فتحت عينيها فى ذهول.

وأقيمت الأفراح، وأرسل جاناك إلى جاره الملك داشاراذا يدعوه إلى حفل الزواج.. فجاء ومعه أبناؤه الباقون، وعندما عادوا إلى ايوذيا.. كان مع كل منهم عروس أخرى رائعة.. من بنات ملك ميثالا الجميلات.

***

وظلت السعادة تغمر كل مكان من أرض كوسلا.. حتى دخلها الشر عن

طريق كايكى.. الزوجة الثانية للملك!.

فذات يوم، أعلن الملك أنه يدعو الشعب فى الغد لحضور حفل تنصيب ولى عهده.. وملأت الأفراح كل «أيوذا» التى امتلأت قلوب سكانها جميعاً بحب «راما» وزوجته الأميرة «سيتا» ابنة الآلهة.. غير أن قلباً واحداً كان يمتلئ غمّاً وحسداً.. هو قلب الملكة كايكى.. فقد أحزنها أن يكون العرش لابن ضرتها دون ولدها باراتا الحبيب.

ولعل تلك الغيرة التى ملأت قلب كايكى، لم تكن تستطيع أن تفعل شيئاً لولا خادمتها العجوز «منتارا» فقد أشعلت العجوز فى أعماق مولاتها كل نيران الحقد والحسد، وراحت تحرضها على التخلص من راما، ليكون العرش خالصاً لولدها باراتا.

وبكت كايكى غيظاً ويأساً.. فما كانت تملك أن تمنع زوجها الملك من إعلان ولاية العهد لأى ولد، غير أن منتارا، ابتسمت فى خبث وهى تقول:

- إن فى إمكانك يا مولاتى أن ترغمى الملك على إعلان العهد لولدك.. وإرسال ابن ضرتك إلى أعماق غابة الشياطين.. فلا ينافسه على العرش أبداً.

قالت الملكة كايكى:

- كيف يكون ذلك يا منتارا!

ومن بين شفتيها المملوءتين بحمى الحقد، راحت منتارا تذكر سيدتها بذلك اليوم الذى أصيب فيه الملك بجراح خطيرة خلال إحدى معاركه مع شياطين الجن.. ففى ذلك اليوم كانت كايكى تعيش فى ذلك المكان. وتصادف مرورها من نفس الطريق الذى سقط فيه الملك غارقاً فى لجة من الدم. وعندما شهدته ووجدته يقترب من الموت، جاهدت حتى استطاعت حمله

بعيداً عن الميدان، وبذلك كل ما تملك حتى ارتد إليه الصواب. وراحت تعتنى بجراحه حتى أنقذته من موت كان لابد منه. وعندما شفى الملك، تزوجها، وأقسم أن يحقق لها أى أمنيتين تطلبهما منه.. فى أى وقت تريد.. ومضت الأيام والشهور والسنون، ولم تكن الملكة قد طلبت من زوجها شيئاً بعد.

ودارت رأس كايكى بنشوة كالخمر.. وقد بدأت تدرك ما تقصد إليه منتارا، واستمرت العجوز تقول:

- لقد حان الوقت لكى تطلبى من الملك أمنيتيك. اطلبى منه أن يتخلى عن العرش لولدك باراتا.. وان ينفى راما فى غابة الشياطين أربعة عشر عاماً، وفى خلال تلك السنوات يكون باراتا قد استطاع أن يجتذب لنفسه حب الشعب، ولا يخشى منافسة أخيه.

وانطلقت كايكى إلى الملك تذكره بوعده، وأقسم لها أنه لم يحنث فيه، وأنه سيحقق لها فى الحال كل ما تطلب كائناً ما كان، وهنا ألقت الملكة بقنبلتها على رأس الملك.. الذى وقف كالمشدوه.. فما خطر بباله أنها تجرؤ على مثل ما تطلب الآن قط.

غير أن الملك لم يكن يستطيع أن يحنث بوعده.

وبقلب حطمته الأحزان، أحنى رأسه.. للمرأة التى خدعته.

لقد كانت هذه هى أول مرة يحنى الملك داشاراذا فيها رأسه. ولقد اضطر إلى إحنائها مرة ثانية أمام راما الذى وقف ومن حوله كل رجال البلاط فى انتظار أن يباركه أبوه ويعلن له ولاية العهد، فإذا به يفاجأ بصوت الملك يخرج كسيراً محطماً وهو يولى العرش لباراتا.. ويأمر بنفيه هو نفسه أربعة عشر عاماً فى غابة الشياطين.

وهتف الفتى فى حيرة:

– ولكن ما الذى صنعته يا أبتاه؟

وأشار الملك إلى كايكى وكأنه يشير إلى الشياطين. وراح يقص على الجميع قصة الأمنيتين الخبيثتين والوعد الذى لم يكن يستطيع أن يحنث فيه..!

واندفع باراتا نحو أخيه راما، وأمسك بيده وهو يقسم أنه لا يمكن أن يمس عرشاً من حق أخيه وحده.. غير أن راما هز رأسه وهو يقول:

– أبدا أيها الأخ الكريم. لقد انتقل التاج إليك، ولابد من تنفيذ الوعد الذى أقسم به أبى ستجلس أنت على العرش.. أما أنا فسأنطلق لفورى وحدى إلى غابة واندك فلا أعود إلا متى انقضت الأعوام الأربعة عشر كاملة.

واندفعت سيتا نحو زوجها.. وسجدت أمامه تتوسل وتقول له:

– خذنى معك يا زوجى الحبيب.. فما أستطيع أن أعيش فى هذا المكان بعدك.. إن العربة والخيل المطهمة والقصر المذهب كلها عبث فى حياة المرأة وهى تؤثر عليها كلها ظل زوجها المعبود، ان سيتا ستهيم معك فى كل مكان فى الغابة.. فذلك عندها أسعد مقاما من قصور العالم كله إنها لن تفكر فى بيتها لحظة أو فى أهلها.. ما دامت ناعمة فى حب الزوج الذى اختارها لتشاركه الحياة.. وستجمع الثمار الحوشية فى الغابة اليانعة العبقة.. فطعام يذوقه راما هو أحب الأطعمة عند سيتا الوفية.

وكذلك فعل لاكشمان.. فقد راح يتوسل إلى أخيه أن يأذن له بمرافقته فإذا لم يكن يريده صاحباً فليكن حارساً له ولسيتا من هجمات سكان الغاب الملاعين!

وحاول راما أن يثنى زوجته وأخاه عما صمما عليه.. غير أنهما ظلا

يصران ويتوسلان.. ولم يكن أمامه سوى أن يذعن لرغبتهما.. وانطلق الثلاثة معاً فى الطريق إلى وانداك.. غابة الشياطين.

***

لم يكد الأمراء الثلاثة يمضون، حتى سقط الملك ميتا لفرط ما ألم به من حزن. وبرغم أن كايكى ملأها الفرح لوفاة زوجها، إلا أن بارتا رفض العرش، وأقسم ألا أن يحكم باسم أخيه حتى يعود من منفاه.

ومضت أعوام عشرة طويلة.. عاش الأمراء الثلاثة خلالها متنقلين بين حنايا الغابة الموحشة، يقتاتون فاكهة، ويجمعون عشبا، ويصطادون طيراً وحيواناً، ويزداد بهم العجب لمرور السنين دون أن يلتقوا قط بأحد من الشياطين التى قيل إنها تملأ الغابة.

وبينما كان الأمراء الثلاثة يستأنفون تجوالهم ذات يوم، إذ وجدوا أنفسهم فجأة أمام صومعة ناسك هرم يدعى اجستاى.. لم يكد يلمحهم حتى رحب بمقدمهم، وأقسم إلا أن يستضيفهم لعدة أيام.

ولم يكن بد من أن يقبل راما ضيافة الناسك.. وخلال الأيام التى قضاها لديه، عرف راما أن رافانا ملك الشياطين يقيم غير بعيد من أطراف الغابة عبر المكان الذى يقيم فيه الناسك.. غير أنه لا يجرؤ على الاقتراب منه.. لما يملكه الرجل الطيب من أسلحة رهيبة يخشاها الجن والشياطين ولعله كان أجدر براما أن يبتعد بزوجته وأخيه عن ذلك المكان، غير أنه - وهو الشجاع الذى لا يعرف الجبن قط - أبى أن يستسلم للخوف، وأقسم إلا أن يستمر فى تجواله حتى تنقضى مدة النفى.

وعندما وجد الناسك أن الفتى وأخاه يرفضان ألا أن يستمرا فى طريقهما،

أقسم أن يساعدهما ويزودهما بما يقيهما شر الطريق. فأخذ بأيديهما إلى مغارة تحت الأرض حيث آلات حرب فتاكة أعدها لصراع الجن والشياطين.. فأعطاهما شيئاً منها.. كما منح راما قوساً وسهاماً مسحورة لا تحصى. ومنح لكشمان سيفاً ذهبى النصل يثير الرعب فى قلب كل من يراه.

وأخذ راما ورفيقاه طريقهم من جديد فى عمق الغاب. وظلوا يسيرون حتى أخذ التعب بسيتا وأحست حاجة إلى الراحة. وهنا فقط حط الثلاثة الرحال، وقرروا أن يبنوا مسكناً صغيراً يأوون إليه، وترتاح سيتا فيه.

***

ومرت الأيام سعيدة هانئة.. حتى كان ذات يوم..

كانت «سورباناجا» أخت رافانا ملك الشياطين تتنزه فى الغابة حينما شهدت راما جالساً يناجى زوجته. وأحست «سورباناجا» نحو الفتى بهوى غريب.. وراحت تنتهز الفرص لتتفرد به.. فلما واتتها الفرصة وراحت تصب فى أذنيه ترانيم الهوى.. سد عنها سمعه، ورفض أن يستجيب لعاطفتها.

ولكن الرغبة المجنونة كانت تلح بالشيطانة العاشقة حتى بلغ بها الأمر أن صممت على قتل سيتا التى تمنعه عنها. وراحت «سورباناجا» تتحين الفرص حتي وجدت الفتاة وحدها فهاجمتها.. غير أن لكشمان كان غير بعيد فأسرع إليها وبحد سيفه بالبتار قطع أنفها وأذنيها وصرخت الشيطانة فى غضب، وانطلقت تجرى والدم ينبثق صاخباً من جروحها.. حتى التقت بأخيها الصغير كارا، وعندما عرف كارا الأمر أقسم لينتقمن لها، وأرسل أربعة عشر تنيناً ضخماً ليقتلوا الأمراء الثلاثة.

غير أن الشياطين الصغيرة قد قدروا ما يتمتع به راما من قوة وهبتها له

الآلهة، فإن التنانين لم تكد تهاجم مقر راما ورفيقيه، حتى نهض هو فخنقها جميعاً بيديه بغير سلاح.

وهنا جن جنون كارا وأعلنتها فى الغابة حرباً شعواء على راما ورفيقيه.

خرج كارا على رأس أربعمائة ألف تنين.. يثير كل منها رعب عالم بأسره.

ولمح راما طوابير الجيش الزاحف.. فأمر زوجته وأخاه بالاختفاء ثم لبس درعه، واستل سيفه، وأخرج رمحه.. ووقف وحده ينتظر التنانين.

وكانت التنانين تزحف كأمواج البحر، وتحتك حراشيفها فتخرج أصواتاً رهيبة كالرعد، وملأ الرعب قلوب كل من فى الغابة إلا راما الذى وقف صامداً تطل النبال من منطقته، وظل ساكناً فى وقفته حتى ازدادت صفوف الجيش الزاحف اقتراباً منه، وهنا مد راما يده إلى نباله وسهامه وراح يرسلها نارية عنيفة على التنانين التى ملأها الرعب والفزع، وبدأت تتراجع وتتلوى تلتمس النجاة، غير أن سهام راما كانت تلاحق الهاربين، وراحت أرض الغابة ترتوى بالدماء.. والتنانين تتساقط واحداً فى إثر آخر، حتى لم يعد هناك سوى كارا وحده.. وليس حوله أحد قط.

واقترب كارا من راما، ونشبت معركة عنيفة مهولة. راحت شظايا النبال وقطع الأخشاب تتطاير خلالها لتملأ جو الغابة. ثم فجأة، رفع راما قوسه وهزه كزلزال، ثم أطلق سهمه مريشاً سريعاً إلى قلب الشيطان.

غير أن المعركة لم تكن لتنتهى عند هذا الحد.

فقد تلقى رافانا ملك الشياطين أنباء مصرع أخيه وجيوشه فجن جنونه.. ونهض من فوق عرشه وهو يقسم ليقتلن راما ويمثلن به.

ونهض رافانا يستعد لمعركة رهيبة قاسية مع راما وصاحبيه غير أنه لم

يكد ينهض حتى انحنى عليه أخوه «ماريشى» يحذره من قوة راما ويكشف له سر الذخيرة الفتاكة التى منحها له الناسك، ويقص عليه قصة الآلهة التى اختارته ليقضى على الجن والشياطين ويشتتهم أجمعين.

وبدا الأمر لملك الشياطين أكثر صعوبة مما كان يتصور.. وانحط على عرشه ساخطاً يفكر كيف يستطيع أن يأخذ بثأر أخيه.

إن له لعشرين ذراعاً يستطيع أن يحمل فى كل منها سلاحاً جباراً.. وإن له لعشرة رءوس يستطيع كل منها أن يخترع ألف وسيلة لكسب النصر، ولكنه مع هذا أحس بالجبن.. فقد أقنعه أخوه «ماريشى» أن النصر لن يكون حليفه إذا دارت المعركة بينه وبين «راما» وجهاً لوجه.

وإذن فليبحث عن سبيل آخر.. غير القتال!

وراح كل رأس من الرءوس العشرة يبحث الأمر.

وفجأة قفز رافانا فى فرح كبير.. فقد خطرت له بعد طول التفكير فكرة خبيثة رائعة.. فقتل «راما» لن يذل كبرياءه وأنفته أو ينال منه ولكن الذى يذله وينغص عيشه هو أن يفقد أعز شخص لديه.

وهكذا قرر رافانا أن يرسل أخاه ماريشى.. ليخطف سيتا.. زوجة راما الحنون.

***

فى ذلك الوقت كان الأمراء الثلاثة يجلسون تحت شجرة مورقة يلتمسون الظل، ويتذاكرون بلادهم وأهليهم، وفجأة لمحت سيتا منظراً أطلقت له صيحة فرح.. لقد كان هناك ظبى صغير يقفز على مدى البصر، رائع الجمال، له شعر يبرق كما يبرق الذهب.

ولمس الأمير فرحة زوجته وشغفها لمرأى الظبى. وعندما تمنت أن تملكه

وتحتفظ به لأيام عودتها.. أقسم ليأتينها به.. حيّاً بغير جروح.

وقفز «راما» من مكانه يعدو وراء الظبى، بعد أن أوصى أخاه بحراسة سينا، وألا يغفل الطرف عنها قط أو يتركها مهما جرى من الأحداث.

وأحس الظبى بالمطاردة فاندفع يقفز ويعدو، يظهر آنا ويختفى آنا آخر.. والأمير من ورائه لا يريد أن يفلت منه، يخترق وراءه الأشجار، ويسعى خلفه داخل الجحور، ويأبى أن يستعمل قوسه وسهامه حتى لا يصيبه أو يجرحه.

وظل الظبى يخترق الغاب والأمير وراءه.. حتى أنهكه الجهد وأخذ به اليأس.. وأطل خلفه فإذا هو قد ابتعد تماماً عن مكان زوجته وأخيه.. وهنا فقط ملأه القلق، وأحس أن فى الأمر مكيدة دبرتها له الشياطين.. فقرر أن يعود، ولكن بعد أن يقتنص الظبى بسهامه، ويحمل جلده البراق إلى سيتا الحبيبة!

وأرسل «راما» سهمه المسحور فأصاب الظبى.. وأسرع يجرى نحوه ليحمله، وعندما اقترب وجد شيئاً آخر ما كان يتوقعه قط.. فقد كان الظبى يتلوى على الأرض، ويتحول شيئاً فشيئاً إلى صورة أخرى بعيدة كل البعد عن صورته.. وحدق «راما» جيداً إلى حيث كان الظبى المحتضر.. فإذا هو «مارتشى» نفسه.. شقيق ملك الشياطين.

وأحس «راما» فرحاً ضخماً عندما وجد أنه قتل الشيطان، غير أن هذا لم يدع فرصته تطول، فقبل أن يلفظ النفس الأخير، أرسل فى الغاب صرخة داوية قلد بها صوت راما، ليوهم بها من يسمعها بأنه هو «راما» نفسه، يطلب النجدة والغوث.

والحق لقد نجح الشيطان فيما رمى إليه.. فقد ملأت الصيحة آذان سيتا ولكشمان، وخيل إليهما أن «راما» يستغيث بعد أن دهمه خطر مخيف.

ونسى لكشمان كل تحذيرات راما، وانطلق يجرى إلى الجهة التى تخيل إليه أن الصوت يصدر منها.. بينما جلست سيتا تنتظر، وفى قلبها هلع وذعر.

ومضت لحظات، راحت «سيتا» خلالها تلوم نفسها إذ أغرت زوجها بالسعى وراء الظبى، وبينا هى تفكر وتنتظر، طرق سمعها وقع أقدام تقترب منها، فقفزت وقد ظنت القادم زوجها، غير أنها توقفت عندما وجدت أمامها ناسكا هرما يتوكأ على عصا، وقد أحنت السنون ظهره، وقوست قامته، وقربت ما بين خطواته.

وطلب منها الناسك أن تأذن له بالجلوس لحظات يستريح خلالها، وفى أدب ورفق، أذنت له سيتا، وأحظرت ماء وفاكهة، ثم راحت تنصت إليه وهو يسألها عن سبب وجودها فى ذلك المكان، وبرغم الدهشة التى ملأتها للسؤال الغريب، إلا أنها راحت تقص عليه كل الأمر حتى بلغت قصتها مع الظبى.

وهنا توقفت فى ذعر.. فقد أخذ الناسك العجوز يضحك ويصفق، ثم إذا بقامته تعتدل، وظهره يستقيم، وإذا به ينتفض ليصبر شابا قويّاً، له عشرون ذراعاً، وعشرة رءوس.

لقد كان العملاق الواقف أمامها هو رافانا نفسه.

وانقض ملك الشياطين على «سيتا» وهو ينادى على مركبته، ودفع الأميرة إلى داخلها، وانطلقت بهما المركبة تخترق الجو فى طريقها إلى جزيرة سرنديب حيث مقر عرشه.

ظلت المركبة تطير، والأميرة مشدوهة حائرة لا تكاد تعي، وأطلت فإذا ملك النسور يطير غير بعيد فاستغاثت به وانتبه ملك النسور إلى الاستغاثة فإذا عدوه ملك الشياطين قد اختطف فتاة حملها فى عربته السحرية الطائرة

وتحول النسر الضخم يتبع العربة وينقض عليها. غير أن الشيطان كان أسرع منه، فطعنه فى جنبه بخنجره طعنة قاتلة سقط النسر على اثرها من ذلك العلو الشاهق نحو الأرض.. وقد غرق فى بحر من الندم.

واستمرت العربة تطير، حتى اجتازت غابة وانداك، ثم حطت قليلاً على جبل تعيش عليه مخلوقات تشبه القرود، وعندما استأنفت الطيران، كانت الأميرة قد عمدت إلى إلقاء وشاحها وعقدها ليسقطا على صفح الجبل بين أيدى القرود، ولم ينتبه ملك الجن إلى سقوط الوشاح والعقد على حين أنه يسرع إلى جزيرته.. أما هى، فقد ملأها الأمل أن يعثر راما عليهما إذا كان قد نجا، وتدله القرود على المكان الذى اتجهت إليه.

***

بينما كان كل ذلك يحدث.. كان «راما» قد انطلق فى طريقه عائداً إلى الوادى بعد أن انتصر على الشيطان مارتشى.. وبينما هو فى طريقه إذ التقى بأخيه لكشمان الذى كان قد انطلق فى نجدته.. وصرخ «راما» إذ وجد أخاه وحده، وراح يؤنبه إذ لم يستمع إلى تحذيره وتوصيته بألا يترك «سيتا» وحدها.. فقد أدرك أن المؤامرة قد نجحت فى إبعادهما عنها، لينفرد بها «رافانا» ويخطفها، وأسرع الأخوان إلى حيث تركا الأميرة، فإذا المكان خال، وآثار المعركة بادية.. ولا شىء هناك سوى السكون!.

لم يستطع «راما» احتمال الصدمة، فسقط غائباً عن الوعى، وعندما انتبه إلى نفسه راح يبكى ويصرخ وأخوه يحاول التخفيف عنه بغير جدوى. وأحس لكشمان بخطورة الأمر إذا ما طال انتظارهما فى ذلك المكان إذ سيفقدان فرصة البحث ومتابعة أثر ملك الجن.. فراح يدعو أخاه إلى مغالبة اليأس،

والإسراع إلى الجنوب حيث تقع مملكة «رافانا» التى يتحدث عنها الجميع.

أخذ الأميران طريقهما إلى الجنوب وبينما هما يسيران إذ بهما يبصران شيئاً ضخماً يتمدد على الأرض ومن حوله بركة واسعة من الدم. واقترب الأخوان يتأملان، فإذا به ملك النسور يحتضر والدم لا يزال يسيل من جنبه ساخناً حارّاً. واقتربا منه يسألانه سر ذلك الجرح فقص عليهما القصة وأشار إلى الطريق الذى سلكه ملك الشياطين.

وقبل أن يستأنف الأميران السير، شقا مدفنا للنسر الذى فقد حياته وهو يدافع عن فتاتهما.. ثم أمعنا فى السير إلى حين أشار لهما.. وبلغا آخر الأمير جبلاً ضخماً وقفا لدى سفحه يفكران فى وسيلة لارتقائه وبينما الحيرة تأخذ بهما إذ بقرد كبير يخرج عليهما من إحدى مغارات الجبل ويسألهما عن سر وجودهما فى ذلك المكان.. وقال له راما:

- ومن تكون أنت.. وما هو اسمك؟

قال له القرد:

- أنا «هانومان» سفير الملك سجريفا. الحاكم الحقيقى لهذا الجبل.. فما الذى تبغيان من حضوركما إلى هذا المكان؟

وقص عليه راما قصته. وهز هانومان رأسه وهو يقول:

- لقد رأيت بنفسى مركبة رافانا وهو يطير بها نحو الجنوب، لقد كانت الأميرة الجميلة جالسة فى إعياء بداخلها.. وعندما مرت بالجبل أسقطت عامدة وشاحها وعقدها.. ربما لتدل الباحثين عنها إلى المكان الذى إليه تطير.

وأخذ «هانومان» بيد راما، وانطلق به إلى ملكه سجريفا لعله يمد له يد العون. وبينما هم فى الطريق قص القرد على راما كيف أن «سجريفا» يعيش الآن

مغلوباً على أمره، وحوله قليل من الأتباع، بعد أن اغتصب أخوه عرشه وطرده من قمة الجبل، ووعد «راما» القرد أن يساعد سجريفا لاستعادة عرشه بعزيمته الماضية وسهامه القاضية إذا هو وعد بمساعدته فى الوصول إلى زوجته.

وكان هذا هو ما حدث بالفعل.. فقد اتفق سجريفا مع راما على أن يتبادلا المساعدة.. وحمل راما قوسه وسهامه ونباله.. فشن بها حرباً شعواء على ملك الجبل الذى اغتصب عرش أخيه.. وبعد صراع عنيف استطاع «راما» الفوز بالنصر.. فهزم الغاصبين.. وأعاد سجريفا إلى عرش الجبل.

ومن أجل أن يرد سجريفا الجميل لحليفه، وجه أربعة من جيوشه التى تضم الآلاف من القردة العملاقة الهائلة، إلى جهات العالم الأربع، وأمرها أن تسير فى الأرض باحثة عن المكان الذى نزل فيه رافانا والأميرة المخطوفة.

وكان على «راما» و«لكشمان» أن ينتظرا فى مملكة القرود عودة الجيوش الأربعة.. وانقضت أيام طويلة كأنها السنون عادت بعدها ثلاثة جيوش بغير نتيجة.. ولم يبق غائباً سوى الجيش الذى كان قد توجه إلى الجنوب.. وعلى رأسه هانومان سفير الملك.. والذى أخذ معه خاتم راما.

والحق، أن جيش الجنوب ظل يلقى من الأهوال والمخاطر ما لم يتصوره أحد قط، ولقد بلغ إخلاص هانومان لصديقه راما حدّاً جعله لا يهتم أبداً بما يقاسيه هو وجيشه فى سبيل بلوغ مقر ملك الشياطين وظلت الأيام تمر وهو يقود جيشه حتى بلغ آخر الأمر شاطئ المحيط. وأطل فإذا هناك على مسافة بعيدة جزيرة مسحورة يحيط بها ضباب كثيف.

وأدرك هانومان أن هذه الجزيرة هى المكان الذى يسعى إليه وبرغم طول المسافة التى تمتد بين شاطئ المحيط والجزيرة المسحورة، فقد قرر

هانومان الوفى أن يقفز قفزة جبارة هائلة.. إما ان تصل به إلى الجزيرة.. وإما أن توردە الهلاك.

وكان «هانومان» يحب المخاطرة، فترك جيشه حيث هو، واعتلى ذروة صخرة ناتئة من صخور الشاطئ ثم قفز قفزة هائلة فى الهواء..!

كانت القفزة رائعة حتى لقد كاد ظهر هانومان يصطدم بالسماء.. وإذا به قد عبر المحيط الواسع، وحطت قدماه على شاطئ جزيرة سرنديب..!

وعندما أحس هانومان أنه قد نجح فى الوصول إلى الجزيرة استخدم سحره ليتحول إلى قرد صغير لا يلفت إليه الأنظار.. وراح يتنقل بين بيوت الشياطين باحثاً عن قصر «رافانا» حتى بلغه.. وعندما اجتاز أسواره شهد سرادقا صغيراً يمتد فى حديقة القصر الواسعة.. واقترب من السرادق، ومد بصره يتلصص فى خفية، وإذا به يقف مبهوراً يمتلئ عجبا.. فقد كانت سيتا هناك.. بارعة الجمال كملاك، ترقد على فراش مريضة منهوكة.. ومن حولها ماردات من العفاريت يحرسنها.. ورافانا واقف على رأسها يهددها ويتوعدها ويقول لها إن صبره قد نفد لطول ما أمعنت فى رفض الزواج منه، والتصميم على الوفاء لزوجها راما..! وعندما عجز رافانا عن استرضاء سيتا كما كان يعجز كل يوم غادر السرادق حتى اقترب القرد الصغير من الفراش، ثم همس باسم راما..

وانتفضت الأميرة وتلفتت حولها، فإذا قرد صغير ولا شىء آخر هناك. وظنت أنها كانت تحلم فأغمضت عينيها، ولكن القرد عاد يذكر اسم راما، ففتحت عينيها من جديد، فإذا بالقرد يخرج خاتماً ذهبياً ما كادت تراه حتى أيقنت أنه خاتم زوجها الحبيب..! وقبل أن تصرخ من الفرح كان هانومان قد

أشار إليها فى سرعة خفية يحذرها من الصراخ.

وأشار القرد من طرف خفى إلى «سيتا» أن تنتظر وتطمئن وفهمت هى إشاراته، وعرفت أنها النجاة.

وغادر هانومان المكان وقد قرر الرجوع سريعاً إلى بلاده ليعود بجيش ضخم ومعه «راما» لينزل النقمة بملك الشياطين، ولكنه لم يكد يبتعد قليلاً حتى ملأت رأسه فكرة جديدة، هى أن ينزل نقمته هو أيضاً بمملكة الشياطين ويحطم كبرياء ملكها ويذله.

وفى لمح البصر رفع «هانومان» عن نفسه السحر فعاد قرداً مارداً ضخماً، راح يحطم الأشجار ويقتلع الصخور ويقذف بها نوافذ القصر ولم يكد يفعل حتى أحاطت به الشياطين من كل جانب. وأطل حوله فإذا هو وحيد وهم كثيرون، وأدرك بعد فوات الأوان مقدار خطئه وتهوره وعرف أنه واقع لا محالة بين أيديهم. وهنا خطرت له فكرة فاقتلع من بهو القصر عموداً كبيراً من الرخام قفز به وسط جموع الشياطين ففرق شملهم.. ثم قفز فى الهواء قفزة هائلة كان واثقاً أنها تبلغه شاطئ المحيط.. إلا أن سهماً أرسله أحد شياطين الجن أصابه.. وبرغم أن الإصابة كانت خفيفة إلا أنها كانت كافية لأن تهوى به قبل أن يبلغ الشاطئ.. فجذبته الشياطين، وأوثقوه بالحبال، وقادوه إلى «رافانا» الذى كان ثائراً يرغى ويزبد ويهتز كزلزال..!

وأصدر رافانا أمره فى الحال بإحراق هانومان وأحاط الشياطين جسم القرد بلفائف القطن، ثم أشعلوا النار فى القطن الذى أحاط بذيله واشتعلت النار، وبدأت تتسرب بطيئة إلى جسد القرد.

وشهدت السماء ذلك العذاب الذى نزل بالمنقذ.. فأشفقت عليه، وتجمعت

السحب وأمطرت مطراً غزيراً كان فيه الكفاية لإخماد اللهب، وتيسير سبل الهرب للقرد بعد أن أحرقت النار وثاقه ففكت قيده.

وسكت المطر فجأة.. وأطل هانومان فإذا طرف ذيله لا يزال يشتعل به بعض النار.

وخطرت له فكرة جديدة.. لقد كانت الأميرة تجلس فى سرادق بعيد عن القصر، فلا خوف عليها إذا هو أحرق القصر نفسه..

ونهض لفوره وراح يقفز هنا وهناك، يدور بذيله فى كل اتجاه ويشعل النار فى كل شىء حوله. وأمسكت النيران بكل جزء فى القصر.. ولم تمض لحظات حتى كان قد تحول إلى شعلة كبيرة هائلة.

وفى نشوة عارمة قفز هانومان قفزة هائلة بلغ بها شاطئ المحيط.. وأسرع فى مثل لمح البرق حتى بلغ الجبل، وراح يقص الأمر على «راما» الذى أسرع إلى الملك «سجريفا» يطلب منه أن يمده بباقى الجيوش.

وعلى رأس أضخم جيش شهدته الأرض، سار راما ولكشمان وهانومان حتى بلغوا شاطئ المحيط، ووقفوا فى مواجهة جزيرة سرنديب.

وأطلت الشياطين من بعيد وملأهم الرعب، لقد استطاع قرد واحد فقط من هذا الجيش اقتحام جزيرتهم وانزال الخراب بقصر الملك.. فكيف لو نزلت كل هذه الآلاف من القردة بالجزيرة التى ملأها هانومان وحده من قبل رعبا..؟!

وكان «رافانا» على يقين من الهزيمة بعد أن تحالف ضده راما وهانومان. فجمع مستشاريه وراحوا يبحثون الأمر من كل الوجوه.

واختلف الشياطين ونشبت بينهم ثورة. ونهض «فبهيشان» شقيق رافانا

الأصغر يطالب بتنحية أخيه وتسليم «سيتا» إلى زوجها ليحل السلام محل الحرب. غير أن «رافانا» ثار عليه وكاد يقتله.. فهرب هذا من أمامه، وقد أقسم أن ينتقم.

وقفز الشيطان الصغير فصار على شاطئ الأرض. وانطلق إلى «راما» يقص عليه قصته ويعرض عليه خدماته. وظنه «راما» أول الأمر جاسوسا، لولا أنه أشار عليه بإقامة قنطرة من الأشجار والصخور تعبر عليها الجيوش البحر.

وفكر «راما» فيما أشار به الشيطان الصغير. واقتنع بصواب الفكرة ونفذها.

ولم تكد تمضى خمسة أيام حتى كانت ملايين القردة قد جمعت كل ما أمكنها جمعه من جذوع الشجر وقطع الصخر. وأقيمت القنطرة وعبرتها الجيوش فى جنح الظلام.

ونشبت المعركة هائلة مروعة بين جيوش راما وجيوش رافانا ومن كل من الجانبين سقط الآلاف قتلى وجرحى سوى أن قتلى الشياطين كانوا أضعاف ما أصاب جيوش «راما» الذى استعمل سهامه المسحورة، فراحت تقصف بالشياطين قصفاً مخيفاً.

واستمرت الحرب طاحنة لعدة أيام كانت لابد أن تنتهى بهزيمة جيوش الشياطين. وعندما وجد «رافانا» أنها الهزيمة، امتلأ غيظاً وحنقاً، وانتفض مقسماً أن يقتل «راما» ولو كلفه ذلك حياته.

ونشبت مبارزة هائلة بالنبال بين راما ورافانا.

وكان ملك الشياطين عنيفاً فى مبارزته حتى لقد بدأ راما ينهار وكاد يستسلم.. لولا أن جمع قوته كلها قبل أن يسقط على الأرض فى رمية واحدة

بسهم مسحور من قوسه.. وأخذ السهم طريقه سريعاً إلى قلب رافانا فأرداه.

وردت نشوة النصر إلى راما قوته.. وانطلق يجرى نحو السرادق الذى تقيم فيه زوجته يقوده هانومان الوفى.. ولم يحس كل من الزوجين كم من الوقت مر بهما وهما متعانقان.. إلا أنهما عندما انتبها.. كان الهدوء قد ساد المكان.. وكان فهبشان الشيطان الحليف واقفاً على رأس قومه الساجدين يطلبون الصفح والغفران..!

وانتصب «راما» قائماً من جديد وأصدر أوامره بالعفو عمن بقى من الشياطين على أن يحكمهم فهبشان ويمنعهم من الهبوط إلى الأرض بعد ذلك..!

وعندما أخذ راما وسيتا ولكشمان طريق العودة إلى الوطن.. كانت الأنباء قد سبقتهم إلى هناك على لسان هانومان.. فخرجت أيوذا كلها وعلى رأسها نائب الملك باراتا الذى رفض أن يجلس على العرش طوال أربع عشرة سنة.. وظل محتفظاً به ليضع التاج بعد ذلك بنفسه على رأس أخيه راما.. وزوجته سيتا الحسناء..!

6- أبو جلمبو الأمير

كانت أرملة فقيرة وحيدة، أطاحت العاصفة على حين غرة بالسقف الذى كان يظللها، ولم تكن تعرف مكاناً تأوى إليه، فاضطرت إلى الاستجداء. وراحت تجوب الطرقات، بحثاً عن كوخ خالى تسكنه، حتى عثرت على كوخ يدل ظاهره على أنه كان فى وقت ما مقرّاً لأسرة من الصيادين، كان مُقاماً على ضفة النهر، وكان خالياً إلا من ساكن واحد، هو «أبو جلمبو» أحمر اللون. ومن عجب أن المرأة شغفت به، وسرعان ما بادلها الحب، وصار يدعوها أمه.

كانا حقيقة رفيقين عجيبين وذات مساء، بينما كانت تجلس إلى بابها و«أبو جلمبو» فى حجرها، فقالت له:

- إنك تدعونى أمك.. ولكنك لا تستطيع أن تعيننى على ما أنا فيه من ضيق كما لو كنت ابنا ولدته.

وتأثر «أبو جلمبو» لقولها، وأجابها:

- لن تكونى منذ اليوم يا أماه فى حاجة للسؤال فسآتيك فى الغد بما يكفيك من كل شىء بقية أيامك، فطيبى نفساً واكنسى أرض الكوخ جيداً.

ونهضت المرأة فرحة به، وعمدت إلى الكوخ فكنست أرضه، وفى الصباح التالى، خرج «أبو جلمبو» من الكوخ، وبدأ بزيارة متجر الغلال، حيث قال للتاجر:

- هل لك يا أخى أن تبيعنى من القمح ما أستطيع حمله فى أذنى.

وأجابه التاجر وقد استخفه السرور:

- مرحى.. مرحى يا «أبو جلمبو» لك أن تأخذ ملء أذنيك من القمح، وإنى أقدمه هدية خالصة لك.

وبينما كان مشغولاً بأمور أخرى مضى «أبو جلمبو» يحشو أذنيه بالقمح حتى

امتلآ ودلف خارجاً فى هدوء. وعاد إلى الكوخ حيث أفرغ القمح على أرضه، ولم يلبث أن عاود الخروج، وظل على هذه الحال، يطوف بالمتاجر، الواحد بعد الآخر، حتى حصل على ما يكفيه وأمه، من كل شىء لسنوات طويلة.

وعندئذ قال «أبو جلمبو» للعجوز:

- والآن يا أمى العزيزة، ألا أستطيع أن أفرج كربتك؟ عليك منذ الآن أن تنظرى إلى، كما لو كنت ولدتنى حقّاً.

وفرحت المرأة فرحاً شديداً لما كان من تبدل الحظ على هذا النحو، وبدأت تعيش فى دعة وسعادة ومع ذلك فقد كان لديها ما يجعلها تشكو لابنها. وكان مثار الشكوى هذه المرة، حالة كوخهما المتداعي.

بارح «أبو جلمبو» الكوخ ثانية، وقصد إلى أحد الممولين فى طلب مبلغا من المال على سبيل القرض.

وقال الرجل وقد راقه مثل هذا الطلب يتقدم به «أبو جلمبو»:

- مرحى.. مرحى يا «أبو جلمبو» إنك فى حاجة إلى نقود !! أليس كذلك؟

قال هذا ورمى إليه بقدر من القطع الذهبية، واستطرد يقول:

- إليك هذه النقود، هدية خالصة منى إن استطعت حملها.

وفى أسرع من لمح البصر، إذ به يودع هذه القطع الذهبية أذنيه، ويأخذ طريقه فى هدوء إلى الخارج، مثيراً بعمله دهشة الجميع.

وشاد «أبو جلمبو» بهذا المال قصراً ريفّياً مكان الكوخ عاش فيه وأمه سعيدين.

ولكن رغبات الإنسان لا تعرف حدّاً تقف عنده. فقد حدث أن كانت الأرملة ذات يوم تدلل «أبو جلمبو» وإذا بدمعة تسقط من عينها.

قال لها:

- ماذا يبكيك يا أمى العزيزة؟ ماذا دهاك؟ وهل ثمة شىء ينقصك لتكونى سعيدة؟ أخبرينى به.. يكن لك ما تريدين.

قالت العجوز:

- يا بنى العزيز، لقد عملت من أجلى أكثر مما كان يستطيعه ابن لى. ومع ذلك فلو كنت رجلاً لتزوجت وأتيت إلى القصر بعروسك الفاتنة، ولأنجبت أطفالاً يلعبون على ركبتى، ويدخلون السرور إلى قلبى بلغوهم الكثير اللذيذ.

فأجاب «أبو جلمبو»:

- أهذا كل شىء؟ أؤكد لك أنك ستكونين حماة لإحدى الأميرات، فجففى دمعك وطيبى نفساً يا أمى العزيزة.

وهكذا انصرفت العجوز إلى شؤون بيتها وقلبها يفيض سروراً، وهى تحلم برؤية زوجة ابن لها، على حين أخذ «أبو جلمبو» طريقه إلى الملك ليطلب يد ابنته.

وفى الطريق صادف قطة سألته:

- إلى أين أنت ذاهب أيها الأخ «أبو جلمبو»؟

وأجابها بقوله:

- إننى فى طريقى لأتزوج من ابنة الملك.

قالت فى رجاء:

- دعنى أرافقك إلى زفافك يا أخى.

فأجابها «أبو جلمبو»

- ادلفى إذن إلى داخل أذنى.

وفعلت القطة ما أمرها، ومضى فى طريقه إلى أن لقى نمراً سأله:

- إلى أين أنت ذاهب أيها الأخ «أبو جلمبو»؟

وأجاب «أبو جلمبو»:

- إنى لفى شوق لأذوق كعكة عرسك، فدعنى أرافقك.

فقال «أبو جلمبو»:

- فلتأخذ مكانك فى أذني يا أخى النمر.

وصدع النمر بالأمر، وعلى مقربة من القصر التقى «أبو جلمبو» بأجمة من البوص.

وسأله البوص:

- إلى أين أنت ذاهب أيها الأخ «أبو جلمبو»؟

- وأجاب «أبو جلمبو»:

- إنى ماض لأتزوج من ابنة الملك.

وأخذ البوص يرجوه:

إننا نريد أن نشهد زفافك، فلا تذهب دوننا.

وطلب «أبو جلمبو» إلى الأجمة أن تدخل أذنه، وهكذا فعلت وواصل «أبو جلمبو» المسير إلى أن أتى نهراً سأله:

- إلى أين أنت ذاهب يا أخى «أبو جلمبو»؟

وأجابه قائلاً:

- إنى فى طريقى لأتزوج ابنة الملك.

فقال النهر:

- دعنى يا أخى أرافقك إلي زفافك.

فقال «أبو جلمبو»:

- فلتدخل إلى أذنى.

وهكذا فعل النهر.

وبلغ «أبو جلمبو» القصر فى النهاية وأخذ يردد بصوت مرتفع:

- أيها الملك.. زوجنى ابنتك، أيها الملك زوجنى ابنتك.

وأمر الملك أحد وصفائه بالقبض على «أبوجلمبو» وإحضاره إليه، ولكن ما إن وضع الوصيف يده عليه، حتى وخز أصابعه ببراثنه الحادة، فأطلقه فى الحال وأسرع إلى الملك صارخاً من الألم، والدم ينزف منه. وأصدر الملك أوامره بأن يؤتى إليه «بأبو جلمبو» لينزل به ما يستحق من عقاب، ولما تم له ما أراد ومثل «أبو جلمبو» بين يديه قال له:

- أتجرؤ أيها «الأبو جلمبو» الوقح على طلب يد ابنتى؟! سأذيقك العذاب ثم آمر بقتلك.

وما إن قال الملك ذلك حتى أمر بأن يلقى به إلى ديكته المقاتلة لتنوشه بمناقيرها ومخالبها.

وكان ما أراد الملك. ولكن عندما شرعت الديكة فى مهاجمته خرجت القطة من أذنه وقتلت الديكة والتهمتها، ثم عادت إلى مكانها من أذنه.

وأدهش الملك فى الصباح التالى أن يجد «أبو جلمبو» سليماً لم ينله أذى إلى جانبه كومة من الريش بدلاً من الديكة.

واستبد الغضب بالملك وأمر بأن يوثق «أبو جلمبو» من أرجله العشرة إلى ساق فيل ضخم، حتى يسحقه تحت أقدامه الثقيلة.

وكان ما أراد الملك، وانبرى النمر من مخبئه، وفتك بالفيل ثم حل وثاق «أبو جلمبو» وعاد إلى مكانه فى أذنه.

وفى الصباح التالى.. ذهب الملك ليشهد ما حلب «أبو جلمبو» وكم كانت دهشته بالغة عندما رأى واحداً من أفضل فيلته ملقى على الأرض جثة هامدة.

وعاد الملك فأمر نفراً من جنوده بقتل «أبو جلمبو» ولما أقبلوا عليه ليمسكوا به انبرى لهم البوص، وشرع يوسعهم ضرباً مبرحاً دون شفقة أو رحمة، حتى تهاووا على الأرض الواحد بعد الآخر بلا حراك.

وجاز غضب الملك كل حد، ولما كان قد أعيته الحيل فى التخلص من «أبو جلمبو» فقد أمر بأن يشد وثاقه إلى أحد أعمدة سرير نومه طوال الليل.

ولما استغرق الملك فى النوم إذا بالنهر ينساب متدفقاً من أذن «أبو جلمبو» حاملاً السرير على صفحته ولما صحا الملك من نومه ووجد نفسه مشرفاً على الغرق، عندئذ عمد إلى مسالمة «أبو جلمبو» واعداً إياه بالزواج من ابنته لو أنه أعاد النهر إلى أذنه ثانية.

واستحلف «أبو جلمبو» الملك ثلاثاً بأن يفى بوعده، وانساب النهر عائداً إلى أذنه.

ولم تلبث ابنة الملك أن زفت إلى «أبو جلمبو» وسط مظاهر أقرب إلى الأسى والحزن منها إلى الفرح والغبطة، وعاد العريس بعروسه إلى بيته فى موكب عظيم.

واستخفت الفرحة أمه. فرحبت بالعروس، وهكذا تحققت أمنيتها.

وكان الملك شديد الرغبة فى معرفة كيف تجرى حياة ابنته مع «أبو جلمبو» فقام بزيارتها وقد أدهشه أن يجدها سعيدة هانئة، ووقف على السر فى ذلك، فقد كان لزوجها هيئة «أبو جلمبو» فى أثناء النهار، حتى إذا أقبل الليل تحول إلى هيئة أمير.

وعملت الأميرة بمشورة الملك.. وبينما كان زوجها نائماً عمدت إلى القشرة الصدفية التى تغطيه فى أثناء النهار فسحقتها وأحالته تراباً، ولما نهض من فراشه لم يجدها فاستحال عليه التخفى ثانية فى هيئة «أبو جلمبو».

وهكذا عم الفرح القصر، فحل محل ما كان قد خيم عليه من حزن وكآبة.

7- عريس واحد وست فتيات

«لهذه الأسطورة فى الأدب الهندى مثل ما لمجنون ليلى من مكانة فى الأدب العربى، ففيها يتمثل الحب بكل ما يحمل من وفاء. وبكل ما فيه من تضحيات، وبكل ما يصور من مُثل عليا لها طابعها الفريد الخاص.

ولكن جنباً إلى جنب مع قصة الحب البرىء، تبرز من بين السطور قصة أخرى تزيح الستار عن نقائص المرأة السبع الكبرى.. الكسل، والغرور، والبخل، والحسد والشراهة، والغضب، والإسراف.. وهو ما لم تنس أن تقدمه هذه الأسطورة..!»

لم كن «مادهو» الحكيم الهندى يأسف لشىء مثل عجزه عن الحصول على زوج لكل من شقيقاته الست. وكان يعلم جيداً أن فتياته يقضين فى بيته أياماً شقية تتمنى كل منهن أن تهجرها وترحل عنها إلى بيت أى عريس يمكن أن يقع فى شباكها. غير أن أحداً من العرسان لم يحاول الاقتراب من بيت مادهو.. فقد كان قبح «زهرة اللوتس» أكبر شقيقات الحكيم، وسوء خلقها يحولان بين أى عريس يمكن أن يحاول خطبة أى من شقيقاتها الصغيرات. فقد كان لها هى وحدها الحق فى الخروج، والحق فى الكلام، والحق فى مخاطبة الشبان. والحق أيضاً فى الحصول على أول الأزواج..!

وبلغت «زهرة اللوتس» سن الأربعين، ولم يعد فى استطاعة شقيقاتها الانتظار أكثر مما انتظرن. وانقلب حبهن لها حقداً وغيظاً واستياءً.. حتى لقد بدأت كل منهن تفكر فى وسيلة للخلاص من «العانس العجوز» لولا بعض خير يرسب فى قلوبهن.. من ذلك النوع الذى يملأ قلب شقيقهن.

ولمس «مادهو» ما بلغ إليه الحال من حرج.. فأقسم ألا يرفض زوجاً يتقدم لأى من الفتيات.. حتى ولو طلب العريس يد «نور الفجر» الصغيرة التى لم تتجاوز السابعة عشرة بعد..!

فى ذلك الوقت، التقى مادهو بضابط شاب غنى يسمى «شاندور» وكان شاندور من ذلك النوع من الشباب العربيد الذى لا يعرف كيف تكون الحياة بعيداً عن زوجات الآخرين..! غير أنه فى ذلك اليوم الذى التقى فيه بمادهو، كان قد سئم عبء هذه الحياة وقرر أن ينفض عن نفسه ثوب الخطيئة.. ويتزوج..!

وعرض الحكيم على الضابط أن يزوجه واحدة من شقيقاته الست «الجميلات» ولم يرفض شاندور عرض صديقه.. غير أنه اشترط أن يقضى فى بيته أربعاً وعشرين ساعة.. يكون له الحق بعدها فى اختيار العروس التى يريد.

وانطلق «مادهو» يبشر شقيقاته بالعثور على الزوج.. ويخبرهن بالشرط الذى أبداه.

وهزت «زهرة اللوتس» رأسها فى استنكار وهى تقول:

- يتخير عروسه..!؟ هل نحن بقرات يأتى الغريب ليقلبهن ويركبهن ليشترى منهن واحدة..!؟

وقال لها مادهو:

- إن هذا من حقه.. ومع ذلك فإن لك امتياز الأولوية فى التقدم إليه.. بحكم الأقدمية..!

وهتفت الفتاة:

- ولكن لم لا تقدمنى وحدى على شقيقاتى.. ثم يكون لهن حق الزواج بعد ذلك من أى فتى يردن..!؟

قاله مادهو:

- لقد فعلت ذلك مدى عشرين عاماً.. ولكن الضابط صمم على شرطه

- فهل أدعه يفلت منا..؟

هتفت الفتيات الباقيات فى صوت واحد:

- لا.. لا.. إن من حقنا نحن أيضاً أن نتزوج.. ومن حقه وحده أن يختار الزوجة التى يريد..!

وعاد الحكيم يقول:

- ولكنى أريد أن أصارحكن بما لا أبوح به لأحد غيركن.. لقد اجتمعت فيكن النقائص السبع الكبرى.. الكسل، والغرور، والبخل، والحسد، والجشع، والغضب، والإسراف.. ويجب أن تتخلصن منها قبل أن يأتى العريس المنتظر..!

وصاحت «ذهرة اللوتس» فى شقيقاتها وكأنها وضعت على رأسها حالة قدسية:

- إن النقائص السبع تجتمع فيكن.. ولهذا فلن تستطيع واحدة منكن اختطاف العريس الجديد الذى سيكون من نصيبى وحدى.. وهتفت سولا:

- إن النقائص فيك أنت وحدك. أما أنا فطاهرة نظيفة لا يستطيع أحد أن يعثر لى على نقيصة..!

ودبت المعركة بين الفتاتين.. واشتركت فيها بعد ذلك بقية الشقيقات.. عدا نور الفجر.. أصغرهن وأجملهن.. وأبعدهن عن أية نقيصة من النقائص الكبرى السبع.

وهتف مادهو:

- سكوتا.. وإلا فلا زوج..!

وفى لحظة، انتهت المعركة. وبدت كل منهن وكأنها كانت بعيدة كل البعد

عما دار فى القاعة منذ لحظات. واطمأن مادهو إلى الهدوء الذى ساد المكان، فنهض ليدبر غرفة للضابط شاندور، والجندى الذى يقوم على خدمته.

***

لم يكد «مادهو» يغادر القاعة حتى تسللت «زهرة اللوتس» إلى مخدعها، فأوصدت من خلفها الباب، وراحت تلتهم أوراق كتاب «فن الحب» وتحفظ ما جاء به من نصائح تمكن المرأة من الفوز بقلوب الرجال. وعندما استوعيت كل ما قرأت من نصائح، تزينت بأجمل ما لديها من جواهر، وارتدت أغلى ما لديها من ثياب، وفتحت الباب لتشترك مع شقيقاتها فى قاعة الجلوس..!

وأطلت «زهرة اللوتس» إلى شقيقاتها.. فإذا كل واحدة منهن قد فعلت بنفسها ما فعلته هى أيضاً.. إلا نور الفجر، فقد كانت لا تزال جالسة فى المقعد الذى كانت تجلس عليه من قبل بغير ما زينة أو جواهر، تقرأ كتاباً فى الشعر، وكأنها لا تهتم لما يدور حولها على الإطلاق.

قالت مورارى، وهى التى تلى «زهرة اللوتس» فى السن:

- أقسم أننى وحدى التى سأفتن الضابط شاندور..!

فأجابتها «ياداة»:

- لن يفتنه إلا جمالى.. وأنا واثقة من أننى أنا التى ستفوز بحبه وإعجابه.

وأسكتتهما «زهرة اللوتس» وهى تستعيد فى رأسها نصائح كتاب «فن الحب» التى استوعبتها منذ لحظات وقالت:

- إنما تخدعن أنفسكن.. فأنا التى سأفقده وعيه..!

فأجابتها أسولا ساخرة:

- طبعاً سيفقد وعيه.. ولكن لقسوة الواقع..!

وانطلقت اللعنات من فم «زهرة اللوتس».. وأجابتها بألعن منها كل من الشقيقات الأخريات.. وبينما الشجار يكاد يتحول إلى معركة ارتفع صوت «نور الفجر» فى رقة وعذوبة:

- يا شقيقاتى العزيزات.. خير لكن بدل الشجار أن تصلين لكاما.. إله الحب.. حتى يسبغ عليكن من الجمال ما يسحر قلب الضابط ويغريه بالاختيار..!

وسكتت الفتيات فى الحال.. ثم ركعن جميعاً فى خشوع رافعات أيديهن إلى السماء يسألن كاما أن يزيدهن حسناً وجمالاً فى عين العريس المنتظر..!

وفى تلك اللحظة، دخل مادهو يعلن قدوم الضابط.

وانقطعت الصلاة.. فما عاد هناك وقت لإتمامها.. وأسرعت كل من الفتيات تتخذ لنفسها خير الأوضاع لإبراز محاسنها والكشف عن مفاتنها.. وترسم على شفتيها ابتسامة حارة تنم عن الترحاب الصادق والاستقبال الحافل.

ودخل شاندور القاعة. ومن خلفه جنديه وتابعه «سانفو».. وراح ينحنى تحية لكل من الفتيات اللاتى وقفن كتماثيل مرسوم على وجهها بسمات صناعية جلية المعالم.. فرسم هو الآخر على وجهه بسمة من نفس النوع وهو يقول:

- مرحى مرحى.. ما أروع المشهد الذى يتبدى لعينيَّ، لقد ملأتن أحلامى منذ أيام.. ورأيتكن بعين خيالى. ولكن خيالاتكن عجزت عن أن تصور الحقيقة الرائعة التى أتمثلها أمامى الآن.. فأنتن فى الواقع أكثر جمالاً وأروع حسناً من كل ما تخيلت.

وتصنعت الفتيات الخجل، وتركن أخاهن يجيب التحية الرقيقة العذبة بخير منها ويقول:

- مرحباً بلك أيها الضابط العظيم.. الذى جمع كل صفات المجد والنبل والثراء..!

وتحركت «زهرة اللوتس» إلى الأمام.. وبدا لها أن تكون البادئة بالكلام لعلها تلفت نظر الضابط إلى جمالها ورونقها.. ورآها شاندور فانحنى من جديد أكثر مما انحنى من قبل.. والتفت إلى مادهو وهو يشير إلى زهرة اللوتس ويقول باحترام:

- ليحرسكما الرب فيشنو.. وليسبغ رعايته عليك وعلى أمك..!

وصرخت «زهرة اللوتس» مجفلة كأنما لدغتها عقرب:

- أمه.. أمه.. اننى صغرى أخواته.. أصغرهن جميعاً..!

وقال مادهو:

- أجل إنها من أصغر أخواتى.. فقد كان لى ست وثلاثون أختاً رُزق بهن أبى من ثلاث نساء. وقد تزوجن جميعاً عندما كبرن.. ولم يبق سوى هؤلاء الفتيات الست الصغار..!

وانحنى شاندور من جديد لزهرة اللوتس وهو يقول:

- ما أشد غبائى.. فقد خدعتنى الأصباغ على وجهك فحالت بينى وبين الحقيقة..!

وجذب مادهو ضيفه فى اضطراب إلى الحجرة التى خصصها له وعندما جلسا وحدهما قال شاندور:

- ما أجمل شقيقاتك وأفتنهن.. وما أسعدنى بالحصول على عروس منهن تزيل وحشتى وتملأ وحدتى وتترع حرمان قلبى.

وأجابه مادهو فى ابتسامة راضية:

- إذا أردت أن تسعد حقّاً فأنا أرشح لك «زهرة اللوتس».. فهى مثال الرقة والعفة وعلو النفس.

وهز شاندور رأسه وهو يقول:

- حقّاً.. حقّاً.. إن لها لصفات حميدة كثيرة.. ولكن هناك سنها..!

أجابه مادهو:

- لا تخدعنك الظواهر.. ومع هذا أليست الأكبر هى أقدر الجميع على الفهم والإدراك وأكثرهن اهتماماً بأمور الزوج وحاجات البيت؟

قال شاندور:

- أعلم هذا ولكن أليست ترانى سريع الغضب عنيف الرد مما قد تعجز فتاة مثلها على إرضائى؟ ومع ذلك فهبنى لا أميل إليها ولا أبغيها..؟!

قال مادهو:

- لتكن الثانية إذن.. مورارى.. إنها مثال اللطف والسماحة والبراعة فى الحب والارضاء.

هز شاندور رأسه وقال:

- لنفرض أننى لا أجد ما يجذبنى إليها، فماذا يكون الأمر..؟!

أجاب مادهو:

- تكون أحق بالثالثة.. رادها.. فهى أقدرهن على خلق السعادة وملأ جو البيت فرحاً وبهجة.

قال شاندور:

- هب أننى..

وقاطعه مادهو:

- يبقى بعد ذلك اثنتان.. يادافا، وأسولا.. ودعنا من أمر نور الفجر فمازالت صغيرة يافعة..!

وسكت شاندور، وسرح ببصره فى شرود، ثم قال وهو يهمس:

- إنها لطيفة..

وأسرع مادهو وهو يقول:

- بل إنها غاية فى اللطف والرقة.. وهى أفضل من جميع الآخريات إذ هى خلو من كل العيوب..!

وانتهز الضابط الفرصة وهتف:

- إذاً للأخريات عيوب!؟

وعض مادهو على نواجزه لانزلاق لسانه.. ولم يجد إلا أن يقول له:

- إن يوسعك على أى حال أن تختبرهن بنفسك.. وستجد متسعاً لذلك خلال الأربع والعشرين ساعة التى ستقضيها بيننا.. وأؤكد لك أنك ستجد كل واحدة من الفتيات خيراً من الأخرى حتى لتعجز عن اختيار أفضلهن..!

ووافق الضابط على فكرة الاختبار.. وقرر أن يختبر كل واحدة من الفتيات على حدة، يجلس إليها فترة فى المساء، يتحدث إليها، ويستشف أخلاقها وثقافتها ويقارنها بالآخريات.

وقبل أن يهبط الليل خرج الجميع إلى الحديقة، وراح شاندور يجرب أمامهن قوسه وسهامه، وفيصفقن له كلما أصاب هدفاً.. وظلوا على ذلك حتى جاء المساء.

وهنا بدأ الاختبار.. وكانت «زهرة اللوتس» قد ذهبت إلى مطبخ الدار تصنع عجة.. فحمد شاندور للقدر تلك الفرصة وجلس مع الفتاة التى تليها «مورارى».

لم تكد مورارى تدخل قاعة الجلوس حتى تثاءبت.. وعندما دعاها للجلوس ليتبادلا الحديث قالت له:

- ما دمت تريد أن نتحدث.. فأرجو أن تحضر ذلك المقعد الذى فى أقصى الغرفة لأجلس عليه..!

ونهض «سانفو» من مكانه ليقدم لها المقعد وعندئذ لمحت فى يده مروحة صغيرة فقالت له:

- ما أشد الحر هنا.. ألست ترى أننى وأنا امرأة، أحق منك بهذه المروحة؟

وقدم لها «سانفو» مروحته فى هدوء.. فأمسكتها بيدها وظلت تجلس ساكنة والعرق يملأ جبهتها وخديها.. وعندما ازداد عرقها قال لها الضابط:

- حركى المروحة حتى تمنع الحر عنك..!

قالت له وهى لا تزال ساكنة:

- إننى تعبة.. فهل لك يا عزيزى أن تأمر الخادم بتأدية تلك المهمة!؟

وانحنى التابع فى سخرية، وأمسك المروحة وراح يحركها أمام وجهها ليخفف عنها الحر.. أما الضابط فقد راح يحدثها فى موضوعات شتى.. يتنقل بها من حديث إلى حديث، فلا يجد جواباً بأكثر من لا أو نعم، وخيل إليه أنها استكثرت حتى الإجابة بإحداهما عندما وجدها لا تجيبه.. وبعد لحظات سمع غطيطاً خفيفاً يتصاعد مع زفرات مورارى.. لقد كانت نائمة..!!

وتناول الضابط المروحة فألقاها على وجه مورارى، فما تحركت فنهض من مكانه ليغادر القاعة، وإذا ضحكة صاخبة تنطلق من عند الباب فأطل فإذا «زهرة اللوتس» التى كانت تسترق السمع تدخل القاعة هاتفة:

- هل نامت الكسول كالعادة..؟ إن هذا هو عيبها الذى تفشل دائماً فى إخفائه.

وتقدمت «زهرة اللوتس» من أختها وراحت تهزها فى عنف فلما استيقظت وأدركت ما كان، صرخت باكية، وغادرت القاعة فى خطوات سريعة متعثرة

وهى تخفى وجهها بين يديها فى خجل كبير.

وجلست «زهرة اللوتس» بجوار الضابط. وبدأت تحدثه وتقول:

- لست أدرى كيف نامت هذه الكسول. وهل يطيق الرجل امرأة تنام بين يديه..؟! إننى لا يمكن أن أنام على حين أن زوجى الحبيب يحدثنى ويجلس معى.

وبينما هو يتحدث إذ بالشقيقة الثالثة، رادها، تدخل القاعة فى صخب بلا استئذان، ثم تهتف فى أختها وهى تختلس النظر إلى الضابط الجميل:

- أهكذا تهملين العجة وتتركينها على النار حتى تحترق؟! لو كنت مكانك لاهتممت بالطعام وأتقنت صنعه بدل أن أتركه يفسد..!

وأدركت «زهرة اللوتس» أن أختها تريد أن تنتهز الفرصة لتكشف عيوبها.. فقالت لها ساخرة:

- هل تظنين أنك بمسلكك هذا قادرة على إسعاده؟

قالت لها رادها:

- بالطبع أستطيع إسعاده.. سأهتم دائماً بطعامه وأتقن صنعه.. سأقدم له حساء السلحفاة فى السابعة صباحاً متى استيقظ من النوم. وأقدم له الفطائر المحشوة فى الثامنة.. وفى التاسعة أكون قد أحضرت له الإفطار وفيه طبق من المربى التى أتقن صنعها بيدى.. ومتى جاءت العاشرة أكون قد صنعت له طبقاً من الأرز بالتوابل.. أما فى الحادية عشرة فسيكون اللحم قد تم طهوه فأقدمه له.. وعندما يحل الظهر أكون..

وصرخ شاندور يقاطعها:

كفى كفى يا آنستى فمن المستحيل أن آكل كل هذا..!

قالت رادها فى زهو:

- إننى أحب الطعام. ولذلك لا يمكن أن أترك «العجة» تحترق وتذكرت «العجة» المتروكة على النار. فغادرت القاعة وانطلقت إلى المطبخ، فى حين ابتسمت «زهرة اللوتس» فى ارتياح، فقد اقتنعت أن الضابط قد أدرك عيوب «رادها» كما أدرك من قبل عيوب مورارى وهكذا اختفت من أمامها منافستان خطيرتان.

وعادت «زهرة اللوتس» تتحدث عن أختيها، وتتبسط فى ذكر معايبها وبينما هى كذلك إذ انحنى التابع على ضابطه وأسر إليه كلمات ابتسم لها فى سخرية.. وغاظ هذا التصرف «زهرة اللوتس» وظنته يسخر منها فهتفت فى عنف:

- منذ متى يتدخل الخدم فى أحاديث سادتهم؟

وسكت «سانفو» وهو يكظم غيظه، على حين حاول شاندور تهدئتها وتغيير مجرى الحديث وقال:

- وكيف تستطيعين أنت إسعاد زوجك؟!

أجابته زهرة اللوتس:

- ألا يكفى لإسعاد زوجى أن أبدأ حياتى معه بصداق كبير.. أكبر من صداق كل أخواتي إذ اننى أكبرهن..؟!

قال لها شاندور:

- أنا لا أهتم بالصداق أو بالمال.. فأنا أملك منه ما يزيد على حاجتى..!

وتذكرت «زهرة اللوتس» أنها لم تنفذ النصائح التى قرأتها فى كتاب «فن الحب». وحاولت أن تتذكر شيئاً من تلك النصائح فوجدت أنها قد نسيتها.

ونهضت «زهرة اللوتس» تستأذن فى الانصراف قليلاً.. وفى ذهنها أن تذهب إلى حجرتها لتعيد قراءة «فن الحب».

وعندما غادرت «زهرة اللوتس» القاعة.. ظهرت «أسولا» بالباب تختال رشاقة وهى تنحنى وتستأذن فى الدخول. وهمس الضابط كأنما يحدث نفسه:

- لقد ذهبت الكسول، والأكول، وسليطة اللسان، فماذا يكون وراءك أنت..؟!

واستقبل الضابط «أسولا» فى ترحاب ودعاها إلى الجلوس وهو يقول:

- ما أغبانى إذ أنسى الأسماء دائماً.. أليس اسمك أ.. س..

وأسرعت أسولا تقاطعه:

- أسولا.. اسمى أسولا.. وإن شقيقاتى يسميننى «ذات الأنف المثلج»!

وفتح الضابط عينيه فى دهشة وقال:

- ولماذا يطلقن عليك ذلك الاسم؟

أجابت الفتاة وهى تضحك فى مرح:

- لأن جسمى يصطك برداً من أشد الأيام قيظا..!

وهز شاندور كتفيه وهو يقول:

- مهما كان الأمر فأنا لا أهتم بالجسد بقدر ما أهتم بالروح ولهذا فأريد أن أسألك أولاً سؤالاً لم أستطع أن أجد جوابه عند شقيقاتك، مما يجعلنى أنصرف عن زواجهن.. فكيف تستطيعين إسعاد زوجك وما هى وسائلك إلى راحته؟

قالت له أسولا:

- ليس الأمر عسيراً قط.. فهناك وسيلة واحدة شاملة لإسعاده.. هى أن أفعل كل ما يريد.

قال لها وهو يفتح عينيه دهشة:

- ماذا تقصدين بكل ما يريد..؟

أجابت أسولا:

- أعنى كل شيء، فعلى المرأة أن تطيع زوجها، وألا تكون كسولا أو أكولا، أو سليطة اللسان.

واهتز شاندور طرباً وشعر كأنه قد وجد بغيته. وعاد يسألها:

- وهل هناك وسائل أخرى لإسعاد زوجك؟

قالت الفتاة:

- إذا لم يكن يكفيه هذا فأنا أستطيع أن أجذبه إلى بمختلف الوسائل الأربع والستين التى ذكرها الإله كاما فى كتابه.

وامتلأ نفس الضابط غبطة وراحة وسروراً. فقد أيقن أنها هى الزوجة التى تستطيع أن تجعل من بيت زوجها جنة.. وقال لها:

- إنك نعم الزوجة يا أسولا.. وخاصة إذا كنت تعرفين الرقص وضحكت أسولا.. فقد كانت بارعة فى الرقص.

ونهضت فى رشاقة تقدم رقصة مثل رقصة شيفا.. لم تكد تستمر فيها حتى انطلقت من فم سانفو ضحكة جهد أن يخفيها.. ولم تكد أسولا تراه يضحك حتى اقتربت منه ومدت كفها فصفعته فى غضب وهى تصرخ:

- أيها العبد.. خذ هذه لك..:

ونهض شاندور غاضباً يهتف فيها:

- ما هذا الذى تصنعين..!؟

فمدت أسولا يدها من جديد وهبطت بصفعة أخرى على خد سانفو:

- وخذ هذه لسيدك..!

وانطلقت أسولا.. إلى خارج القاعة!

وفى تلك اللحظة كانت «يادافا» تتنزه فى الحديقة، وعندما أحست ضجة

فى القاعة أسرعت لترى ما هناك. فوجدت شاندور منحنياً على «سانفو» يخفف عنه ما أصابه.. وعندما شهدها شاندور، اعتدل فى وقفته واستعد لاستقبالها غير أنها أدارت ظهرها وانطلقت وهى تقول فى صوت مسموع:

- ألا ما أحقر سيد ينحنى على خادمه..! إنما أريد أن أتزوج سيدا يحترم نفسه لا سيدا يحترم عبده..!

وذهل شاندور، وجلس على مقعده وراح يفكر. لقد كان من العجيب ألا يجد بين ست فتيات واحدة فقط تصلح للزواج.. وتخلو من العيوب.. فالأولى كسول، والثانية أكول، والثالثة سليطة اللسان، والرابعة طويلة اليد، والخامسة مغرورة يملؤها الكبر. والسادسة...

ولكن أين هى السادسة.. نور الفجر. إنه لم يختبرها بعد، ولم تحاول هى الحضور إليه كما تتابعت شقيقاتها الأخريات.

وقرر أن يذهب هو ليراها..

وتسلل شاندور من القاعة، وسار فى خفة حتى بلغ غرفة مسدلة الستائر، وأطل من خلال أحد الثقوب، فإذا «نور الفجر» رائعة وديعة.. جالسة فى هدوء تكتب على الورق. ووقف فترة طويلة يتأملها، ثم سمح لنفسه أن يدخل الغرفة بغير استئذان. وانحنى أمامها معتذراً على جرأته فى اقتحام عزلتها، وقال لها فى أدب:

- هل أستطيع أن أسمح لنفسى بسؤالك عما تكتبين..؟!

وترددت «نورالفجر» لحظات.. ثم أجابته فى بساطة وخجل:

- كنت أنظم قصيدة..

قال الضابط:

- هل أستطيع أن أسمع بعض أبياتها..؟!

ورفضت الفتاة فى خجل. غير أنه ألح عليها. فخجلت من الرفض وفتحت الورقة وراحت تقرأ له ما كتبته.. لقد كانت أبياتاً رائعة من شعر الحرب.

قال لها وقد سمح لنفسه أن يجلس:

- ما أروع معانيها، وما أرق ألفاظها إنها لتكاد تحكى روعة جمالك ورقيق نفسك. وتكشف الفرق الكبير بينك وبين شقيقاتك الأخريات.

وقالت له نور الفجر:

- إن شقيقاتى جميعاً لطيفات.. رقيقات.. ولن تجد خيراً منهن زوجات..!

قال شاندور:

- بل إن اختيار إحداهن زوجة لأمر شاق فما وجدت واحدة منهن خالية من العيوب..!

قالت له نور الفجر:

- لقد فهمتك الآن فأنت صاحب مثل أعلى تريده فى المرأة، إنك تريدها أن تكون رقيقة عذبة، بعيدة عن الغرور والحسد، ربة منزل متحفظة، أى أن تكون حائزة لجميع الصفات الحسنة.. وهذا ما لا يمكن أن يتوافر فى امرأة..!

هتف شاندور:

- ولكنها متوافرة كلها فيك أنت يا نور الفجر.. فهل تقبلين أن أكون زوجك!؟

وانطلقت من بين شفتيها كلمة واحدة:

- لا..!

وفوجئ شاندور، فما تصور أن تجيب امرأة على عرضه بالرفض وأحست الفتاة مقدار الصدمة التى أصابته بها. ولكنها قررت أن تواجهه بحقيقة رأيها فيه:

- إنك يا سيدى تظن نفسك مالك رقاب.. يكفى أن تزور أسرة لينحنى لك كل فرد فيها.. وأن تصدر أمرك فيتلهف الجميع إلى إرضائك إنك مستهتر مغرور يا سيد شاندور. ولن يشرف امرأة، أن تقبلك زوجاً.. لأنك تستهين بالمرأة وتحتقرها.. وترى فيها محظية فحسب.! وأراد شاندور أن يحتج ويعترض.. غير أنها استمرت تقول:

- إذا كنت ترى أننى كاذبة فيما أقول.. فهل تقسم على أن هذا لا يدور فى خاطرك!؟

وسكت شاندور وراحت مظاهر الإعجاب المختلط بالدهشة تتضارب فى الأعماق منه. وهنا قالت له:

- ها هو ذا سكوتك يعترف بدلاً منك. مع هذا فأنا لا أستطيع أن أنكر أنك نلت إعجابى. وأننى إذا فكرت فى قبولك زوجاً فإنما لى شروط أنا الأخرى.

وهتف شاندور مغضباً:

- شروط..!؟ لعلك تظنين نفسك خير النساء.. لا يا سيدتى.. إنك لمغرورة متكبرة لا تقدرين قدر نفسك.

فقالت له فى ابتسام:

- إذا كنت مغرورة فلدى ما أغتر به أما أنت فماذا لديك أتراك كريما أم ذكيا!؟ أنك لا تستطيع أن تنكر أنك كسول..!

وضرب شاندور الأرض بقدمه فى غيظ، ونهض من مكانه وغادر الدار مغضباً.. وقد أقسم ألا يتزوج على الإطلاق..!

***

فى اليوم التالى انطلق مادهو ومعه شقيقاته الخمس إلى الوزير، وقد

قررن الانتقام من الضابط الذى رفض زواجهن. ولم تكن «نور الفجر» قد ذهبت معهن، فقد أبت أن تشترك فى عمل لا يرتاح له ضميرها، أو هى فى الحق كانت قد أحبت الفتى فاستكثرت أن تشترك فى مؤامرة تدبر ضده..

ووقف مادهو يطلب من الوزير إنزال النقمة بشاندور. غير أن الوزير لم يجد فى مواد القانون ما يجعله يصدر حكماً على شاندور، ولم يكد يعلن ذلك حتى هتفت مورارى تقول:

- هناك قانون يا سيدى يعاقب من لا يدفع الضرائب.. وشاندور لا يدفع الضرائب قط برغم غناه.

وهتف الوزير:

- فكرة صائبة يا ابنتى.. فلنستدعه للتحقيق..!

وأرسل الوزير جنوده لاستدعاء الضابط وعندما حضر كان الوزير جالسا فى حجرة جانبية يدبر الأمر مع مادهو.. بينما كانت الفتيات الخمس يجلسن مع «أونا» زوجة الوزير التى راحت تستمع إلى وصفهن له فى إعجاب.. ظل يزداد ويزداد حتى دخل الضابط القاعة.. فأحست بقلبها يخفق بين جنبيها، ودارت رأسها فى سرعة تدبر أشياء أخرى غريبة..

تقدمت «أونا» من الضابط وقالت له:

- لماذا ترفض دفع الضرائب أيها الضابط!؟

أجابها شاندور:

- ولماذا أدفعها..!؟

قالت له:

- إن الضرائب تضمن للوزير حسن سير أمور الولاية.

قال لها:

- وإذا كنت لا أرى أن شؤون الولاية تسير سيراً حسناً..؟! بل أراها تسير من سيئ إلى أسوأ..

وكان الوزير قد دخل فى تلك اللحظة.. فأثاره رد الضابط وأصدر أمره فى الحال باحتجازه حتى يتم التحقيق.

واقتيد الضابط إلى غرفة الحجز.. على حين كانت «أونا» تتبعه بنظرات ملؤها رغبة جامحة تشتعل كالنار.

وبينما هو فى غرفة الحجز، إذ أطل عليه من خارج النافذة وجه كان يعرفه جيداً.. إنه وجه «نور الفجر» التى لم يستطع أن ينساها منذ غادر دار أخيها حتى تلك اللحظة التى ظهرت له فيها وهو غارق فى ظلمات السجن.

وهمست الفتاة:

- أيها الضابط.. أسرع بالفرار.. وخذ هذه الأدوات اكسر بها نافذة السجن لتفر..!

وهز شاندور رأسه وقال لها:

- ولماذا أهرب؟ إننى أعرف جيداً كيف أرد على التهم التى يريدون إلصاقها بى.

ولكن نور الفجر هتفت فيه متوسلة:

- إن المسألة أدق وأخطر من كل ما يبدو لك.. فهناك مؤامرة تدبر ضدك. فاهرب فى الحال أو ادفع لهم الضرائب التى يطلبونها منك قبل أن يلصقوا بك تهمة الاعتداء على الحكومة..!

قال شاندور:

- لن أدفع حتى أعرف سر الأمر بالقبض علىَّ ومع هذا فما هو سر اهتمامك بى..؟!

أجابت الفتاة:

- لقد شعرت بالخطر الذى يحيط بك.. ولقد كرهتك عندما كانت النساء يتلهفن عليك.. أما الآن، وأنا أجد الخطر المحدق بك، فلا يسعنى إلا أن أسرع إليك لأنقذك.. فأنا.. أنا.. أنا أحبك!؟

وفى تلك اللحظة سمع وقع أقدام الوزير، فاختفت نور الفجر.. على حين دخل الوزير والحكيم وأونا والفتيات الخمس.. ووقف الوزير يقرأ الحكم الذى أصدره على المتهم:

- لقد حكمنا عليك أيها الضابط بالحرمان لمدة عام كامل من الحب فإذا خالفت القرار كان عقابك الموت. كما تعاقب بالموت أيضاً كل امرأة تشاركك الحب خلال تلك المدة..!

وطربت الفتيات الخمس وصفقن شماتة.. على حين رنت «أونا» إلى زوجها الوزير وهى تغمز بعينيها.

وملأ الذعر قلب شاندور.. وفى لحظة كان قد ارتمى على قدمى مادهو وهو يهتف:

- انى أرتمى على قدميك أيها الحكيم طالباً يد نور الفجر.!

وصعقت الفتيات.. على حين كانت نور الفجر تدخل من الباب. وتحول الجميع إليها فإذا بها تقف فى جرأة وتعلن أنها تحب شاندور.. وأنها لن تتزوج سواه.

وهتفت «زهرة اللوتس» فى غيظ وشماتة:

- ولكن الحكم يحرم على الضابط الحب ولو ارتبطت معه برباط الزواج..

هز الفتى كتفيه وقد ارتاح لاعتراف نور الفجر.. وقال:

- من أجل أن أكون جديراً بنور الفجر.. أقبل أن أظل عاماً كاملاً محروماً من نيل ثمار حبى..!

وتحول الحكيم إلى أخته وقال لها:

- إن من المستحيل يا شقيقتى أن يظل أى رجل وفيّاً لامرأة بعيدة عنه عاماً بأكمله.. فلا تصدقيه.. ومع هذا فإن عليه أن يدفع أيضاً الضرائب كاملة..!

فصاح شاندور:

- لا.. لن أدفع..!

وعندما رأى الحكيم جرأة أخته.. وتصميم الضابط.. أمر اثنتين من أخواته باقتياد نور الفجر إلى البيت وحبسها هناك حتى لا تحاول الاتصال بالضابط السجين.

وبينما كان الجميع يغادرون غرفة السجن.. تأخرت «أونا» لتكون آخرهم.. ثم همست فى أذن الضابط:

- إنك الآن تتحدى النساء.. ولكنك ستثوب إلى رشدك بعد حرمان شهر كامل منهن.. وسأكون عندك أنا بعد انقضاء تلك المدة.. وسترى يومئذ أنك سترتمى تحت أقدامى أنا.. ملتمساً حبى..!

وضحك شاندور فى سخرية فقد أقسم أن يكون وفيّاً لنور الفجر مهما امتد به الحرمان.. ولو تجاوز العام.

والحق أن شاندور قد أثبت وفاءه للعهد.. فبرغم أن الحكيم ترك «زهرة

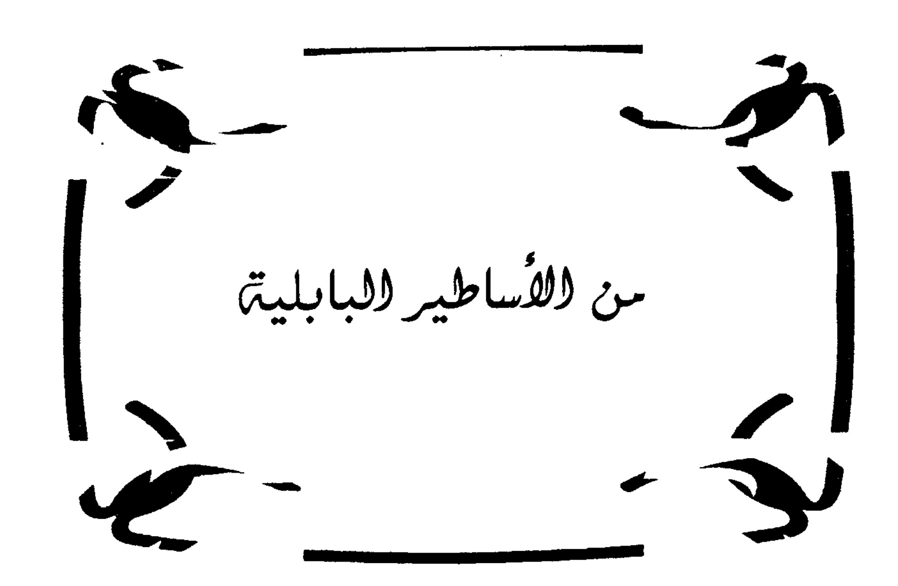
اللوتس» لتراقب تنفيذ الحكم على الضابط بالابتعاد عن حب النساء.. وبرغم محاولات «أونا» خلال زياراتها له فى السجن لاغرائه على حبها.. إلا أن شاندور ظل ثابتاً على وفائه لنور الفجر.. ساخراً بكل رقابة.. مقاوماً لكل إغراء.. مثيراً بتلك المقاومة قلوب كل الناس الذين راحوا يهاجمون الوزير لقسوة الحكم الذى أصدره على الفتى.. ويتهمونه بالسماح لامرأته بالتدخل فى شؤون الحكم وإصدار أحكامه كما تهوى النساء..!

وازدادت ثورة الرأى العام ضد الحاكم.. واضطر آخر الأمر صوناً لكرامته إلى الذهاب إلى مادهو، ودفع مبلغاً كبيراً له كهدية صداق لاغرائه على قبول زواج الضابط بنور الفجر.. ودفع الضرائب المتأخرة من الهدية..!

وانطلق مادهو إلى شاندور فى سجنه.. وعندما دخل عليه تلقاه بين ذراعيه.. وقال له:

- دعنى أهنئك على ثباتك فى حبك لنور الفجر. ولا تظن أننى قصدت أن أسبب لك كل تلك المتاعب، فإنما كنت أريد أن أختبر قوة حبك واخلاصك لها.. وهأنذا أقدم لك أختى نور الفجر لتكون زوجتك.. أما الضرائب المتأخرة عليك.. فقد ذهبت إلى الوزير بنفسى ودفعتها.. وهكذا سقط عنك الحكم..!

وفى نفس اليوم تم زواج العروسين.. ومدت زهرة اللوتس يدها بنفسها فوق رأس أختها الصغرى تبارك زواجها.. وتتمنى لها التوفيق!



من الأساطير البابلية

1- قصة الخلق والطوفان

«كانت الآلهة هى الشرطة الخفية للدولة البابلية التى عاشت منذ خمسة آلاف سنة على شواطئ دجلة والفرات.. والتى سارت حضارتها جنباً لجنب مع حضارة الفراعنة. غير أن آلهة بابل كانوا أكثر عدداً من آلهة مصر.. حتى لقد بلغ عددها فى إحصاء رسمى 65000 إله، إذ كان لكل قرية إله يحميها، ولم يكن الآلهة يعيشون بعيداً عن الأهلين.. فقد كان معظمهم يعيشون على الأرض فى الهياكل، يأكلون الطعام بشهية قوية، ويزورون الصالحات من النساء فى أثناء الليل فيستولدونهن أطفالاً لم يكن أهل بابل العاملون المجدون يتوقعون أن يولدوا أبدا.

غير أن الناس مع كل ذلك كانوا يؤمنون بإله أكبر.. هو أعظم الآلهة، جعلوا اسمه ذات يوم «نو» ثم انتصر الإله مردك على كل الآلهة.. وصار هو كبيرهم.. وعلى يديه خلقت البشرية.. وجرى الطوفان..!»

لم يكن هناك سوى «أبسو» الفضاء المظلم.. و«تيامات» المياه التى لا تحد لا سماء ولا أرض، لا آلهة ولا بشر، لا شيء من ذلك أبداً سوى الفضاء المحيط أبو كل شىء، والمياه الممتدة إلى ما لا نهاية.. بكل ما فيها من اضطراب وفوضى.. تضرب كلها الأطناب، وتخرج - من بعد - كل شيء حى..!

ولم تكن المياه قد تشكلت بعد فى محيطات وبحار، أو بحيرات وأنهار. بل كانت كلها شيئاً واحداً، واسعاً إلى اللامحدود، عميقاً إلى اللانهاية. أما المستقبل، فما كان يبدو منه شىء قط.. لا شىء سوى ظلمة أخرى حالكة.. أشد سواداً من أعماق الليل نفسه..!

وتعاقبت الأزمان، حتى جاء زمن اختلط فيه الماء بالفضاء، ومن

اختلاطهما خرجت أشياء أخذت تنمو وتتخذ لها أشكالاً عدة غريبة.. ثم ظلت ترتفع حتى استقرت فى أعلى.. وكان منها كل آلهة النور..

وأطلت «تيامات» إلى المخلوقات الجدد، وملأها الفزع.. فما كانوا قط من طينتها، ولا تشكلوا أبداً بأشكالها.. فهى لم تكن تعرف فى حياتها سوى السلام والفوضى والاضطراب.. أما هم.. الذين يعيشون فى أعلى.. فلا يريدون غير النور والنظام والاستقرار. وكان هذا كله عكس ما تريد.. بل كان هذا كله أول أسباب الحقد والغضب والثورة على آلهة النور.

وقررت «تيامات» أن تتخلص من المخلوقات الجدد.. وأن تشن عليهم حرباً لا هوادة فيها قط.

وراحت تيامات تعمل بلا انقطاع.. فمن جوفها جاءت الوحوش المخيفة المفترسة، وانطلقت الثعابين المهولة ذات السم.. وعلى سطح الماء برزت رءوس التنانين، بشعة تثير الرعب، وخرجت الكلاب مفترسة لا مثيل لوحشيتها، والعقارب مخيفة سوداء كالمردة.. ومن كل مكان انطلقت حيوانات أخرى كسيول شريرة مجنونة.. تتحرك تحت إمرة الوحش «كنجو» العملاق، الذى وعدته تيامات بالزواج وإعطائه ملك كل شىء، إذا تغلب على آلهة النور، وسحقهم بذراعه القوية الجبارة.

وفوجئ الآلهة بعدوان تيامات.. وكان أول من عرف نواياها هو الإله «آى» الذى ساق الخبر إلى الإلهة «انصار» وعجب هذا لموقف تيامات وامتلأ قلبه حنقا وسخطا يختلط بالخوف والرعدة مما قد يحل بمجتمع الآلهة.. وانطلق انصار إلى «الإله أونو» فكفله بالذهب إلى تيامات يسألها عن سر تحديها للآلهة..!

وانطلق أونو إلى مملكة تيامات.

غير أنه ما كاد يقترب حتى نهض له «كنجو».. الوحش المارد المستلقى إلى جوار تيامات، وهاجمه فى شدة وعنف وجنون. وتوقف أونو، ثم حرك قدميه إلى الخلف، ثم أدار ظهره، ثم ولى الأدبار هارباً يجرى من مواجهة الحيوان الصاخب المهول..!

توالت مواكب الآلهة واحداً فى إثر آخر لمقابلة تيامات.. ولكن أحداً منهم لم يستطع الوصول إليها أو مناقشتها.. ولا عرف أحد منهم كيف يبحث معها سر ذلك الغضب العنيف..

وجلس الجميع ذات يوم يبحثون الأمر.. وكان بينهم الإله «مردك» الذى لم يكن قد جرب حظه مع تيامات من قبل.. ومن خلال الفشل الذى مني به الجميع، أطلوا إلى مردك وطلبوا منه أن ينازل الإلهة المتوحشة.. وبغير ما خوف انحنى لهم مردك.. وقد قبل النزال بشرط أن يقر له الجميع متى انتصر بأنه هو الأقوى.. ولا أحد أقوى منه.

ولم يكن أمام آلهة النور بد من القبول.. ومنح مردك السلطة السماوية الكاملة ليكون له حكم الكون كله..!

***

أراد مردك – قبل أن يمضى لمصارعة تيامات – أن يجرب ما لديه من فنون القوة. وأتى الإله برداء طويل ألقاه أمام كل الآلهة.. وتلا بضعة تراتيل لم يكد ينهيها حتى اختفى الثوب وتلاشى.. وأخذ بالآلهة العجب وطلبوا منه أن يعيد الرداء كما كان وعاد مردك يتلو تراتيله فإذا الرداء يعود، ويمتد فى نفس المكان الذى كان قد تلاشى فيه..

واقتنع مردك بأن أحداً من الآلهة لم يعد له مثل نفوذه وسلطانه.. فقرر

البدء فى رحلة الانتقام.

وانتفش مردك وهو ينهض ليبدأ الصراع الجبار.. فبدا رائعاً وهو يتحرك ومن أمامه تبرق البروق، ومن فوقه ترعد الرعود، والقوس الضخم فوق ظهره، والرمح الثقيل فى يده، والشبكة الهائلة التى قرر أن يصطاد بها الوحش كنجو الرهيب يجرجرها خلفه. ولقد كان الإله المنتقم قد أعد عدته للكفاح، ولم يعد هناك سوى أن يلتقى بروح الشر فى جسد تيامات..!

واستمر الإله مردك يقود مركبة القدر ليصل إلى حيث تجرى المعركة. وعندما وجد أنه قد اقترب من المكان نطق كلمة واحدة، فإذا ريح مروعة تجرى أمامه، وإذا الريح تتحول فتصير عواصف وزوابع وأعاصير، تتجمع كلها لتكون سلاحاً فى يد مردك، سلاحاً أقوى من أى سلاح يمكن أن يحمله إله.

وأطلت الحيوانات المهولة فإذا كل شىء قد انقلب، وإذا نور يشع من خوذته يخطف الأبصار، فهرعت تختفى فى أعماق الظلمة.. وأفواهها من الخوف ترسل الزبد..!

واستمر مردك، مصحوباً بكل دعوات آلهة السماء، فى طريقه المرسوم..

وبلغ مملكة تيامات.. وأطل فإذا وحش مهول فى شكل تنين مخيف.. يحاول النهوض من استلقائه، ومن عينيه ينطلق بريق مخيف، ومن فتحتى منخاره يندفع اللهب. وفتح التنين فمه فإذا به كجهنم.. النار تغلى فيه، والأصوات المرعبة ترعد وتدو ولا تسكت أبدا..

وتوقف مردك فى مكانه.. وزعق يخاطب تيامات من بعيد.. ويطلب منها أن تجنح إلى السِّلْم، وتبعد عن رأسها فكرة العدوان..

وقهقهت تيامات وهى تهتز.. ثم سلطت فى سرعة على عدوها أقوى ما

عرفته من تعاويذ السحر وأشدها أثراً..

ولكن مردك كان قد أعد العدة لإبعاد السحر عنه.. وفى لحظة، رفع شبكته الهائلة وألقى بها فى قوة إلى حيث وقفت تيامات.. واندفعت الآلهة المهولة إلى الخلف، ولكن الشبكة أمسكتها، وجذبها الإله إليه ثم أطلق على فمها ريحاً صرصرًا عاتية..

ودخلت الزوبعة عنيفة بين فكى تيامات.. واخترقت الحلقوم لتدخل فى بطنها الذى ظل ينتفخ وينتفخ.. وعندما بلغ آخر درجات الانتفاخ رفع مردك رمحه الضخم، وطعن البطن المنتفخ فانفجر فى صوت صاخب كالرعد.. وسقطت تيامات ميتة..!

عندما انتهى مردك من ذبح تيامات، وقف فوق جسدها، ثم قطع قلبها الشرير فألقى به فى الفضاء الأسود، ثم تحول إلى التنين الهائل فقضى عليه.. أما وحوشها الأخرى وتوابعها السود، فقد راحوا يصرخون وهم يحاولون الفرار، ولكنه لم يمهلهم بل ألقى عليهم شبكة اصطادتهم واحداً فى إثر آخر.. ووقعوا كلهم فى الأسر.

وانحنى مردك على جثة التنين فأخذ منها حبوب القضاء والقدر التى أعطتها له تيامات المذبوحة.. والتى تمنح النفوذ والسلطان لكل من يحملها على المصائر والأقدار.

وحملت رياح الجنوب دماء تيامات إلى أماكن سرية مجهولة.. فى حين كان مردك قد انحنى من جديد على جثتها، وشقها إلى جزءين مستطيلين.. رفع أحدهما ليكون سماء.. وخفض الآخر ليكون الأرض!

وعندما انتهى مردك من وضع السماء نثر على صفحتها الكواكب

لتضيء.. ولتجرى فى طريق منتظم مرسوم..

وعندما أضاء مردك السماء.. جعلها مكاناً لإقامة الآلهة «أونو وبل وآى» أما الآلهة الآخرون فقد قسم عليهم الكواكب ليكون كل كوكب بيتا لإله.. ثم قسم السنة وجعل لكل شهر ثلاثة كواكب.. كما جعل لإله القمر حكم الليل وإضاءته.. ومنحه كل شهر يوماً يستريح فيه.. أما الشبكة الهائلة التى صحبته فى معركته مع تيامات، فقد جعل لها كوكباً ومعها القوس.. وأما الرياح التى ساعدته فى القضاء عليها فقد جعل لكل منها كوكباً جديداً..

وإذ انتهى مردك من إقرار كل إله فوق كوكبه، وضع نفسه هو الآخر فى كوكب كان أكبر من كل الكواكب الأخرى وأضخم.. وجعله المصدر الرئيسى للنور فى صفحة السماء.

غير أن مردك لم ينس الأرض عندما كان يضع صفحة السماء.. فقد كانت الأرض التى وضعها فى حاجة هى الأخرى إلى معجزة..

وأطل مردك وهو يفكر.. لقد كانت الآلهة فى حاجة إلى من يصلى لها ويعبدها..

وإذاً.. فلتكن المعجزة هى خلق الإنسان..

وانحنى مردك على الأرض، وشرع يعجن التراب بدمائه، ويصنع من الطين ناسا تقوم على خدمة الآلهة.. والصلاة لهم وعبادتهم.. وهكذا خُلقت البشرية..!

***

عمرت الأرض بالمخلوقات الجدد.. وراح البشر يتزاوجون ويتناسلون، ويقدمون الصلوات للآلهة التى خلقتهم وسوت لهم الأرض وقدمت لهم النور من السماء..

ولكن الأمر لم يكن ليستمر طويلاً على منوال واحد.. فإذا القوم كلما ازداد عددهم تنافروا وتباينوا.. وإذا الصلوات تقل والعبادة تنهار.. وإذا الشر

يدخل كل يوم من حيث خرج الخير.. وأصبح الخلق غير الخلق.. والناس غير الناس.. وظهرت على الأرض سلسلتان من البشر تسيران فى خطين متوازيين.. إحداهما لا تزال متصلة بالآلهة.. أما الأخرى فقد قطعت كل صلاتها بهم، ولم يعد أمام أصحابها من هدف سوى الوصول إلى اللذة من أى طريق..

وامتلأت الأرض بالشر..

وأطل الآلهة من عليائهم وملأهم الحزن..

إن الإنسان لم يعد هو الإنسان الذى خلقه مردك.. وجعله صورة منه كريمة بريئة طاهرة..

وغضبت الآلهة على مخلوقات الأرض.. وكان أكثر الكل غضباً الإله مردك، الذى قرر أن يرسل طوفاناً عارماً ليهلك البشر ويمحو به آثار أعمالهم العامرة بكل ما هو سيىء وخبيث..!

غير أن آى.. إله الحكمة، أخذته الشفقة على البشر، واعتزم أن ينجى منهم على الأقل رجلاً وامرأة.. يحفظان سر الخلق..

وكان شمس - نيشيتن وزوجته هما اللذان وقع عليهما اختيار الإله.

وفى ذلك اليوم.. وبينما كان شمس نائماً، جاءه صوت الإله فى الحلم يقول:

- انهض يا ابن «أوبارا توتو».. يا من أطعت الآلهة، وحفظت لهم العهد الذى وضعوه فيك.. انهض فاهدم بيتك، واصنع من الخشب فلكاً ضع فيه كل ما تحتاج إليه لحياتك.. وخذ معك حبة حية من كل شىء، نحميها من الطوفان الذى سيحل على الأرض التى امتلأت بالبشر والفساد والطغيان..!

وصدع شمس نيشيتن لأوامر الإله..

ومع مطلع النهار نهض من نومه ليهدم بيته، ويبنى من الخشب فلكاً ضخماً..

واستخدم شمس عدداً من العمال راحوا يعاونونه ويشقون له الألواح، حتى إذا ما انتهت سبعة كان الفلك قد نهض قائماً على الأرض كأحسن ما يكون الفلك، وقد ضم بين جنباته كميات كبيرة من الخمر والزيت، وأكوام من حبوب حية من كل نبت ظهر على الأرض، وزوجين من كل حيوان أو طير جرت فى عروقه الحياة.

وأطل شمس إلى فلكه وامتلأ رضا.. لقد كان طوله يصل إلى 120 ذراعاً وارتفاعاً 120 أخرى.. وكان مقسماً إلى ستة طوابق.. كل طابق مقسم إلى تسع غرف.. أما سطحه الخارجى فمدهون بالقطران.. وسطحه الداخلى بالقار.

وعرف شمس من إلهه أن عليه الدخول فى فلكه وإغلاقه، متى ظهرت الإشارة المتفق عليها.. وهى مطر غزير يسقط من السماء.. ومرت أيام.. وسقط المطر مدراراً..

لقد أتت الساعة..

وانطلق شمس نيشيتن إلى الفلك ومعه زوجته وأبناؤه.. ومن خلفه أغلق الأبواب..

ومرت بالأفق سحابة سوداء غطت كل الأرض.. يسوقها الإله رامان مطلق الرعود، وتمسك بدفتها الإلهة أورجال.. ومن خلفهما الإلهان نابو ومردك.. يفتحان للمطر كل طاقات السماء..!

وأطبقت العاصفة والظلام على الأرض.. وراح الناس يتساقطون غرقى وصرعى.. حتى الذين ركضوا يطلبون النجاة فى الأقبية والغرف ذات السقوف، ما استطاعوا أن يجدوا تحتها منقذاً من الطوفان.. ولا الذين لجئوا إلى قمم الجبال، فقد طغت المياه وارتفعت حتى اختفت كل الجبال التى تحت السماء..!

واستمر الطوفان ستة أيام.. كان فيها الكفاية لتطهير الأرض من كل من فى أنفه نسمة حياة.. من إنس وطير ووحوش.. ولم يعد هناك سوى شمس.. وكل من حل معه فى الفلك الأمين.

وجاء اليوم السابع.. فهدأت الأمطار، وانسدت ينابيع السماء.. بدأت المياه تتجاب عن الأرض.

وأطل شمس نيشيتن من طاقة فى الفلك ثم صرخ عالياً.. لقد كان الناس جميعاً غرقى فى الطين، وحيث كانت تمتد الحقول، ظهرت هناك مستنقعات وبرك.. لم يكن هناك شىء حى.. وكل العالم لم يعد يظهر منه سوى بحر مهول عملاق.

وظل شمس يبكى، والفلك يسير على سطح الماء فى اتجاه التيار، ينخفض ويرتفع والمياه تتناقص من حوله شيئاً فشيئا.. حتى إذا مضت الاثنا عشر يوماً.. ظهرت الأرض من بُعد..

وكانت الأرض التى ظهرت هى قمة جبل نازير..

وأرسل شمس غراباً يستطلع حال الأرض.. ولكن الغراب برغم أنه لم يجد مكاناً يحط عليه، إلا أنه انشغل فى نهش الجثث الكبيرة المستلقية، ولم يفكر فى العودة إلى الفلك.

وانقضت أيام سبعة أخرى.

وأرسل شمس عصفوراً.. ولكن العصفور ظل يطير من مكان إلى مكان فلا يبصر شجراً أو أرضاً جافة، ولا يجد مستقرّاً لقدمه فيضطر آخر اليوم للعودة إلى الفلك.

وانقضت أيام سبعة ثانية.

وأرسل شمس يمامة.. ظلت تطير وتطير باحثة عن مقر تحط عليه فلا تبصر أرضاً جافة.. ولكنها ما تكاد تفكر فى العودة حتى تبصر أشجاراً خضراء، فتحط عليها، ثم تحمل فى منقارها ورقة من غصن الزيتون تعود بها إلى الفلك..!

وابتهج شمس.. وعرف أنه الفرج.

وفتح أبواب الفلك، وخرج ومعه حاجاته وعائلته.. وكل الأزواج الحية من حيوان وطيور.

وفى اللحظة التى لمست أقدامهم فيها الأرض، انكفأ شمس على وجهه وخر ساجداً.. ثم بنى مذبحاً وقدم عليه قرابين الشكر.. من أعواد القصب والبخور..

وانطلق دخان البخور العطر فارتفع حيث يجلس الآلهة..

وشمت الآلهة الرائحة الذكية فتعجبت.. ثم راحت تتجمع «كالذباب» القربان.

وبين الجمع.. كانت هناك أشتار - ربة الحب والربيع - التى رفعت ياقتها الإلهية تحيى بها صاحب القربان.. ثم قالت:

- باسم جواهرى الإلهية التى تحيط بعنقى.. لن أنسى هذا اليوم أبدا.. سأضعه دائماً فى ذاكرتى، وسأذكر به كل الآلهة الذين يحيطون الآن بالقربان.. حتى مردك.. مردك الذى لا يريد أن يقترب من قربان الإنسان.. ورفض من قبل أن يجمع مجمع الآلهة يستشيرهم وأرسل الطوفان يقضى به على عبيدى المخلصين ويسلمهم للهلاك والدمار.

وألحق أن مردك لم يكن بعيداً عن القربان.. فقد كان يقترب منه هو الآخر، ويعجب لهذا المخلوق الفانى كيف نجا من الطوفان.. ويقسم أن لابد

من قتل شمس.

ووقف الإله آى.. الذى كان قد أوحى إلى شمس ببناء الفلك فأنقذه.. وقف يدافع عن المخلوق الفانى الذى أخلص للآلهة ولم يحقد عليها، بل كان أول ما فعله حين وضع قدمه على الأرض أن قدم لها القرابين.. وانتقد آى مردك الذى لم يستشر الآلهة عندما اتخذ قراره المدمر لمخلوقات الأرض..

واستسلم مردك آخر الأمر.. واقترب من القربان.. ثم أخذ بيد شمس وزوجته وباركهما.. وسوى لهما مستقرّاً جديداً عند مداخل أنهار الأرض.

وعادت الآلهة إلى السموات.. ولكنها لم تنس قبل عودتها أن تكافئ شمس الذى قدم لها القربان.. وحفظ لها الجنس البشرى..

ومنح شمس سر الخلود.. ورفع إلى مرتبة الآلهة.. وأصبح عليه أن يقيم فى مستقره عند مدخل الأرض حتى الأبد.. لا يغادره إلا فى رحلة يومية طويلة يرافق فيها موكب مردك، ليشرف على أبنائه البشر الذين ينطلقون فى الأرض ليعيدوا إليها المجد والحياة.. ثم يعود آخر اليوم إلى مستقره ليستأنف مع الصبح رحلته الطويلة الخالدة من الشرق إلى الغرب..

وانطلقت البشرية تحيا من جديد..

2- شجرة الكريز

«هذه الأسطورة تنازعها كل من الأدب البابلى والهندى والإغريقى، والشجرة التى تعتبر بطلة الأسطورة تذكر مرة على أنها شجرة ورد، ومرة على مرة أنها شجرة توت ومرة - وهى الغالبة فى كل تلك الأساطير - على أنها شجرة كريز.

ومهما يكن الأمر، فالصفة التى تجمع كل هذه الأساطير، هى أن دم العاشقين اللذيْن انتحرا، سقى عروق الشجرة وثمارها البيضاء.. فإذا ساقها ترتدى السواد حداداً عليهما.. وإذا ثمراتها تتحول إلى لون أحمر.. رمز الدم الذى جرى خلال حوادث المأساة!.»

فى مكان ما على شاطئ الفرات.. تنهض شجرة ضخمة من أشجار الكريز.. تتدلى من بين أوراقها ثمرات حمراء قانية كلون الدم.. ومنذ آلاف السنين لم تكن تلك الثمرات تصطبغ بذلك اللون قط.. بل كانت شفافة بيضاء بلون الثلج.. عندما كانت «تسيبا» و«بيرام» لا يزالان يلعبان ويرتعان فى صخب وضجة أمام منزليهما المتجاورين على مقربة من سور بابل العظيم.

كان منزلاهما متلاصقين يشتركان فى جدار واحد يفصل بين حجرة بيرام فى منزل أهله، وحجرة تسيبا فى بيت أهلها، وكان بيرام يفوق كل صبيان بابل فى وسامته ورونقه واعتدال قوامه.. كما كانت ربة الحسن والجمال قد خلعت على الصبية تسيبا أروع فنونها وأبرع ألوان جمالها ومحاسنها. وتعارف الجاران الصغيران وتصادقا، وصارا يلعبان فى الفناء المنبسط أمام الدارين كل يوم، وكل ساعة من ساعات النهار، حتى التصقت حياته بحياتها، ولم يعد أحد منهما يستطيع فراق الآخر على الإطلاق.

ومرت الشهور والسنون، وشب بيرام، وامتلأت تسيبا واستدارت، وبدأ كل منهما يحس فى أعماقه شيئاً آخر غير الود الصبيانى يملأ قلبه.. ود آخر اسمه الحب.. راح يتمكن كل يوم من قلبى الفتيين، ويأخذ بقواهما وحواسهما.. حتى ما كان أحد منهما يستطيع أن يتصور غياب زميله عنه لحظات.. فهما معاً طوال النهار حتى إذا جن الليل انصرفا على عناق طويل وقبلات حنون.. وانطلق كل إلى فراشه وطيف صاحبه يرف عليه بأجنحة الأمانى والآمال والأحلام الرائعات.

وجاء يوم.. مرت فيه آلهة النميمة بالعاشقين الصغيرين.. فملأها الحقد والغيرة لمشهد الحب الطاهر الذى يغمر القلبين الفتيين. وأبى حقدها إلا أن يعمل كما تعود على تحطيم كل ما هو طاهر ونبيل.. وتمثلت آلهة النميمة فى ثوب فتاة تدعى «أورانيا» تطل دارها على الفناء الذى يجتمع فيه الحبيبان معتقدين أن لا رقيب عليهما هناك.. وراحت «أورانيا»، وفى أعماقها روح النميمة، تتابع القلبين العاشقين فى نجواهما وتسارهما وتبادلهما نجوى الهوى وحار القبل. وظلت الغيرة تنهش قلبها وهى تشهد كل يوم ألوان ذلك العشق البرىء.. وراحت تلعب دورها الخائن الشرير.

انطلقت أورانيا تحكى لكل صديقة تجلس إليها قصة العشق بين بيرام وتسيبا، وتعظم لها فى الأمر.. وراحت تلك تنقل الخبر إلى غيرها من بنات الحي مهولاً ضخماً.. وهذه تنقله إلى أخرى أشد هولاً وأكثر إثما وكان لابد أن يبلغ الأمر آذان الوالدين اللذين لم يشكا فى ابنيهما يوماً قط..!

وملأت حمى العار رءوس أهليهما.. فقد دنس الولدان قدسية الأخلاق البابلية، وداسا تقاليدها التى لا تأذن لشاب وفتاة بالاجتماع إلا بعد أخذها من سوق الزواج.

وأسرع الوالدان معاً إلى حيث قيل لهما إن العاشقين الصغيرين يجتمعان.. فأدركاهما يتعانقان ويتبادلان قبلات الحب البرىء الطاهر. ولكن الأبوين لم يحسا قط ذلك الطهر.. بل أخذهما جنون العار ورعب الفضيحة.. وأمسك أبو تسيبا بشعرها الطويل وراح يجرها على الأرض حتى داره وهو يصب عليها اللعنات.. ودفع أبو بيرام ولده أمامه يركله، ويرميه على الأرض كلما نهض، وأبى الأبوان الغليظان إلا أن يحرما على العاشقين الصغيرين أى لقاء..!

واستمرت قسوة الأبوين عنيفة رهيبة لا تلين.. وراحت تسيبا تتوسل إلى أبيها أن يرحمها ويقبل زواجها بحبيبها.. ولكن الأب القاسى أبى إلا أن يذيقها صنوف العذاب، وما اهتم قط لتوسلاتها ودموعها، وما لان قلبه أبدا برغم اجتماع كل نساء بيته عليه يستعطفن ويتوسلن والفتاة المسكينة منهارة أمامهن.. لا تكاد تدرى كيف تعيش.

وكان بيرام يلقى المصير نفسه فى بيت أبيه.. لا أحد يرحم حبه، ولا أحد يشفق على قلبه وهو يتوسل أن يتاح له زواج فتاته التى عشقها وهويها فى جنون.

غير أن الحب لا يعرف الهزيمة أبدا.. بل راح اليأس يدفع الفتيين العاشقين إلى التفكير فى وسائل أخرى للقاء.. والبُعد عن رقابة الأبوين القاسيين.

وأدرك الفتيان أن حجرتيهما لا يفصل بينهما غير جدار واحد رقيق.. فراح كل منهما يعمل من ناحيته حتى شقا ثقبا صغيراً لا يكاد يبين بين الحجرتين.. راحا يجلسان إليه.. يتشاكيان آلام قلبيهما، ويتبادلان أنفاس الهوى العطر.. بعد أن أصبح الثقب هو سبيل اللقاء والاتصال بين المحبين الغارقين فى الحرمان..!

منذ ذلك الوقت والثقب الصغير يقوم جيداً بدور رسول الغرام.. فهما يسهران إلى جواره الليل كله يتناجيان ويتهامسان حتى يحين وقت الرقاد.. فيودع الحبيب حبيبه بأعذب الألفاظ وأرقها.. ويقبلان الثقب الطاهر، وينصرفان ليعودا مع اليوم التالى إلى اللقاء الحبيب..!

غير أن الثقب لم يكن يكفيهما على الإطلاق.. وما عاد يستطيع شفاء ما بقلبيهما من تبريح الهوى والشوق.. فلم يجدا بُدّاً من ابتكار وسيلة أخرى للوصل بين قلبيهما الصغيرين.. ولم تكن الوسيلة سوى مغافلة أهليهما خلال الليل.. وخداع حراس السور.. واجتياز أبواب المدينة.. والفرار إلى الصحراء.

وعندما اتفق الفتيان على الوسيلة.. قررا أن يكون لقاؤهما عند قبر نينوس الملك.

كان يظلل قبر الملك نينوس شجرة كبيرة تتدلى من بين أوراقها ثمرات الكريز.. بيضاء شفافة كقطع الثلج.. وإلى جوار الشجرة كان هناك نبع بارد الماء حلو المذاق كأنه عسل النحل..!

وفى ظل تلك الشجرة اتفق المحبان على أن يكون اجتماعهما بعد طول فراق.

وسكن الليل، وغفلت العيون، ونهضت «تسيبا» من فراشها، ووضعت على أرسها غطاء يخفى وجهها الوضيء، وسارت فى خفة تتلمس الجدران وتستهدى بها إلى باب الدار، وعندما دلفت منه ملأتها طمأنينة عذبة هادئة.. شجعتها على السير بجوار السور حتى بلغت البوابة الكبرى ولم يعد بينها وبين الصحراء سوى خطوات.

وأطلت ربة الحب والجمال من السماء فشهدت الحيرة تملأ الفتاة فلا تعرف كيف تجتاز البوابة والحراس قائمون..

وبعثت الربة رسولها لتهبط بين الحرّاس تشغلهم بدلالها وأغانيها وألحان مزمارها.. وغفل الحراس عن البوابة التى انسلت منها «تسيبا» كما ينسل شعاع النور من بين ظلمات الليل الداكن الطويل.

وفى حذر كبير مضت الحبيبة.. وهى تحس كأن نبضات قلبها دبيب خطوات عملاق.. وكلما سمعت صوتاً، أغاثتها لمسات الحب فخففت عنها رعبها، وشجعتها على المضى إلى حيث لقاء «بيرام» الحبيب..

وبلغت تسيبا آخر الأمر قبر الملك نينوس.. فانحنت على ماء النبع، وملأت منه كفيها فغسلت وجهها وروت ظمأها. ثم مالت لاجئة إلى ظلال شجرة الكريز المخيمة على النبع فى انتظار بيرام.

ولم تكد تمضى بها لحظات.. حتى ملأ سمعها زئير رهيب ردد صداه الغاب.. وانتفضت الفتاة فى رعب قاتل، وانطلقت تجرى مذعورة على غير هدى حتى بلغت الغابة القريبة فاستترت بين أدغالها.. ونسيت فى خلال الرعب منديلها الحريرى الذى سقط عن كتفيها وهى تجرى.. واستلقى على الرمال ليرسم أول خيوط المأساة..!

كان الزئير الذى أثار الرعب فى قلب تسيبا.. صوت لبؤة افترست ثورًا!.. وعندما انتهت من تناول طعامها أخذ بها العطش فانطلقت تبحث عن الماء حتى بلغت النبع الساكن إلى جوار شجرة الكريز، فولغت فى مائة حتى ارتوت، وبينما هى تعود إلى الغابة عثرت فى طريقها بالمنديل الحريرى المستلقى على الرمال..

وبدا المناديل للبؤة كأنه عدو عنيد.. وزأرت من جديد وهى تنهال على المنديل تمزيقاً بأنيابها ومخالبها التى كانت قد غطتها دماء الحيوان الذى افترسته منذ لحظات..

وتلوث المنديل بدم الضحية المسكينة.. واستمر فى مكانه ممزقاً ملوثاً يثير الرعب..!

وكان الرعب من نصيب بيرام الذيى وصل فى تلك اللحظة يملؤه الأمل باللقاء الحبيب.. وكانت اللبؤة قد توارت وراء الدغل.. بينما تسيبا لا تزال مختفية تنتفض رعباً وهلعاً، ولا تجرؤ على العودة إلى مكان اللقاء.

وراح بيرام يطل بعينيه يمنة ويسرة بحثاً عن الحبيبة التى لم يعرف بعد إذا كانت قد سبقته أم لا تزال على الطريق.

وأخذت عيناه مشهداً عجباً.. لقد كان المنديل الذى أهداه لحبيبته ملقى على الأرض ممزقاً تلوثه الدماء.

وصرخ بيرام فى جنون.. وقد ملأه اليقين أن عذراءه قد التهمها وحش كاسر لم يترك من بقاياها سوى ذلك المنديل المخضب بالدم.

واستمرت صرخات بيرام رهيبة موجعة تمزق سكون الليل، وراح الفتى يضرب صدره ورأسه بيديه ويصيح:

- يا ليل تبّاً لك.. لقد شهدت مصرع تسيبا الحبيبة.. وستشهد الآن مصرع محبها التعس الحزين.. يا ليل سحقاً لك.. لقد كانت تسيبا أحق منى بالحياة.. ولكنك أنت وربة القدر، ورب الموت، كلكم وحوش عمى لا تأخذكم رحمة ولا إشفاق على قلوب من تصرعون، ولكن لا أيتها الحبيبة.. ما قتلوك وإنما أنا الذى قتلتك أنا الذى انتزعتك من فراشك الدافئ، وبيت أسرتك الآمن، إلى حيث المفازع والأهوال. لماذا لم آت قبلك يا تسيبا.. إذًا لكنت دونك فريسة الوحش الظلوم.. أواه.. أين أنت أيها الوحش القاتل؟ أين أنتم جميعاً أيتها الوحوش الضارية..؟ تعالوا مزقى جسم بيرام إربا إربا..

فهو الذى قتل محبوبته.. واستحق العقاب على جريمته الشنعاء.. افترسينى أيتها الضوارى الكاسرة.. فأنا أحق بالقتل والطعن والتمزيق.. ولكن لا.. فلن أنتظرك حتى لا يطول الانتظار.. فلست أطيق أن أعيش لحظة بعد أن ذاقت حبيبتى كأس المنون.. أبداً لن أنتظرك أيها الموت.. فالجبان وحده هو الذى ينتظر الموت.. أما أنا فأسعى إليك، لست جباناً أيها الموت، انما أنا شجاع، شجاع، شجاع.!

وانطلق بيرام فتناول المنديل المخضب بالدم، وحمله إلى ظل الشجرة وهو يقبله ويبلله بالدموع، ومد بيرام يده فأخرج خنجره المسنون، وانقض به على صدره يثخنه.. ثم انتزعه من جرحه وألقى به جانباً قبل أن يسقط ممدداً على أديم الصحراء.. مستنداً على جذع شجرة الكريز..

ونفر الدم سخيناً قانياً على جذع الشجر وجذورها فنهلته.. وتلونت ثمراتها البيض بلون قرمزي كلون الدم الذى أرويت به.

وظل الجسد ينفث دماً والمنديل لا يزال منضمّاً إلى مكان الصدر منه، وسكرات الموت تأخذ به.

كان كل ذلك يجرى، وتسيبا مختبئة داخل الغابة لا تدرى من الأمر شيئاً.. وظلت الفتاة فى مخبئها حتى أمنت عودة اللبؤة، فانطلقت تحث الخطى إلى مكان اللقاء الحبيب، وهى تخشى أن تكون قد تأخرت عليه.

انطلقت تسيبا وعيناها تسبقانها لترى الحبيب عند ظلال الكريز.

ولكن العينين عرفتا المكان.. وأنكرتا لون ثمار الكريز.. لقد تركتها منذ لحظات بيضاء كالبرَد.. ولكنها الآن حمراء كالدم.

وعجزت عن الفهم.. أتكون قد عادت إلى مكان آخر غير مكان اللقاء..؟!

ولكن أبدا.. فهاهو ذا قبر نينوس الملك.. وهاهو ذا النبع الذى اغتسلت بمائه.. وهذا هو..

ولكن.. ماذاك الهيكل المستلقى تحت الظلام القاتم لا يتحرك..؟! أيها الجنون.. إنه بيرام.. جثة بيرام الحبيب لا يزال ينبثق منها الدم..!

وانهارت تسيبا المولهة فوق الجسد البارد تحتضنه وتقبله وتمزج دموعها بدمائه.. ومن أعماق قلبها راحت الفتاة تهتف:

- بيرام.. بيرام أيها الحبيب.. أجبنى يا أعز شىء فى الوجود. إننى أنا تسيبا حبيبتك ارفع رأسك قليلاً وافتح مقلتيك وانظر إلى آلامى وبلواى..!

وتحت سخونة الدموع، اختلج الجسد البارد، وفتحت العينان المغلقتان، ورنا بيرام إليها رنوة ملأى بمعانى الحب والحنان واليأس.. ثم انتهى كل شيء.

وعادت تسيبا تصرخ وتبكى وتنهار.. وتقلب الجسد البارد لعلها تستطيع رد الحياة إليه ومست كفها المنديل الذى كان لا يزال فى يد الحبيب المقتول.. إنه ممزق مخضب بالدم.. وهذا الخنجر.. كيف.. كيف..؟!

وأدركت تسيبا كل ما كان.. وعادت تصرخ فى جنون:

- بيرام.. إذاً أنا التى قتلتك.. ومنديلى التعس كان هو السلاح الذى ألقى بك إلى التهلكة.. إننى أنا المجرمة يا بيرام.. حبى هو الذى سفك دمك.. ولكن لا.. أبدا يا بيرام.. أنا أعرف هذا الحب الذى قواك على أن تموت.. إنه هو الذى قوى يدك على خنجرك لتخرق به قلبك.. أنا أعرفه يا بيرام.. وأعرف انه سيمنحنى القوة أنا أيضاً لألحق بك أيها الحبيب.. بيرام.. بيرام.. إن تسيبا تسرع إليك انتظرنى يا بيرام.. فهأنا آتية إليك.. أما أنت يا والدى.. وأنت يا والد حبيبى.. إننى ارفع إليكما رجاء ولديكما

التعسين ألا تفرقاهما أمواتاً كما فعلتما بهما من قبل أحياء. اتركاهما فى قبر واحد يضمها كما لم يستطع شىء حى أن يجمعهما قط.. وأنت.. وأنت أيتها الشجرة المسكينة التى شهدت مصرع حبيبى.. إنك ستشهدين مصرعى أنا الأخرى.. فاحفظى أثر استشهادنا فى الحب.. التفى حتى الأبد بعباءة الموت السوداء حزناً علينا.. واحملى ثمارك حمراء قانية.. تشهد بقسوة طالع عاشقين سقياك بدمائهما التى سفكتها أيديهما.

وانطلق الخنجر من جديد فى صدر تسيبا.. ليلقى بها ساخنة ينبثق منها الدم فوق جثة بيرام.

وبكى رب النسيم وهو يحمل إلى آذان الآلهة، وآذان الوالدين، صرخات شهيدة الحب وتوسلاتها فرأفت بها الآلهة وجمعت روحها مع روح حبيبها معاً فى الفردوس الخالد.. حيث نهار دائم ونور نقى وفرح لا يزول..

أما الأبوان.. فقد انطلقا يحرقان جسديهما الطاهرين.. ويضعان الرماد فى إناء واحد دفناه فى قبر تحيطه الأزهار والرياحين.. أما شجرة الكريز.. فقد اتلفت بملاءة حزينة سوداء.. وظلت ترسل ثمراتها التى كانت ذات يوم بيضاء.. فإذا بها منذ ذلك اليوم حمراء قانية.. بلوم الدم.

3- أشتار وجلجميش

«تعد ملحمنة جلجميش أشهر الملاحم البابلية، وتتألف فى أصلها من طائفة من القصص غير الوثيقة الاتصال، ضم بعضها إلى بعض فى عهود مختلفة ترجع إلى ما قبل المسيح بثلاثة آلاف عام.. وكان جلجميش بطل هذه القصة حاكماً أسطوريّاً يشبه شمشون.. واستطاع الاطلاع على جميع أسرار الكون.. وجاء بأخبار الأيام التى سبقت الطوفان.. وسار فى طريق بعيد شاق.. ثم كتب على لوح حجرى كل ما قام به من أعمال كانت هى أصل هذه الأسطورة».

كان جلجميش - حاكم أوروك - طاغية فى الأرض.. كان سعيداً بقامته الممتدة العملاقة، وجسمه الضخم المملوء بالعنفوان، وجماله الباهر الذى يفتن الناس..

وكان ثلثاه إلهاً وثلثه آدميّاً. فهو من نسل شمس نيشتين، المخلوق الخالد الوحيد الذى نجا من الطوفان، ولم يكن أحد يشبهه فى صورة جسمه، واطلاعه على أسرار الغيب، ورؤيته جميع الأشياء ولو كانت فى أطراف العالم المجهول..

وكان فى قلبه شوق ظامىء إلى الحب.. وبسبب مغامراته لإطفاء ظمئه الدءوب، راح الآباء والأزواج يشكون كل يوم لربة الحب والجمال «إيشتار» كيف أن جلجميش لا يترك زوجة لزوجها ولا عذراء واحدة لأمها.. ويطلبون منها حمايتهم وحماية زوجاتهم وعذاراهم..

واستجابت إيشتار لتوسلات الخلق..

وذهبت إلى الإلهة أرورو - عرابة جلجميش - ترجوها أن تخلق ابناً آخر

فى قوة جلجميش وجبروته.. يكون قادراً على أن يشغله فى نزاع طويل، حتى يستريح بال الأزواج والآباء فى كل أنحاء أوروك.

وقبلت أرورو رجاء إيشتار.. فعجنت قطعاً من الطين تفلت فيها، ثم صورت «أنجيدو».

وكان أنجيدو رجلاً له بأس الخنزير.. ولبدة الأسد.. وبأس الطير.. وكان جسده يغطيه شعر كثيف فوق كتفيه ينسدل شعر طويل كامرأة.. ذهبى كشعر إله القمح.

ولم يكن انجيدو منذ خلق ليعبأ بصحبة أبناء البشر.. بل اعتزلهم وابتعد عنهم.. ثم عاش مع حيوانات الغاب، يرعى العشب مع الظباء، ويلعب مع مخلوقات البحر، ويروى ظمأه مع وحوش الحقول..

وذات يوم أراد صياد يدعى تسايدو اقتناصه بالشباك، غير أنه عجز عن اقتناصه، وكرر الصياد محاولته يوماً آخر.. ولكن أنجيدو كان بارعاً دائماً فى الإفلات منه.

وملأ الغيظ قلب الصياد.. وانطلق إلى الحاكم جلجميش يشرح له الأمر.. ويقول له إن أنجيدو لن يقع فى الشباك المصنوعة قط.. ولكن شباكاً أخرى تستطيع وحدها أن تقتنصه.. هى شباك النساء!.

وقال له جلجميش:

– وما الذى تريد منى؟ المرأة أم الشباك؟

قال له الصياد:

– إن انجيدو يدعى أنه أعظم منك قوة، وأنا أريد أن أحضره هنا أمامك لتثبت له أن قوته هى الضعف نفسه بجوار قوتك.. ولهذا فأنا أتوسل إليك أن

تعيرنى كاهنة حسناء تستطيع إيقاع أنجيدو فى شباك غرامها.. لنقوده إليك..!

وقال جلجميش:

- اذهب إذاً أيها الصياد وخذ معك الكاهنة «أخوتى».. وعندما تحضر الوحوش ومعها أنجيدو إلى مورد الماء تستقى فاجعلها تكشف عن وجهها وساقيها.. واختف أنت.. وسيتم بعد ذلك كل ما تريد..!

وانطلق الصياد والكاهنة «أخوتى» إلى حيث يستقى أنجيدو مع صحبه من الوحوش.

وعندما جاء الوحش الآدمى.. مدت الكاهنة الحلوة يدها، وراحت تخلع أرديتها واحداً بعد الآخر، ثم وقفت أمامه عارية، فى جسدها رعشات ظامئات.

وأدار أنجيدو رأسه ناحية الحسناء وتوقف.. ثم بدأ يختلس إليها النظر فى شوق ولهفة.. واشتعل فى أعماقه لهيب النار..!

وحث الصياد من مخبئه الكاهنة أخوتى على أن تقترب من أنجيدو.. وتمنحه كل ما ينسيه نفسه.. وأصدقاءه وغابته..!

وبقى أنجيدو مع الكاهنة ستة أيام وسبع ليال.. يعب فيها السعادة.. حتى إذا جاءه الملل وانتبه إلى نفسه.. أطل فإذا كل حيوان الغابة من أصدقائه قد انفضوا من حوله.. وتركوه..!

وملأ الحزن قلب أنجيدو.. غير أن الكاهنة راحت تهزه وتقول:

- أنت يا من بلغت عظمة الآلهة.. كيف يطيب لك العيش بين وحوش الغابة وحيواناتها.. تعال معى ننطلق إلى مملكة أوروك حيث يعيش جلجميش الذى لا يدانيه أحد فى جبروته.. تعال معى أقودك إلى القصر الرائع الذى يعيش فيه الإله أونو والإلهة ايشتار.. يمنحانك سر القوة.. وسر العنفوان..!

ووجد أنجيدو العرض مغرياً.. وبدا يتوق إلى لقاء جلجميش فأعلن موافقته على اتباع المرأة إلى مدينة أوروك.. وقال لها:

تعالى بنا إلى حيث أرى المكان الذى يعيش فيه جلجميش.. أقاتله.. وأهزمه.. وأظهر له قوتى وعنفوانى..!

وسار الثلاثة فى طريقهم إلى أوروك.. أخوتى.. وأنجيدو.. والصياد..!

فى ذلك الوقت كانت أوروك تحتفل بعيد «إيشتار».. وكان الناس يصخبون ويضجون ويشربون عندما بلغهم نبأ وصول أنجيدو.. منافس جلجميش..

وزاد رقص الناس.. وابتهاج الآلهة.. فقد سرهم أن ينهزم جلجميش.. سارق الزوجات والعذارى.. وأن يهبط عن العرش الذى دنسه..

والحق.. لقد كان لأنجيدو من القوة ما يستطيع أن يهزم بها جلجميش.. غير أن شيئاً آخر كان قد جد فى الأمر.. فقد كانت إيشتار قد رأت جلجميش.. فأعجبها.. وقررت أن تمنع الصراع الوحشى الذى كان عليه أن يخوضه.. وبدت لأنجيدو فى الحلم تهمس فى أذنه أن جلجميش أكثر منه قوة.. وأن خيرا له أن يركن إلى الحكمة وأن يبتعد عن الصراع..!

ومع جلجميش حدث الشىء نفسه.. بدا له كأن أمه قد جاءته فى الحلم تحذره من منازلة أنجيدو.. وتطلب منه أن يكونا أصدقاء..

وقد كان.. والتقى من أريد لهما أن يكونا عدوين.. فإذا بهما يصبحان صديقين وفيين.. وإذا بهما يسيران كل يوم جنباً إلى جنب.. يحميان أوروك من هجمات «عيلام» ويعودان معاً ظافرين بعد أن يقوما بأحسن الأعمال..!

غير أن أنجيدو لم يطق حياة المدينة طويلاً.. وبدأ يضيق بها ويتمنى الرجوع إلى الغابة حيث كان يعيش.. وظهر له فى الحلم طيف شمس نيشتين..

وراح يحبب إليه البقاء في الأرض ويهديه إلى الأرباح التى تعود عليه من الحياة فيها.. وقال له شمس:

- إن جلجميش صديقك وأخوك.. وسيمنحك فراشاً ضخماً تنام فيه، ومقعداً كالعرش إلى جانبه الأيسر.. وسيجعل كل ملوك الأرض يركعون تحت قدميك إعجاباً وتقديراً..!

وحتى جلجميش.. سره وجود أنجيدو إلى جواره.. وأعلن أن السلام قد حل.. وخلع عدة الحرب ولبس الثياب القدسية البيضاء، وزين نفسه بالشارة الملكية.. ولبس التاج..!

وفى نفس تلك اللحظة أطلت «أيشتار».. فراعها جماله وجبروته.. وراحت ترنو إليه بعينيها الكبيرتين وتقول له:

- تعال يا جلجميش وكن لى زوجاً.. تعال نتبادل كئوس الهوى والحب، أضعك فى عربة من لازورد وذهب.. لها جوانب مطعمة بالعقيق.. وتجرها لك سباع سبعة.. وتدخل بيتنا وحولك البخور المنطلق من خشب السدر.. تعال أمنحك السلطان.. وأجعل قدميك تحتضنان كل الأراضى المجاورة للبحر.. وأحنى رءوس الملوك كلهم سجداً لك يأتونك بثمرات الجبال والسهول جزية يؤدونها صاغرين..!

غير أن جلجميش كان يعرف أيشتار.. وكان يعرف لها قصصاً عنيفة مخيفة.. فهز رأسه وهو يقول:

- أنت خائنة يا أيشتار.. ولن يطمئن رأسى فوق كتفى إذا أنا آمنت بحبك واستسلمت لفنون عشقك..!

قالت أيشتار:

- وما الذى تعرف عن خياناتى يا فتى..؟!

أجاب جلجميش:

- إن الجميع هنا يتحدثون عما فعله عشقك الخائن بكل من وقع فى شباك غرامك.. أحببت النسر ثم قصصت أجنحته.. وعشقت الحصان حتى نفق.. وملأت كئوس الحب للأسد حتى فقد لبدته.. وقاطعته أيشتار:

- ولكن هل سمعت عن تضحياتى فى سبيل من أعشق وأحب.. هل سمعت عن قصتى مع حبيبى تموز..؟!

وهز جلجميش كتفيه.. وراحت آلهة الحب والجمال تحكى له القصة..

***

كان تموز.. الفتى الراعى المملوء بالعنفوان.. من نسل الإله العظيم آى.. ولقد شاهدته أيشتار ربة الحب والجمال وهو يرعى غنمه تحت شجرة «أريد» المقدسة التى تغطى بظلها الأرض.. فشغفت به حبّاً.. واختارته زوجاً لها وهى بعد فى إبان الشباب..

وعاش الحبيبان أمداً طويلاً فى قصة حب ندية رائعة، لم تشهد مثلها السماء قط.. حتى كان يوم خرج فيه تموز برعى غنمه.. وإذ بخنزير برى يهاجمه ويطعنه فى مقتل.. فهوى تموز كما يهوى الموتى إلى «أرالو» الجحيم المظلم فى العالم الأسفل!.

وكانت الآلهة «أرشكجال» أخت أيشتار هى التى تحكم مملكة أرالو الممتدة فى أعماق الأرض. إلا أنها كانت تغار من أختها وتمتلئ لها جسداً.. فما كاد الفتى يهبط إلى مملكتها حتى أحكمت غلق الأبواب.. وأقسمت ألا يعود إلى الأرض حيّاً قط..!

والحق أن أيشتار كانت قد قررت أن تهبط إلى آرالو فى محاولة يائسة لاسترداد زوجها الحبيب.

وانطلقت أيشتار فى رحلة طويلة قاسية، مرت خلالها بألوان مخيفة من الأخطار.. حتى بلغت أبواب أرالو.. وطلبت الإذن لها بالدخول.

وسمعت أرشكجال طلب أختها أيشتار.. فأمرت خازن النار ألا يفتح لها الأبواب أبدا.

وصرخت أيشتار غاضبة.. وراحت تدق أبواب أرالو.. تهدد وتتوعد.. وتقسم أن تحطمها وتسحق أقفالها وقضبانها إذا لم يسمح لها بالدخول.

امتلأ حارس الأبواب رعباً وفزعاً.. وأسرع إلى أرشكجال يتوسل إليها أن تنقذه بالسماح لأختها بالدخول.

وبرغم المرارة والحقد اللذين تكمنهما أرشكجال لأختها.. فقد اضطرها الأمر أن تخفى ما يعتمل فى أعماقها أمام الحارس.. وسمحت له بفتح الأبواب.. غير أنها عندما أذنت له.. قالت إن هذا الإذن لا يمنع أن تعامل أختها بما يقضى به قانون الآلهة الذى يحرم دخول أرالو.. إلا للعراة..!

وسمح حارس النار لايشتار بالدخول.. وراح يخلع عنها جزءاً من ثيابها وحليها عند كل باب تجتازه من أبواب مملكة الظلمات..

ولم تغضب أيشتار.. فقد كان حسبها الوصول إلى حيث وضع تموز.. ولا شىء بعد ذلك..!

وعند الباب الأول خلع الحارس عن ايشتار تاجها.. وعند الباب الثانى خلع قرطيها.. ثم عقدها.. ثم حلبة صدرها.. ثم منطقتها ذات الجواهر القدسية.. ثم رداءها المزركش البراق الذى يغطى يديها وقدميها..

وبرغم كل ذلك فما اكتفى الحارس.. بل طلب منها قبل اجتياز الباب الأخير أن تخلع آخر الأثواب.. وتمنعت أيشتار أول الأمر فى رقة.. ثم خضعت له واستسلمت..!

وهبطت أيشتار عارية إلى أعماق أرالو..

وفتحت أرشكجال عينيها فى غيظ وحقد.. لقد كانت أختها فتانة خلابة رائعة.. أما هى فدميمة قبيحة عرجاء.. من حقها أن تنزل بأختها غضبها ونقمتها..!

وانتفضت أرشكجال وهى تصدر أمراً جديداً لرسولها «نمتار»:

- اذهب يا نمتار واسجنها فى قصرى.. وسلط عليها ستين مرضاً.. مرض العيون على عينيها.. ومرض الجنب على جنبيها.. ومرض الأقدام على قدميها.. ومرض القلوب على قلبها.. ومرض الرءوس على رأسها.. سلط كل ما تعرف من الأمراض على كل جزء من أجزاء جسمها البغيض..!

ونفذ نمتار أمر مولاته..

ووجدت أيشتار نفسها داخل سجن أختها.. وفى كل أعضائهامرض خبيث..!

وأظلمت الأرض حولها.. فما وجدت فوق ظهرها أثراً لايشتار ربة الحب والجمال والربيع.. وشعرت الأرض انها فقدت كل ماكان يوحيه وجود أيشتار.. فنسيت جميع الفنون وطرق الحب.. ولم يعد النبت يختلط بالنبت.. فذبلت الخضر.. ولم تشعر الحيوانات بحرارة الرغبة قط.. حتى سكان الأرض من رجال ونساء.. انفصل كل منهم عن الآخر.. وما عاد هناك من سبيل لإنجاب جيل جديد..!

وأخذ البشر يتناقصون.. وروع الآلهة حين رأوا نقص ما يرسله لهم البشر من قرابين.. واستولى عليهم الذعر حين شهدوا عدداً كبيراً من الناس قد

انصرفوا عن عبادتهم منذ اختفت أيشتار بين قضبان السجن المقيت..!

وكان إله الشمس هو أكثر آلهة السماء حزناً على أهل الأرض.. فذهب إلى إله الأرض آى يبكى.. وهو يحمل إليه قصة الخراب والدمار التى حلت على كل المخلوقات.. كما يشهدها كل يوم بين الشروق والغروب..

وحزن آى للمصائب التى حلت بأرضه.. فخلق رسولاً سماه اشوشونامبر انطلق يحمل رسالته إلى أرالو.. ويطلب من ارشكجال باسم كل الآلهة إطلاق سراح أيشتار..

وغضبت أرشكجال عندما وصلها الأمر المقدس باسم الآلهة على لسان أشوشو.. فراحت تسبه وتلعنه.. ثم أمرت به فألقى فى جب مظلم فى أعماق أرالو.. حتى يموت..!

ومع ذلك فما كانت أرشكجال تستطيع الوقوف فى وجه كل الآلهة.. فلم يمض وقت حتى أمرت رسولها نمتار بأن يطلق سراح أختها الإلهة أيشتار..!

وانطلق نمتار صادعاً بأمر مولاته.. غير أنه فوجئ بأيشتار ترفض الخروج من السجن.. وتقسم ألا تغادره وتعود إلى الأرض إلا إذا سمح لها بأن تأخذ معها زوجها تموز..!

ورفضت أرشكجال.. واستمرت الأرض قاحلة تبكى..!

وغضب الآلهة.. وأرسلوا أمراً آخر إلى أرشكجال بالإفراج عن تموز.. إجابة لطلب أيشتار.. وبالرغم منها أرسلت ربة الجحيم رسولها نمتار ليصب ماء الحياة على جسد تموز.. ويطلقه خارج أسوار أرالو.. ومعه أيشتار..!

وهكذا انطلقت أيشتار تجتاز وهى ظافرة ومعها زوجها أبواب أرالو السبعة.. وتتسلم عند كل باب ما خلعته من قبل.. ملابس ما فوق الساقين..

والمنطقة، وحلى الصدر.. والقرطين.. والتاج..

وأطلت الأرض فإذا ايشتار وتموز يعودان.. فعاد معهما النبات ينمو.. والحيوانات تكثر.. وانطلق كل امرئ يبغى الإكثار من نسله.. وجلست أيشتار من جديد على عرش الحب والجمال والربيع..!

***

كان جلجميش يستمع فى ذهول إلى قصة أيشتار وتموز.. غير أنه عندما انتهت من سرد قصتها، هز كتفيه وهو يذكر النهاية القاسية التى انتهى إليها تموز نفسه.. فقد سمع أنه ظل يفقد كل يوم بعض أعصابه حتى انتهى الأمر إلى الجنون.. ومات..!

وأقسم جلجميش أن لن يستسلم قط لغرام أيشتار.. ولو فعلت به الأفاعيل.. وقال لها وهو يمضى عنها:

- إنك تحبيننى الآن.. ولكنك ستقضين عليَّ بعد كما قضيت على كل هؤلاء..!

وصرخت أيشتار وهى تضرب الأرض وتندفع نحو السماء.. وانطلقت فى غضبها الصاخب إلى أونو الإله الأعظم تطلب منه أن يخلق من الوحوش ثورا ماردا يقتل جلجميش.. غير أن أونو رفض طلبها وهو يقول:

- ألا تستحين يا أيشتار وقد ذكرك جلجميش بكل مخازيك وفضائحك وألوان غدرك..؟!

وعادت أيشتار تصرخ.. وأنذرت بتعطيل كل ما فى الكون من غرائز الحب والنسل حتى يهلك كل شىء..

وكانت ذكرى خراب الأرض لا تزال ماثلة فى رأس أونو.. فاضطر إلى

الخضوع لإرادة أيشتار.. وأرسل ثورا ضخماً اسمه «آلو» لينازل جلجميش..!

والتقى آلو بجلجميش..

وفى الصراع العنيف الذى نشب بينهما.. كاد جلجميش يسقط ميتا.. إلا أن صديقه أنجيدو سعى إليه.. وأنقذه من براثن الثور الوحشى.. واشترك الاثنان معاً فى القضاء عليه..

وأطلت ايشتار من عليائها فى غضب مجنون.. فرأت الثور يحتضر.. وجلجميش يقف من فوق جسده يضرب بالرمح كل أطرافه.. وهتفت أيشتار:

- ملعون أنت يا جلجميش.. يا من أثرت غضبى أنا التى لا أغضب.. ويا من قتلت ثورى الذى أرسلته من السماء!

وسمع أنجيدو لعنات ايشتار.. فانقض على الوحش ومزق أحد أطرافه.. ثم ألقى به على وجه ربة الحب والجمال وهو يهتف:

- أغلقى فمك يا ماكرة.. وإلا هاجمتك وحطمتك وفعلت بك مثل ما فعلنا برسولك!

وملأ العار رأس أيشتار.. وأقسمت أن تنتقم..

ولم تمض أيام حتى كان انجيدو قد سقط وهو فى عنفوان مجده ضحية داء عضال.. صرعه بعد اثنى عشر يوماً مقيتة..

وكانت أيشتار هى التى أرسلت إليه داء الموت..!

***

ملأ الحزن قلب جلجميش، وبدت له صورة الموت بشعة مخيفة.. وراح يفكر فى وسيلة للفرار من المصير المحتوم..

وبلغ به التفكير إلى شخص واحد عزيز.. لا يستطيع الموت أن يقرب منه.. إنه جده الأكبر.. شمس نيشتين.. الخالد الذى يعرف سر الخلود..

وقرر جلجميش أن ينطلق للبحث عن المكان الذى يقيم فيه شمس نيشتين.. ولو اضطره البحث إلى الطواف حول كل الأرض.

وانطلق جلجميش فى طريقه للوصول إلى أول الأرض.. حيث تغرب الشمس.

وبعد أن قطع فى الجبال والسهول مسيرة أيام.. بلغ جبلا ضخماً تقف دونه حيوانات ووحوش، لم تأذن له بالمرور إلا بعد أن سلط عليها الإله سن رب القمر قدرته فاستسلمت للنوم.. واجتاز جلجميش الجبل المهول ليقف عند جبل آخر أكثر منه هولا وارتفاعاً.. هو جبل الغروب حيث ينتهى الأفق الغربى بين الأرض والعالم الأسفل..!

وكان يحرس الجبل ماردان مهولان تلمس رأساهما قبة السماء، ويصل ثدياهما إلى أعماق الأرض..!

واقترب منهما جلجميش.. وعلى وجهه تتمثل كل ألوان الرعب والخوف..

وأوقفه الماردان يسألانه عما يريد باقترابه من بداية العالم الأسفل.. وأجابهما جلجميش بأنه يريد الوصول إلى حيث جده الأكبر.. شمس نيشتين!.

ونصحه الماردان بالعودة.. فقد كانا يعلمان أن سر الخلود لا يمكن أن يصل إليه واحد من البشر.. ولكن جلجميش راح يتوسل إليهما وهو يبكى.. ورق له قلباهما.. وسمحا له بالمرور..!

وسار جلجميش اثنى عشر ميلاً داخل نفق غارق فى الظلمة.. وعندما وصل إلى نهايته كان النور قد بدأ يشرق، ووجد نفسه أمام شاطئ بحر عظيم، ينهض فوق مائه عرش سبتو العذراء.. ربة البحار..!

وناداها جلجميش وهو يطلب منها أن تعينه على عبور الماء... فرفضت ربة البحر.. وراح هو يبكى ويتوعد.. وينذر الربة بأنه إذا لم يفلح فى الوصول إلى جده شمس نيشتين فسيلقى بنفسه من فوق قمة الجبل ليموت.. وأشفقت عليه سبتو، وسمحت له باجتياز البحر فى قارب يقوده واحد من خدامها الأمناء..

وبدأ جلجميش رحلة خطيرة مرعبة.. استغرقت من الأيام والليالى أربعين، وجد نفسه فى نهايتها يقف أمام جزيرة صغيرة.. هى التى يقيم فيها شمس نيشتين.. المخلد أبد الدهر..!

***

عجب شمس نيشتين عندما رأى جلجميش يقترب من الجزيرة.. وكان البطل فى ذلك الوقت قد سقط فى القارب فريسة داء عضال.. فراح يتوسل وهو فى رقدته إلى جده الأكبر أن يمنحه سر الخلود الذى اجتاز من أجله كل هذه المخاطر والأهوال..

وهز شمس نيشتين رأسه، وراح يقول له:

- إن الموت هو نهاية كل بشرى.. وإنه لمحرم على إنسان أن يعرف سر الساعة التى تنتهى عندها حياته.. ففى السماء تجلس آلهات القدر تغزل خيوط الحياة لكل إنسان وترسم نهايته.. ولكن متى ينتهى الغزل الخاص بحياته؟. وفى أية ساعة؟. هذا ما لا يدريه أحد قط.. حتى الغازلات أنفسهن..!

وأجاب جلجميش:

- أنا لا أريد عدواناً على سلطان الآلهة.. ولكنى أعجب لماذا تخلد أنت وأموت أنا.. على حين أن مظهرى لا يختلف عن مظهرك..؟ إننى أشبهك تماماً.. ولست أكثر منى حكمة ولا أرجح عقلا.. ولى قلب مثل قلبك جرىء

قوي.. فكيف تدخل أنت مجمع الآلهة ولا أدخله أنا..! كيف تجد سر الخلود ولا أجده أنا..؟!

ولم يجد شمس نيشتين لكى يقنعه سوى أن يقص عليه قصة الخلق.. والطوفان.. والخلود..!

وعندما انتهى شمس من قصته.. كان جلجميش قد سقط من اليأس والإعياء فى أعماق قاربه..!

وتألم شمس نيشتين وأشفق على حفيده.. ووعد أن يعيد إليه صحته ويشفيه..

ونام جلجميش ستة أيام وسبع ليال.. وخلال نومه العميق كانت زوجة شمس نيشتين تمتلئ عطفاً عليه ورحمة.. وتطلب فى النهاية من زوجها أن يرده سالماً إلى بيته..!

واستجاب شمس نيشتين لرجاء زوجته.. وطلب منها أن تحضر له مادة سحرية تحتوى على سبعة عناصر مقدسة.. قطرها بين شفتى جلجميش النائم فى أعماق قاربه..!

ومرت أيام ستة.. وفى اليوم السابع، عندما استيقظ جلجميش، عاد يطلب من جده الأكبر سر الخلود..!

وأذن له شمس بالنزول على الشاطئ.. ثم أرسله إلى ينبوع ماء ليزيل عن نفسه مفاسد حياته الماضية. وتطهر جلجميش بالماء المقدس، ثم عاد مرة أخرى إلى جده وقد أيقن أنه سيمنحه سر الخلود..!

وكان هذا هو ما حدث.. فإن شمس نيشتين أخذ بيد البطل إلى حيث يجد نبتة الخلود..!

وكانت هذه النبتة القدسية التى تعيد الشباب وتمنح الخلود أن يأكلها..

نوعاً من حشائش زاحفة.. ذات أشواك تدمى من يحاول جمعها..!

وحصل جلجميش على النبتة.. وطلب من جده أن يسمح له بالعودة إلى أوروك..!

وهكذا بدأ رحلة العودة.. فى القارب القدسى.. الذى يقوده ملاح سبتو المخلص، ويحميه طوال الطريق.

وقطع جلجميش من الطريق الأول ما مقداره ثلاثون قسما.. وعندما بلغ ذلك المكان وجد جزيرة صغيرة فى وسطها بئر قال له الملاح إن بها ماء عذباً يغرى بالاستحمام..

وخلع جلجميش ملابسه.. وهبط فى البئر يستحم..

ولم يكن جلجميش يدرى أن ثمة حية رقطاء كانت ترقد إلى جوار المكان الذى خلع فيه ملابسه.. شمت رائحة النبتة القدسية فتقدمت منها.. وانقضت عليها فى لحظة.. ثم اختفت..!

وصرخ جلجميش إذ وجد نبتة الخلود تضيع.. وعاد يبكى كطفل.. وجرت الدموع على خديه شقية مدرارة.. ولكنه لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً بعد..

واستأنف جلجميش رحلته حزيناً نحو الأرض وعندما بلغ أوروك راح يطوف بالهياكل، ويدعو الآلهة أن ترد الحياة لانجيدو ولو للحظة واحدة يكلمه فيها..

وبرغم القرابين التى راح يقدمها للآلهة وسن ومردك.. إلا أن أحداً منهم لم يستجب له..

وذهب جلجميش آخر الأمر إلى الإله آى.. فعطف عليه وأمر رسوله نرجيل أن يحضر له روح أنجيدو العزيز..

وانشقت شفرة فى الأرض.. وانطلقت من خلالها روح أنجيدو كنفحة

الطيب.. وراح جلجميش يحدث صديقه:

- أخبرنى يا صديقى عما رأيته.. فما عدت أستطيع الخلود على ظهر الأرض، وسأنطلق عاجلاً أو آجلاً حيث تقيم.. فما الذى تراه هناك حتى أستعد له..!

وأجاب أنجيدو:

- لا أستطيع أن أخبرك بسر العالم الأسفل..!

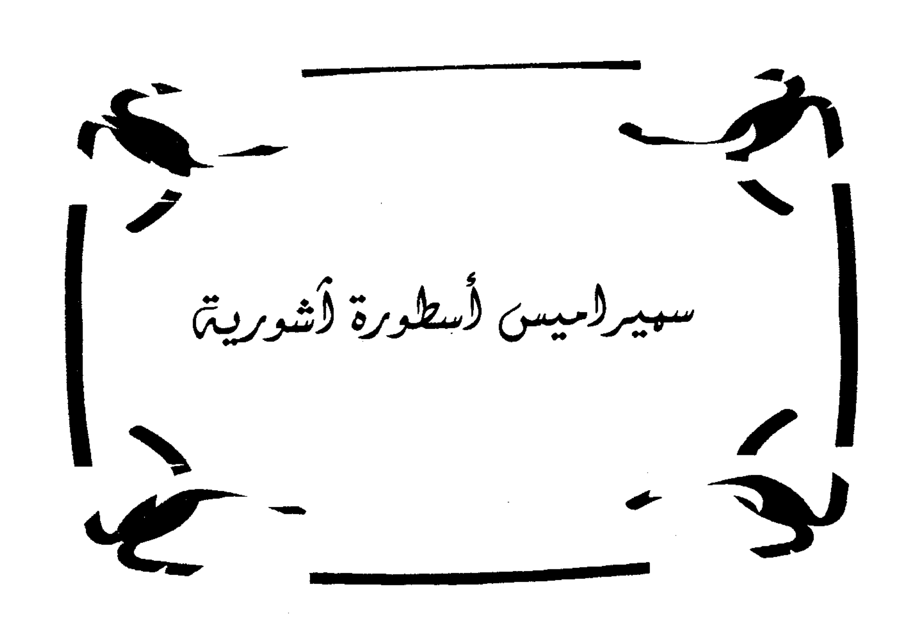
وبكى جلجميش.. وراح يلح على صديقه أن يجلس إليه ويحدثه.. ورق له روح أنجيدو.. فراح يحكى له قصة الأهوال فى أرالو.. وكيف تجرى الأمور فى العالم الأسفل..

قص انجيدو كيف ينام الشهيد الذى يقتل فى المعركة.. إنه يرقد على السرير.. ويشرب الماء النقى.. تحيط به أمه وأبوه وأبناؤه وزوجته.. أما الرجل الذى يموت، وجثته ملقاة فى الحقول.. لا تجد من يقيم على جسده مراسيم الدفن بعد الوفاة.. فليس له إلا اختيار طعامه من النفاية والأقذار التى يلقيها الآخرون..

وختم أنجيدو حديثه وهو يقول:

- لقد مت شهيداً.. فسعدت فى العالم الأسفل.. وإن أمامك الآن الخيار..!

وفى لحظة.. انشقت الأرض من تحت أنجيدو.. فتلاشي.. أما جلجميش.. فقد راح يطل حوله ذاهلاً.. ثم خر على الأرض.. وقد ملأته الحيرة بين الرغبة فى الموت.. والرغبة فى الحياة..!


سميراميس أسطورة آشورية

«اختلف المؤرخون فى حقيقة سميراميس فقال بعضهم إن وجودها خرافة.. على حين يؤكد آخرون أن الأعمال التى تنسب إليها متداخلة فى تاريخ الآشوريين والبابليين الذى عاشوا على نهر دجلة والفرات.. أما المنقبون عن الآثار فيرون أن سميراميس إلهة أسطورة شرقية.. هى عندهم كفينوس عند الرومان.. وأن اسمها ومعناه حمامة إنما أطلق عليها الاسم لأن الحمائم احتضنتها عند مولدها وغذتها.. وهم يرونها رمز الحب والسعادة.. وفرح الرجال والظفر فى الحرب.. كما يعتبرونها وسيطاً أسمى بين مبدأى الخير والشر على ظهر الأرض..!»

انسابت سيول صاخبة ذات يوم على منابع نهر الفرات فى جبال أرمينيا، ففاض النهر وتدفقت مياهه.. وخرجت الأسماك تستلقى وتتمدد على أديم الأرض..

وبين تلك الأسماك، كانت هناك سمكتان كبيرتان شهدتا بيضة كبيرة طافية على وجه الماء، فسبحتا إليها، ودفعتاها أمامهما إلى الضفة وإذا حمامة بيضاء تهبط من السماء وتحتضن البيضة.. وتظل تحميها حتى تراجع ماء الفيضان عائداً إلى مجرى النهر..

واستمرت الحمامة تحتضن البيضة حتى فقست.. ومن داخل البيضة خرجت الربة «ديركيتو» بوجه امرأة.. وجسم سمكة..!

وأعجب الإله الأعظم بالربة الصغيرة، بعد أن كبرت وملأت الآفاق بعدلها وفضلها وحكمتها.. وتمثل إعجاب الإله فى وعد قدمه إليها بأن تطلب منه أى شىء تريد ولم تدع «ديركيتو» الفرصة تضيع.. فسألته أن يخلد السمكتين اللتين أنقذتاها من الطوفان.. فرفعهما الإله الأكبر إلى السماء.. وجعلهما ألمع نجمتين فى برج الحوت..!

ورغبت الربة «ديركيتو» فى أن تحمل.. والربات يحملن ويلدن بغير زواج حسب رغبتهن.. وحملت الربة، ثم وضعت طفلة لها جسد إنسان كامل ينبعث من بدنها النور لروعة ما منحته من ألوان الجمال.

وأطلت الربة «ديركيتو» إلى ابنتها.. وملأها الذعر.. فقد أثار رعبها ألا تكون طفلتها فى شكلها الإلهى.. ما يجعل الربات الأخريات ينظرن إليها بعين الريبة والشك.. ويعيرونها ويتهمنها بما هى منه براء.

وحملت الربة مولودتها ذات ليلة مظلمة إلى البادية.. حيث تركتها هناك عارية مهملة.. ليس حولها من شيء على الإطلاق سوى البرد والريح والزمهرير.. والجوع القاتل..!

وكان بيلوس.. إله نينوى العظيم.. يطل من عليائه. فرأى الطفلة المسكينة تلقى فى العراء بغير سلاح أو معين.. فأرسل من السماء رسوله «ينبو» يرعاها ويحميها، ويحمل معه سرباً من الحمائم ترف بعضها عليها بأجنحتها لترد عنها حر النهر وبرد الليل. وتنطلق الأخريات إلى حيث ينزل الرعاة فيحملن إليها بمناقيرهن نقطاً من الحليب يلقينه فى فمها لتغذيتها ورى ظمئها..

ومع مر الشهور والسنين، تحولت الحمائم إلى الأمكنة التى يضع فيها الرعاة ما يصنعون من جبن، يأخذن منه بمقدار ما تسع مناقيرهن، ليقدمنه للطفلة التى عاشت مع حمائمها سعيدة لا تعرف قط طعم الشقاء.

وكان الرعاة إذا عادوا فى المساء يرون جبنهم منقوراً فيندهشون.. ولما ازداد ذلك الأمر وتتابع، قرروا أن يتركوا واحداً منهم يرقب المكان غيابهم..

وشهد الراعى الحمائم وهى تحط حول الجبن وتلتقط قطعه الصغيرة فتحملها بمناقيرها إلى مكان تطير إليه.. وأخبر الرقيب رفاقه فتتبعوا

الحمائم حتى وصلوا إلى حيث صبية ذات جمال رائع لم يخلق لغير الآلهة.. فأخذوها إلى خيامهم.. واتفقوا على أن يحملوها معهم حيث يبيعونها فى سوق «نينوى» العظيم..

وحمل الرعاة الصبية الحسناء إلى نينوى.. وكانوا قد سموها سميراميس.. وهى تعنى الحمامة البيضاء..

واتفق أن كان يوم وصولهم إلى المدينة يوم موسم الزواج الذى يقام كل عام، حيث تجتمع فى السوق الكبير جموع الشباب والشابات قادمة من كل نواحى المملكة، لينتقى كل شاب عروساً شابة، أو ينتقى صبية يحملها إلى داره فيربيها إلى أن تبلغ سن الزواج.. فيتزوجها.. أو يقدمها عروساً لأحد بنيه..!

وكانت الساحة غاصة بالشيوخ والكهول والشبان ودخل الرعاة بالصبية الصغيرة الحسناء إلى حيث يعرضونها للبيع.. وبينما هم يضعونها فى أول الصف، إذ شاهدهم «سيما» ناظر مرابط خيول الملك.. وكان «سيما» عقيماً لا ولد له، فهفا قلبه إلى سميراميس، وملأته رغبة فى تبنيها.

ودعا «سيما» الرعاة وساومهم على ثمنها، وعندما تمت الصفقة حملها إلى منزله حيث ملأ زوجته فرح كبير بالصبية ذات الجمال الرائع.. واعتنت بها المرأة وكأنها ابنتها.. وظلت ترعاها حتى كبرت واستدارت وبرزت أنوثتها كأجمل ما تكون النساء..!

***

وذات ربيع، جاء مينوتس - قائد الملك ووزيره - إلى مرابط الخيل يتفقدها.. وشهد الوزير «سميراميس» الحسناء جالسة بكل ما فيها من روعة وبهاء. ومن عينيها ينبعث النور، ورنت إليه «سميراميس» بعينين ملؤهما

الدعوة. فوقف الوزير فى مكانه حائراً مبهوراً.. حتى انتبه إلى نفسه آخر الأمر فدعا الفتاة وسار بها إلى حديقة القصر يتحدث إليها وتتحدث إليه.

وانطلقت «سميراميس» على استحياء تتبع الوزير. وعندما وقف فى بستان القصر اقتربت منه وركعت أمامه على ركبتيها تقدم له كل فروض الاحترام. ومد مينوتس يده فرفعها لتقف أمامه.. وراح يسألها من تكون..؟

ولم تستطع «سميراميس» أول الأمر أن تجيب.. ثم لم تجد إلا أن تقول له إنها ابنة ناظر المرابط الملكية.

ونادى الوزير على سيما، ولكن ناظر المرابط لم يستطع أن يكذب كما بدا له أن يفعل أول الأمر.. واضطر أن يحكى قصتها كاملة للوزير.. منذ وجدها الرعاة تحت رعاية الحمائم فى البيداء.. حتى اتخذها ابنة له.. لا يطيق فراقاً لها أبداً..!

وأحس الوزير من طريقة الرجل فى الحديث، أنه لا يمانع فى تركها مقابل مبغ كبير.. فأخرج «صرة» من المال قذفها إليه.. ثم انطلق بالفتاة فى الطريق إلى العاصمة.

وكان قلب الرجل قد شغف بالفتاة شغفاً كبيراً.. وعندما بلغ القصر كان أول ما فعله أن سلمها للمزينات والماشطات، وأخرج لها من خزائنه حليّاً لا يوجد مثلها إلا فى كنوز الملك.. وأخذتها نساء القصر إلى الحمام وغسلن بدنها بالماء المعطر، ومشطن شعرها الأسود الطويل وسدلنه على كتفيها خصلاً معقدة بالجواهر.. ثم ألبسنها الأرجوان الفينيقى الموشى بالذهب، وأخرجنها للوزير كأجمل وأروع ما عرفت «نينوى» من عرائس.

واحتفل «مينوتس» بزواجه كما لم يحتفل أحد من قبل أبداً.. وكان لابد

أن يصبح لمسراميس المقام الأول بين محظيات الوزير ونسائه.. حتى لقد كان يلازمها ملازمة الظل ولا يطيق عنها فراقاً لحظة.. وكأية امرأة، استطاعت سميراميس أن تغذى ذلك الشوق والحب وتستغلهما لتتحكم فى الرجل الذى عبدها، فخضع لرغباتها، واحترم أفكارها، وصار يأخذ بآرائها فى كل ما يلم به من أحداث ومهام.

ومرت الأيام، وسميراميس كل شىء فى حياة الوزير.. وكل شيء أيضاً فى حياة الجماهير.. إلا أن شيئاً أكثر من جمالها كان سبباً فى تعلق الشعب والوزير بالعروس الإلهية.. هو ذلك النصر الذى استطاعت أن تقدمه للمملكة كلها.. عندما عرفت كيف تسقط أضخم حصن من حصون الأعداء.

كان ذلك يوماً خالداً من تاريخ البلاد.. وكان الملك «نينوس» قد انتهى من تشييد عاصمة ملكه، وراح يبحث عن السبيل إلى أمجاد جديدة قد استقر رأيه مع وزيره وقائد جيشه «مينوتس» على تجنيد جيش كبير ضخم، يقتحم ممالك أخرى مجاورة. ثم لم تمض أيام أخرى حتى شهدت نينوى خروج جيش عظيم يخترق شوارعها ويبتعد عنها ليجاوز حدود البلاد نحو الشرق.

كان الجيش ضخماً بالغ القوة لا قبل لأحد به على الإطلاق.. فلم يكن عجيباً ألا تثبت أمامه بلدة أو جيش.. إلا أن الذى اثار «نينوى» وأغضب ملكها، هو أن ذلك الجيش الضخم، وعلى رأسه القائد، والملك نفسه، عجز عن اقتحام عاصمة الأعداء.. «بكتريا» لأيام طويلة راحت الهجمات تتكسر خلالها على الأسوار المحيطة بالقلعة الشامخة.

وعجب الملك ووزيره أن يقف الجيش دون العاصمة لا يستطيع لها صراعاً.. ومع ذلك فقد أبى الملك إلا أن يستمر على حصارها ولو أودى

ذلك بالجيش كله.. ولما طالت غيبة الوزير على زوجته سميراميس، أرسل إليها يستدعيها لتوافيه فى ميدان القتال.

وحضرت سميراميس، ولم يعرفها رجال الجيش إلا بعد أن تأملوها طويلاً.. وعرفوا جمالها الأخاذ الوضيء.. فقد كانت ترتدى ملابس الرجال على غير ما كانوا يعهدون..!

وطلع صباح.. ووقفت «سميراميس» على باب الخيمة تتأمل العاصمة الرائعة التى أنهكت الجيش الذى لم يهزم أبداً.. ولاحظت «سميراميس» أن الهجوم كان موجهاً إلى قسم المدينة القائم فى السهل، لا ضد قلعتها، مما جعل البكاترة يحرسون حصونها بقليل من اليقظة.. وخطرت لها فكرة.. ألا يمكن أن تنهار مقاومة الأعداء لو هوجمت تلك القلعة الشامخة مباشرةً.. وهل يمكن أن تقوم هى بنفسها بهذا الهجوم..؟!

وانطلقت «سميراميس» إلى الخيمة فأيقظت زوجها ولم تمض لحظات حتى عرفت كيف تقنعه بخطتها التى رسمتها من خلال تأملها القصير لجوانب الموقعة..!

وانتفضت القلعة بعد ساعة من بزوغ الشمس على هجوم عارم عنيف، تشنه عليها فرقة قوية من الجنود اختارتهم «سميراميس» بنفسها وتقدمتهم إلى اقتحام القلعة الشامخة.

وانقضت ساعة وبعض الساعة.. وانتبه الملك، والوزير مينوتس، والجيش جميعاً.. فإذا «سميراميس» واقفة على قمة القلعة تلوح بذراعيها أن تقدموا..!

وعرف الكل أنه النصر.. وأدركوا أن المرأة التى قادت بضعة رجال قد اقتحمت القلعة التى انهارت.. وأن العاصمة قد باتت بين أيديهم..

والتفت الملك إلى قائده مينوتس يسأله:

- من تكون هذه المرأة يا مينوتس..؟!

وشعر «مينوتس» بدنو الكارثة.. وأدرك أن «سميراميس» قد راقت فى عينى الملك، فسكت على رعب كأنه لم يسمع.. وكرر الملك السؤال، ولم يجد القائد بدا من أن يجيب.

- إنها زوجتى يا مولاى..!

وعاد الملك إلى العاصمة.. ودخل قصره.. وتفرق الجند والناس وأرسل الملك إلى قائده يأمره بدعوة «سميراميس» إليه.. ولم يستطع الوزير إلا أن يحنى هامته..

أما سميراميس.. فقد وجدتها فرصة للوصول إلى المجد الذى طالما حلمت به.. وحملت نفسها على محفة يرفعها أربعة من العبيد السود، وتسايرها فيها وصيفتان جميلتان.. هذه راكعة وراءها تروح لها، وتلك ساجدة أمامها تلبى الرغبات..

وعندما دخلت على الملك.. ووقعت عليها عيناه فى اتكاءتها والتفاتها وزينتها وتألق طلعتها.. انهار قلبه فى هوى عربيد.. زادت هى من لهيبه بنظرات كلها دل وفتور.. لم يدع له مجال الاختيار..!

وعندما صارا وحدهما.. اتفق معها الملك على أن تترك زوجها.. لتكون له وحده.

وعادت «سميراميس» إلى قصر زوجها.. وعاد فى أثرها رسول الملك يقول لمينوس:

- إن سميراميس قد راقت فى عينى الملك. فهو يريد أن يراها فى قصره بين محظياته ونسائه. فإذا كنت فى حاجة إلى زوجة تحل مكانها فليس لدى

الملك ما يمنعه من أن يسمح لك بالزواج من ابنته بدلاً من سميراميس..!

وصعق الوزير لرسالة الملك.. ورغبته التى لا يمكن أن ترد.. ولبث أمداً لا يدرى كيف يفعل.. واستدعى «سميراميس» زوجته يسألها كيف يتخلص من رغبة الملك.. فإذا بها تشير عليه بتلبيتها.. على أن تسعى هى خلال إقامتها فى البلاط.. بما أوتيت من فطنة ودهاء.. لعلها تقنع الملك بإعادتها إليه..!

ونزل القائدة عند إشارة سميراميس.. وكله حزن ويأس.. ولكنه ما كاد يبصرها خارجة من القصر فى محفتها.. حتى اسودت الدنيا كلها فى عينيه.. وانطلق إلى شجرة قائمة فى أقصى المدينة..

ومن غصن قوى من أغصان الشجرة العجوز.. تدلت جثة لم تجد حولها أحداً يواريها التراب..

وكانت هى نفسها جثة الوزير.. الذى حكم على نفسه بالإعدام..!

***

بلغ الخبر «سميراميس» وهى بعد لا تزال فى طريقها إلى قصر الملك. ولكن ما الذى كان يهمها من انتحار رجل ما أحست يوماً واحداً بأنها تحبه.. أبداً ما أحبته قط.. وما كان ليملأ قلبها سوى حب المجد.. والسلطان.. والسيطرة. وهى تستطيع أن تجدها جميعاً.. فى قصر نينوس..!

وكان القصر ينتظرها كما لم ينتظر ملكة من قبل أبداً.. وعندما دخلته كانت تعلم أنها لن تكون فقط أولى المحظيات.. بل ستكون هى وحدها الملكة.. ولا محظيات سواها بعد..

وكان هذا هو بالضبط ما حدث..

فقد عرفت «سميراميس» الداهية كيف تجعل الملك يكتفى بها هى

وحدها.. ويطرد محظيات القصر ونساءه كلهن.. كأن الدنيا لم يعد فيها غير سميراميس..

ورفعها الملك من محظية إلى ملكة..

وولدت له الملكة ولداً سماه إيناس..

وظلت الحياة تسير.

***

عرفت «سميراميس» كيف تجعل من نفسها كل شىء فى قصر الملك.. وعرفت كيف تجعله لا يطيق فراقاً لها لحظة.. حتى ولو كان خروجاً لحرب أو لإخماد ثورة فحسب..

غير أن خروجها معه فى كل غزواته ملأها كراهة له واحتقاراً.. فقد كان يستعمل فى حروبه أبشع وأقسى أنواع التنكيل والإرهاب تماماً ككل من سبقوه من ملوك بابل وآشور.. فكيف تطيق هى التى رعتها حمامات السلام فى البيداء مشاهد الدم المسفوك هنا وهناك.. وفى كل مكان..؟!

وكان آخر ما شهدته من حروب الملك، عندما خرج إلى بلاد الطوارنين الثائرين عليه.. فعندما ظفر بأعدائه وفتحت له أبواب مدينتهم، أمر بسلخ جلود كل الشبان وهم أحياء.. وعلق الجلود على جدران بناها أمام أبواب المدينة الثائرة. ولم يكتف الملك الوحش بكل ذلك.. فقد أمر بقطع رءوس الثوار.. ونظمها فى حبل على شكل عقد، وحكم على من بقى حيّاً من الرجال بأن يأكلوا لحوم أبنائهم وبناتهم.. أما من أبى فقد قطعت أنفه وأذناه وشفتاه.. ثم سيق مع الآخرين إلى العاصمة.. ليدخل بهم دخول الغزاة المنتصرين..!

ولم تطق «سميراميس» كل تلك الفظائع.. وكرهت.. الرجل الذى عرفت

فيه أقسى من وجد على ظهر الأرض ودفعتها تلك الكراهة - جنباً إلى جنب مع حب الطموح والسيطرة - إلى أن تسعى للتخلص من الزوج - عن أى طريق..!

وكانت «سميراميس» تعرف الطريق جيداً.. فقد عرفت من قبل كيف تتمنع على الملك لتغريه.. وكيف تقصيه عنها لتشعل فى قلبه كل الشوق.. فإذا ما تضاءل أمامها وتحطمت منه الأعصاب.. كان هذا هو الوقت الذى تطلب فيه ما تريد.. وسرعان ما يلبى ويجيب..!

وكان مساء.. وبينما الملك يجلس فى مقصورتها وكله شوق.. وحدث سميراميس أن الوقت قد حان لتطلب ما تريد.. وكان طلبها هو أن يسلمها سلطته كلها لأيام ثلاثة.. تجلس فيها وحدها على العرش.. ويكون لها أثناءها أن تأمر فتطاع.. ولو كان الأمر صادراً إليه هو نفسه..!

وابتسم الملك.. ثم ضحك.. ثم كاد يستلقى لطول ما ضحك.. ثم قال لها:

- لك ما تريدين..!

وجلست «سميراميس» على عرش نينوى.. تأمر وتنهى وتحكم.. وانقضى اليوم الأول بسلام..

وطلع صباح اليوم الثانى من الأيام الثلاثة التى منحها لها الملك.. فكان أول أمر أصدرته سميراميس للجنود أن يقبضوا على الملك..!

وأطاع الجنود.. واقتيد نينوس إلى السجن أمام عينيها.. وعندما راح الملك يستعطفها فى ذلة وخضوع.. ابتسمت له ساخرة.. ثم انطلق من بين شفتيها أمر جديد إلى الجنود.. بأن يذبحوه..!

وأثبتت سميراميس أنها لم تعد بعد ابنة الحمائم.. وأنها قد أصبحت فى بابل وآشور.. أكثر قسوة من كل طغاة بابل وآشور..!

وعلم الشعب بما صنعته الملكة.. فهاج.. وتألبت الجماهير وتزاحفت إلى القصر تهتف بالثأر.. وتنادى برأس الملكة.

وتلقت سميراميس نبأ الثورة وهى فى الحمام. فلم تذعر.. ولم تأخذها رعدة. بل خرجت من الحمام نصف عارية.. فى شعر منفوش.. وغدائر تتسدل على كتفيها كريش الطاووس.. وأطلت من شرفة القصر..!

وتحول الصخب فجأة ليصير همساً ضئلاً.. وصمت الضجيج ليتحول بعد ذلك عبادة وصلاة للملكة القاتلة..!

وسجد الجميع.. ثم تفرقوا.. وقد أصبحت الملكة فى مقام الآلهة..

ومنذ ذلك اليوم.. جلست سميراميس وحدها على عرش آشور تحكم دولة مترامية الأطراف.. وتقود الشعب كل يوم إلى مجد جديد..

واستمرت سميراميس تحكم وحدها عشرين عاماً.

ولم يعد ينقصها بعد كل الأمجاد التى صنعتها للشعب إلا أن تتحول إلى الفتوح، وتحطم كبرياء كل الثوار.

وصنعت سميراميس جيشاً لم تر آشور مثله جيشاً قط، زحفت به لتخضع آسيا وميديا وفارس وأرمينيا وفينيقيا ومصر وليبيا.. ولم يعد هناك من بلد يقف فى وجهها إلا الهند.. ذلك البلد المسحور الذى تحدثت عنه كل القرون السابقات.

وإذاً فإلى الهند..

وخرجت سميراميس على رأس جيشها الجبار.. فما وقف أمامها عدو.. وما صمد دونها بلد.. حتى بلغت أطراف الهند وقد أنهكها طول السفر..

وكانت سميراميس قد استعدت قبل ذلك بسنتين لملاقة جيش ملك الهند.. وكان الهنود مشهورين بقدرة فيلتهم التى تستخدم فى الحرب فلا

تُقهر.. فسعت هى إلى التغلب على هذه العقبة بحيلة حربية.. وأمرت بتغطية مائة ألف جمل بجلود الثيران السوداء المخاطة لتقلد بها الفيلة.. وشيدت ألفى مركب لتشق بها نهر الهند.. وحملها الجيش معها على ظهور الجمال..

وبدأت الحرب وجهاً لوجه. وكانت سميراميس قد أنزلت فيلتها فى المعركة.. فكسبت أولى الجولات.. وأسرت مائة ألف هندى.. وأغرقت ألف مركب من مراكب الأعداء فى نهر الهندوس..

وتظاهر الملك الهندى بالتراجع والهرب.. ومن ورائه انطلاق جيش «سميراميس» بغير نظام يبغى الغنيمة.. وكانت هناك قنطرة كبيرة على النهر اضطرت سميراميس أن تنزل جيشها على جانبيها وتوقفت المعركة.

وفى اليوم التالى عاد القتال.. وانطلقت الفيلة الزائفة براكبيها تطارد جيش الهند المتقهقر... ولكن الهنود الذين اكتشفوا الزيف عندما عثروا على جثث الفيلة الميتة.. عادوا يكرون على جيش سميراميس بفيلتهم الحقيقية التى تمرست بالحروب وخبرتها.

وانهار جيش «سميراميس».. وفر الرجال والجمال فى اضطراب لم يكن بعده سوى الهزيمة..

أما هى.. فقد أصابها سهم ونشاب من يد الملك الهندى.. جعلها تسرع مع فلول جيشها المقهور إلى عبور نهر الهندوس مرتدة إلى بلادها.. ولم يتبعها الملك الهندى بجيوشه إذ حذره كهانه من العبور.

وتم الصلح على تبادل الأسرى.. وعندما عادت سميراميس إلى آشور.. لم يكن يحيط بها من الجيش الذى خرجت به من قبل.. سوى الربع أو أقل قليلاً..!

وفى عاصمتها أحست سميراميس خيوط مؤامرة جديدة.. فقد كان ابنها

ميناس قد ضاق بخمول ذكره أمام عظمة أمه وسلطانها .. فملأته الغيرة.. وطمع فى الحصول على كل السلطان..!

شعرت سميراميس بما يدبره ولدها .. وأرادت أن تجتذبه إليها وتتدارك أمر نفسها فتزوجته. لكن هذا الزواج لم يجدها نفعاً.. فقد لبث ميناس يحوك لها المكائد والدسائس حتى أحست كأنها محصورة فى مصيدة..!

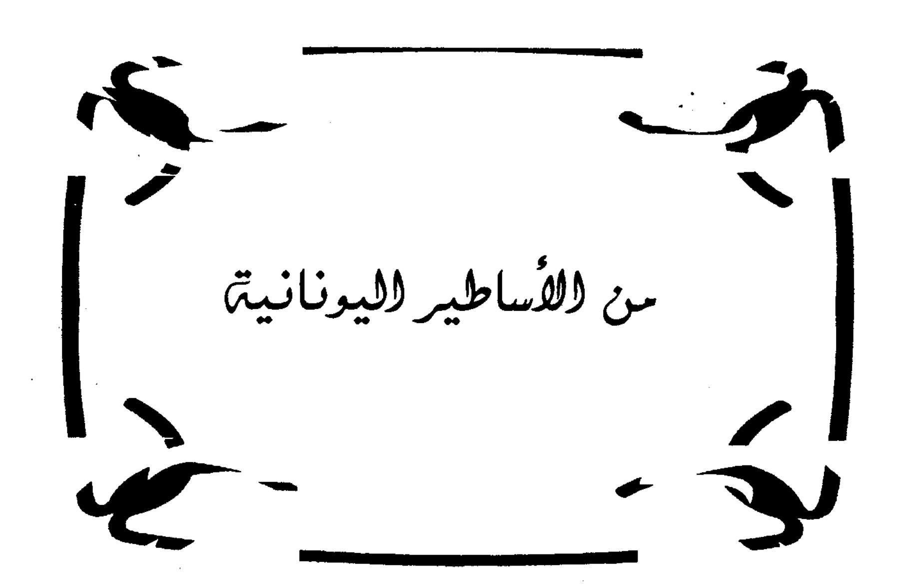
وأتعبها الجهد.. ولم تجد أمامها إلا أن تتنازل عن العرش لولدها ميناس.

وخلعت سميراميس التاج الذى كسبته بالدم.. وخرجت من عاصمتها - بابل - التى شيدتها أيام مجدها .. لتعود إلى البادية التى تلقتها وليدة من قبل.. وهناك عاشت منبوذة وحيدة.. كأنها لم تكن ذات يوم شيئاً قط..!

ولم تطق «سميراميس» صبراً بعد .. فرفعت يديها إلى السماء تطلب من الإله ببلوس أن يأخذها إليه..

واستجاب لها رب الأرباب.. فحولها إلى حمامة بيضاء، رفرفت لتطير إلى السماء ومن حولها غمامة هائلة من حمائم أخرى بيض، تماماً كتلك التى ربتها ورعتها ذات يوم.

وهناك.. عاشت سميراميس.. كواحدة من ربات آشور وبابل.. وعبدها أهل الأرض تماماً كما يعبدون أهل السماء..!


من الأساطير اليونانية

1- أوربا - مينوس - باسيفاى

كان لأجينور ملك صور ابنة تدعى أوربا وابن يدعى كادموس، وكان الملك فخوراً بهما، فالابنة لا يضاهيها فى جمالها أحد من العالمين، والابن لا يضاهيه أحد فى شجاعته.

وفى يوم كانت أوربا تتجول فى أحد المروج المليئة بالأزهار الجميلة، فظهر ثور هائل وراح يدور حولها عدة دورات، وكان زيوس قد اتخذ لنفسه تلك الصورة لكى يخطف الفتاة الجميلة لتكون زوجة له، ارتعبت أوربا فى بداية الأمر من الثور، إلا أن عينيه كانتا من الرقة والجمال إلى درجة جعلتها تربت على ظهره وتتودد إليه، ثم جمعت بعض الزهور وصنعت منها إكليلاً، وعندما استلقى على الأرض تسلقت على ظهره ووضعته حول قرنيه، إلا أنه نهض فى الحال، وجرى بها بأقصى سرعة، حتى إنها لم تجسر أن تقفز من فوق ظهره، بل تعلقت بقرونه، ومضت تصرخ بكل قوتها، وسمع الناس فى الحقول صياحها، لكن الثور كان يشق طريقهما كالريح، فلم يملكوا إلا أن يذهبوا لأبيها الملك ويخبروه أن الثور مضى بها جهة البحر. وفشلت كل الجهود فى البحث عنها.

أما زيوس فقد انطلق يسبح بها حتى وصل إلى جزيرة كريت ودخلها عن طريق مصب نهر ليثيا الذى ظلت أشجار الدلب على ضفافه يانعة على الدوام لأنه كان يجتمع بها تحت هذه الأشجار، وفى كريت ارتد زيوس إلى صورته الحقيقية، ولاطفها ثم كاشفها بحبه، وقد أحبته بدورها وقد أنجبت منه ثلاثة أولاد: مينوس، رادامانثوس، ساربيدون. «المقر: كريت» وسميت البلاد المواجهة لتلك الجزيرة باسمها فظلت تحمل اسم أوربا إلى اليوم.

وقد رأى زيوس أن يزوّج أوربا لملك كريت حتى ينجو من حملات هيرا،

وقد رفضت أوربا فى البداية هذا العرض، فاسترضاها زيوس حتى قبلت، وقد رعى أستيريوس ملك كريت أبناءها من زيوس كما لو كانوا أبناءه. وقد انفرد مينوس بن زيوس بملك كريت بعد أن قتل أخويه رادامانثوس وساربيدون. مدعياً الصلاح والعدل.

- مينوس - باسيفاى

تزوّج مينوس ملك كريت باسيفاى ابنة أبوللو، وقد أنجبت له ثلاث بنات هن استريا وأردياني وفيدرا، كما أنجبت له ابناً وحيداً، يدعى أندروجيوس، وقد ذهب هذا الابن البطل إلى أثينا حيث اشترك فى مهرجان القوة والمهارة وفاز فى كل المباريات، وتفوّق على الباقين جميعاً وفاز بجائزة الشرف، فاغتاظ الأثنيون غيظاً شديداً لانتصاره عليهم، وكمنوا له فى طريق عودته إلى بلده وهجموا عليه وقتلوه، وهنا جرد أبوه حملة للانتقام له.

وحضر إلى نيزا فحاصرها، لكن نيزوس «أخو أيجيوس ملك أثينا» الذى كان يحكمها كان عنيداً، وكان مقدراً له ألا يموت إلا إذا قطعت الشعرة الأرجوانية التى فى رأسه، وكان لا يعرف عنه هذا السر سوى ابنته سيكيللا التى بمجرد أن أطلت من فوق الأسوار ورأت مينوس حتى أعجبها وتمنت لو تزوجته، فقامت بقطع الشعرة الأرجوانية من رأس أبيها، وقدمتها لمينوس ليتزوجها، لكنه بعد أن دخل المدينة استقبح عمل الابنة وقتلها، فحولتها الآلهة إلى قنبرة وتحول أبوها إلى باشق، دأب على مطاردتها فى الهواء وتمزيقها بمنقاره.

وواصل مينوس حملته وانتصر على الإثنيين انتصاراً ساحقاً، واضطر الإثنيون فى النهاية إلى طلب الصلح، فمنحهم مينوس ذلك على شرط أن يقدموا له طيلة تسع سنوات جزية سنوية تتكون من سبع فتيات وسبعة فتيان.

وأثناء تلك الحملة كانت فينوس فى أحضان مارس إله الحرب تستمتع

بمغامرة خفية عن العيون، لكن أبوللو أبى هذا الدنس، فسلط أضواءه الوهاجة عليهما، وفضح فعلتهما الدنيئة.

ولم تنس فينوس هذه الفعلة لأبوللو، وقررت أن تنتقم منه فى صورة ابنته باسيفاى زوجة مينوس ملك كريت. فجعلتها تعشق ثوراً كان بوزيدون إله البحر قد أهداه إلى زوجها. وتمنت باسيفاى زوجة القائد الذى يحقق النصر الآن على أثينا لو تصبح خدينة للثور، وكانت تحملق فى كل بقرة تقع عليها عيناها، وتحقد عليها لأن لها الحق فى أن تستمتع بعشيقها دونها. وشنت على البقرات الوسيمات حرباً شعواء، فكانت تأمر بالبقرة تلو البقرة لتساق إلى الحقل وتنوء بنير المحراث أو للمذبح كى تذبح قرباناً، واعتقد الناس بصلاحها وتقواها من كثرة القرابين التى تقدمها للآلهة، ولم يكن أحد يدرى أنها تفتك بغريماتها باسم الآلهة خداعاً ورياء.

ولم تمنعها مكانتها الملكية أن تجمع بيديها المرهفتين الأعشاب الغضة لتعلف بها الثور الذى أسر قلبها، وأصبح كل أمنيتها أن تصبح بقرة لتظفر بعشيقها، وقد أمرت الفنان الخاص بزوجها ديدالوس أن يصنع لها بقرة من برونز استخفت فيها وأتاحت للثور الفاتن أن يجامعها، ونسلت منه دنساً لوثت به سلالتها. فأنجبت منه ابنها المينوطور وهو وحش نصفه ثور ونصفه رجل، وسط ضحكات فينوس التى ردت لأبوللو ضربته لها، ففضحت ابنته كما فضحها.

وجاء مينوس منتصراً ليجد أمامه تلك الكارثة، وهنا أمر فنانه دايدالوس أن يشيّد له متاهة ذات ممرات متداخلة يصعب الوصول عبرها إلى منفذ للخروج، فصمم له الفنان متاهة اللابيرانث. وحبس فيها المناطور. وكان بيت المتاهة مساحته مساحة مديدة، وبه عدد لا يحصى من الممرات والأبهاء، وكل أولئك الذين يدخلونه لا يعرفون مسالكه، ويعجزون عن الخروج منه مرة

ثانية فيهرولون بين حجراته التى لا تحصى بحثاً عن الباب الذى دخلوا منه، وعبثاً تضيع محاولاتهم، ويزدادون يأساً وضياعاً فى هذا البيت العجيب. وفى النهاية يأتى لهم المينوتور ذلك الوحش الذى كان يقيم فى البيت ويلتهمهم.

وكانت الجزية التى فرضها على الإثنيين بعد انتصاره عليهم «سبع فتيات وسبع فتيان» بمجرد ما تصل يأمر مينوس بها أن تذهب إلى المتاهة «اللابيرنت»، حيث يعيش الميناطور، وكانت الضحايا لا تسلم منه.

وظلت أثينا تعانى العار لتلك الجزية، وقد قدمتها ثلاث مرات، ومازال أمامها ست سنوات عليها أن تقدم الضحايا، وكان أيجيوس حاكم أثينا بلا ابن يخلفه فى العرش، يتطلع لخلافته على العرش أبناء أخيه، لكنه كان يدخر لهم مفاجأة فقد ذهب سرّاً إلى مدينة تريزينا وتزوج أيثر ابنة ملكها سرّاً «ايثرا بنت بيتثيوس أخو يزيديا أم الكمينا التى أنجبت هرقل»، كان ذلك قبل حملة مينوس بثلاث عشرة سنة، وقد وضع حذاءه وسيفه تحت حجر ضخم وطلب من زوجته أن ترسل له ابنه عندما يستطيع رفع الحجر.

وعندما ولد الطفل ثيسيوس، قال جده بتيثيوس إن ابنته الأميرة قد أنجبته من الإله نبتون، وذلك ليخفى موضوع الحلف الذى عقده مع أيجيوس. وعندما بلغ ثيسيوس السادسة عشرة استطاع زحزحة الحجر وأخذ حاجيات أبيه ليذهب بها إليه فى أثينا، وفى الطريق أثبت بطولات عديدة فقد مر على إتيكان فطهرها من اللصوص وخاصة اللص الذى يربط الناس بين أشجار الشربين.

ووصل إلى أثينا حيث كان أبوه والمملكة يستعدون لتقديم الإتاوة الرابعة، وقد حاولت زوجة أبيه ميديا أن تضع السم له لولا أن الأب رأى حذاءه، فتعرف على ابنه فقذف الكأس من يده، فتل عمه بالاس وأبناءه. وتطوّع ليذهب مع

الضحايا ليخلّص بلاده من تلك الجزية، لكن أباه رفض، فألح على أبيه، وأمام قدرات الشاب وافق الأب، لكنه اتفق معه على أن يعلق شراعاً أبيض على السفينة عند عودته ليعرف الأب أنه قد عاد سالماً، فوعده ثيسيوس أن يضع شراعاً أبيض عند العودة بدلاً من الشراع الأسود الذى يقل السفينة علامة على الحداد.

ويأمر مينوس بوضع الضحايا كالعادة فى المتاهة، لكن أريان ابنة مينوس تقع فى حب ثيسيوس، فتساعده فى الخروج من المتاهة عندما أعطته بكرة خيط ليعرف كيف يخرج كما دخل، فقتل الوحش واستطاع أن يجد طريقه للخروج ويصل إلى السفينة حيث كانت تنتظره أريان التى أنقذته فيهرب بها ويتزوجها، وعندما كانت السفينة متوقفة فى إحدى الجزر، لا يلبث أن يكتشف أنها جزيرة ناكسوس الخاصة بإله الخمر باخوس «ديونيزيوس» الذى يأمره بالرحيل دون أريان، فقد قرر باخوس أن يتزوجها. فمضى ثيسيوس مهموماً مشغول الذهن برغم انتصاره، فنسى أن يرفع الشراع الأبيض.

وكان أيجيوس يخرج كل يوم على الشاطئ ينتظر السفينة، فلما رآها قادمة من بعيد، والشراع الأسود عليها، أيقن بهلاك ابنه، فرمى بنفسه فى البحر ليلحق بابنه على ظنه، فسمى البحر الذى مات باسمه «بحر إيجه».

ووصل ثيسيوس إلى الشط، فوجد تجمعاً، واكتشف أنه تسبب فى مقتل أبيه عندما نسى أن يضع الشراع الأبيض كما اتفق معه. وأصبح ثيسيوس ملكاً على أثينا خلفاً لأبيه، وتزوج ملكة الأمازون انتيوبا، وقد أنجب منها ابناً واحداً هو هيبولت. الذى يكبر على غرار أبيه ليصبح أعظم فارس بين بنى قومه.

وقد حاولت زوجة أبيه الجديدة فيدرا «ابنة مينوس وأخت أريان» أن تبعده عن أبيه، ثم لما كبر اختص أرتيمس بالولاء والإخلاص واحتقر أفروديت

آلهة الحب فأهمل شعائرها وقاوم سلطانها وندد بها فى كل مكان، فانتقمت منه أفروديت بأن بثّت فى قلب فيدرا زوجة أبيه بذور الحب الآثم لهذا الفتى العاصى على شرعة الحب. وبعد أن كانت تتمنى أن تبعده أصبحت فريسة لحب لا تستطيع أن تفصح به، فهى تحب ابن زوجها، وذوت من فرط الصبابة الحزينة، وامتنعت عن الطعام، واعتكفت فى فراشها لا تحدث أحداً، ولا تشكو لأحد، وتطلب الموت وقد استسلمت لحزن عظيم، وتلح مربيتها العجوز أن تفصح عما بها لعلها تعلم سبيلاً إلى شفائها، وتنهرها لأن فى موتها جناية على أبنائها فلو ماتت لخلا الجو لابن الزنا «هيبوليت» ولد ثيسيوس من خليلته الأمازونة، لكنها بمجرد أن تسمع اسم هيبوليت حتى تأخذها رعشة فظيعة وتتألم ألماً عظيماً وتستحلف مربيتها ألا تنطق باسمه أمامها ثانية، فتظل بها حتى تضعف فيدرا وتخبرها بحبها لابن زوجها وأنها ستظل تكتم هذا الحب، وليس أمامها سوى الموت لأنه وحده سبيل الشرف الذى ينقذها من حياة العار، فقد جالدت ولم تعد تتحمل، فلا حل سوى الموت.

وهنا ترى المربية أنها ترتكب إثماً أفظع لو سلّمت نفسها للموت فقد قاومت بقدر ما استطاعت، وما دام الهوى قد صرعها فيجب ألا تسلم بالهزيمة وأن تجد إلى حبيبها سبيلاً، وهنا تلعن فيدرا مربيتها .. لكن المربية تقول إن طريق الشرف عندما يبلغ هذا المبلغ الذى يدمر فيه الإنسان نفسه لم يعد طريق الشرف، وتطلب المربية منها أن تتركها لتدّبر الأمر، وتثور فيدرا ثورة الخوف والخجل.

تمضى المربية تطلب هيبوليت وتخبره، وهنا تدرك فيدرا أن مربيتها الحمقاء قد خانتها وفضحت له غرامها، ويرتفع صوت هيبوليت من الداخل واصفاً المربية بأنها قوادة، وتولول فيدرا لقد انتهيت، لقد انتهيت.

وتحضر المربية فتقول لها لقد جعلته يقسم أغلظ الإيمان ألا يتفوه بكلمة إذا هى أطلعته على سر خطير فلما أقسم أخبرته بحب مولاتها له.

تندم فيدرا على أنها أفشت سر حبها المنكود لمربيتها الحمقاء، لقد كانت تطلب الموت الصامت فى شرف، أما الآن فقد افتضح حبها الآثم، وغداً يذيع الفتى المستكبر بعفته كل ما كان فيفضحها أمام زوجها وأمام الناس، وسيشير عليها الكل: هذه فيدرا الخائنة..

لقد قضت عليها مربيتها الحمقاء قضاءً مبرماً من حيث لا تريد، لابد أن تموت، وتنتقم من الفتى العف. تشنق نفسها ويدخل ثيسوس باكياً فقد كانت مثلاً للطهر والوفاء وهو لا يعرف لانتحارها سبباً، ثم يلمح فى يدها ورقة، يفتحها، ليجد أن فيدرا تقول فى رسالتها إن ولده العفيف هيبوليت قد اغتصبها فلوّث شرفها وشرف أبيه، فلم تجد سبيلاً إلا الانتحار، وهنا يتضرع لبوزيدون الذى وعده أن يجيب له ثلاثاً من ضراعاته أن يفتك بولده..

ولم يشأ أن يلوث يده بدم ابنه حتى لا تحل عليه لعنة السماء فيأمر بنفيه:

لقد أمرنا بنفيه..

ويحاول هيبوليت أن يدافع عن نفسه، ويوشك أن يطلع أباه على الحقيقة لكنه يتذكر القسم فيمسك.

ويركب مركبته، ويلهب بسوطه ظهر الخيل، وهنا تخرج من البحر موجة عالية ويخرج من الموجة ثور هائل فترتاع الجياد وترتطم عربته بالصخور وتتحطم ويسقط هيبوليت جريحاً على الأرض تجره جياده المذعورة فى جنون وهو معلق فى زمامها المشتبك حوله لا يستطيع منه فكاكاً، ولا تجدى صرخاته فدعوة أبيه تحكم عليه، ويصل أتباعه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة،

فيحملونه إلى أقصر أبيه.

لكن أباه يرى مصرعه على هذا النحو السريع دليلاً على خطيئته وهنا تتجلى الربة أرتيمس له وتخبره الحقيقة، وهنا يضغط الملك على المربية أوينون التى تعترف له بالحقيقة، وتبرئ ساحة ابنه العفيف.

بعد هذه المصيبة خرج ثيسيوس مع صديقه بيرثياوس، فخطفا هيلانة، فأمها الجميلة ليدا زوجة الملك تنداروس، ظهر لها زيوس فى صورة بجعة بيضاء كالثلج فأعجبت بها ونادتها، لكن البجعة لم تكن سوى زيوس الذى عانقها لتتجب منه ولدين، بولكس وهلانة، فى حين أنجبت من زوجها تنداروس «كاستور، كليتمنسترا»، فكانت هيلانة ابنتها من زيوس غاية فى الجمال، فلما خطفها ثيسيوس وصاحبه، اقترعا على من تكون هى من نصيبه، بشرط أن من يفوز بها لا يتخلى عن صاحبه ويساعده فى الزواج بامرأة لا تقل جمالاً عنها، وفاز بها ثيسيوس، فأخذها إلى أمه أيثرا ورجاها أن ترعاها حتى يعود إليها، ومضى مع صديقه إلى العالم السفلى ليخطفا برسيفونى ملكة العالم السفلى زوجة بلوتو، وهناك قررا أن يستريحا فجلسا على حجر لكنهما عندما حاولا الوقوف وجدا أنهما قد التصقا بالحجر ولم يستطيعا الحركة، وأثناء سجنهما فى العالم السفلى خرج كاستور وبولكس شقيقا هيلانة فى البحث عنها، فلما وجداها فى ترويزن مع أيثرا أخذاها وأخذا أيثرا معها.

فى حين ظل يسيوس سجيناً هو وصديقه حتى نزل هرقل ليأخذ الكلب ذى الرءوس الثلاثة، فشد ثيسيوس شدة قوية جبارة واستطاع أن يقف، بينما لم يستطع بيرثياوس أن ينهض وقدر له أن يبقى جالساً إلى الأبد لأنه تجرّأ وفكر فى خطف ملكة العالم السفلى.

أما ثيسيوس فقد رجع إلى أثينا مملكته بعد غياب عدة سنوات بعد أن

شاب شعره وتغير مظهره، فوجد الشعب منصرفاً عنه لأنه يتركهم ويقضى وقته فى المغامرات، فاستاء ثيسيوس واتجه إلى جزيرة سكيروس التى يحكمها الملك ليكوميديز الذى تظاهر بالترحيب به، وإن لم يخل من قلق، إذ خشى أن يسلبه ثيسيوس حكم جزيرته، فتظاهر بالترحيب به، ودعاه أن يذهب معه إلى جبل يستطيع من فوقه أن يرى البلاد كلها، وتسلق الاثنان الجبل، وكان أحد جانبيه شديد الانحدار، ثم دفعه لاكوميدس فسقط من هذا العلو الشاهق ومات البطل الشجاع بيد جبانة، وقد دفنت جثته عند سفح المنحدر بتلك الجزيرة.

وهكذا مات البطل الشجاع، ولم يهنأ بالفتاة الجميلة التى خطفها، واستردها أخوها وحملا معهم أم البطل، بل لم يخلص البطل أمه التى ظلت وصيفه للجميلة هيلانة وصاحبتها إلى طروادة مع باريس.

وكذلك مات ابنه العظيم هيبوليت ضحية استهزائه بأفروديت عندما جعلت زوجة أبيه فيدرا تعشقه، ولم يبق من البطل العظيم سوى ابنه من فيدرا: ديموفون الذى قُدّر له أن يشترك فى حرب طروادة ويقابل جدته هناك.

ونعود إلى هيلانة، التى عادت إلى بيتها فى قصر الملك أدراستوس مع أخويها، ليتقدم إليها العشرات يطلبونها.

طلب أجينور من ابنه كادموس البحث عن أخته، وخرج كادموس للبحث، وأخبره الكاهن أن يخرج إلى المراعى، حتى إذا رأى بقرة اتبعها وشيد مدينته ويسميها «بويوتيا» طيبة..

لكن أنصاره الذى ذهبوا لينبوع المياه لم يعودوا فقد افترسهم ثعبان ضخم، وصرعه كادموس وسمع هاتفاً يقول:

- مالك تحملق فى الثعبان الذى أرديته، لسوف يأتى يوم يتطلع إليك الناس فيه أيضاً وقد استحلت ثعباناً.

وظهرت بالاس وأمرته أن يحرث الأرض ويدفن بها أنياب الثعبان لتغدو بذور شعبه الجديد، وامتلأ الحقل بنبت من الجنود المسلحين بتروسهم، لكنهم ظلوا يصارعون بعضهم حتى أفناهم الصراع، ولم يبق منهم سوى خمسة أفراد، وهنا طلبت منهم بالاس أن يطيعوا كادموس فساعدوه، وبنى مدينة طيبة.

2- كادموس

انزعج الملك اجينور لاختفاء ابنته انزعاجاً شديداً، وأمر ابنه كادموس أن يذهب ويبحث عن أخته وألا يعود إلا بها. واختار كادموس رفاق رحلته، ومضى بسفينته، يشق البحر وينزل بكثير من البلدان يستفسر عن الجميلة أوربا، لكن دون إجابة، حتى وصل إلى بلاد الإغريق، فنصحه القوم أن يذهب إلى دلفي، ويسأل كاهنة أبوللو.

وعلى جبل بارناسوس مركز الأرض كانت تقع مدينة دلفى، وكان بها معبد أبوللو الخاص بالتنجيم، فلو أن أحداً أراد أن يعرف شيئاً ماضياً أو مستقبلاً عليه أن يحضر إلى معبد أبوللو ويسأل الكاهنة التى كانت تدعى بيثيا عنه، وكانت هناك فتحة ضيقة فى أرض المعبد تصل إلى عمق بعيد فى باطن الأرض، وكانت تتصاعد منها روائح عجيبة، وفوق هذه الفتحة مقعد ذو ثلاثة أرجل يسمى الحامل، تجلس بيثيا فوقه حيث يأتيها الوحى من هذه العطور، ويمدها أبوللو بالإجابة، ومن ثم كانت تنبؤاتها أقوالاً مقدسةً، وكانت هذه التنبؤات تدعى بالوحى.

ذهب كادموس إلى دلفى، وأخذ معه كأساً ذهبية ليقدمها قرباناً، وحصل على الإجابة زيوس الذى تخفّى فى صورة ثور هو الذى اختطفها وخبأها عن أعين البشر جميعاً، وأمرته أن يكف عن البحث عنها.

ولم يدر كادموس كيف يرجع لأبيه بالخبر، فأخبرته بيثيا أن أباه قد مات وأن غريباً قد استولى على ملكه، وطلبت منه أن يقتفى أثر البقرة البيضاء وأن يقيم مدينة فى المكان الذى يجدها راقدة فيه.

لم يعلم كادموس أية بقرة يجب عليه أن يتبع، لكنه عندما غادر المعبد، وجد بقرة بيضاء تماماً تنظر إليه كما لو كانت بانتظاره، وراحت تجرى فى

الطريق فتبعها، وسارا طوال النهار والليل، وفى الصباح وجد أنهما قد وصلا إلى تل مزدهر جميل تحيط به الأراضى الخصبة من كل جانب، وهنا رقدت البقرة. فعرف أن هذا هو المكان المقصود.

أرسل كادموس أحد أتباعه ليحضر ماءً من عين قريبة، لكنه ذهب ولم يعد. فأرسل آخر، ففعل مثل صاحبه، فذهب بنفسه فوجد تنيناً مرعباً يحرس العين، وأدرك أنه قد ابتلع الرفيقين، فنهض التنين محاولاً أن يبتلعه هو الآخر، لكن كادموس استل سيفاً قاطعاً وأغمده فى رقبة الوحش بقوة هائلة، وتدفقت الدماء منه بغزارة.. وقتل.

وهنا ظهرت أثينا «بالاس» وأشارت عليه أن ينزع أسنان الوحش، ويبذرها فى الأرض، وأنها سوف تنبت مقاتلين يساعدونه فى بناء مدينته.. وسوف يكونون رعاياه، قالت هذا ثم اختفت.

وألقى كادموس بالبذور فى الأرض، وكانت كثيرة، لم يمض وقت طويل حتى انشق سطح الأرض، فظهرت خوذات لامعة، ثم وجوه ذات لحى تحت الخوذات وأخيراً تبعتها دروع لامعة، وبعد أن أخرج المقاتلون أسلحتهم، تمكّنوا من الخروج من الأرض.. وكانت الدروع النحاسية تغطى أجسامهم من رؤوسهم إلى أقدامهم، وكل منهم يمسك بحربة فى يده اليمنى وبدرع فى يده اليسرى.

وشعر كادموس بالخوف من هذه العصابة المسلحة، ففكر فى خطة تؤدى إلى الشجار فيما بينهم، فاختبأ وراء شجيرة وأخذ مجموعة من الأحجار وراح يقذف بها المقاتلين الجدد، فظن كل منهم أن جاره هو الذى يقذفه بها، وسرعان ما نشبت معركة حامية بينهم، وراح ضحيتها الواحد تلو الآخر، وعندما لم يبق منهم سوى خمسة تقدم منهم كادموس وطلب منهم الكف عن القتال:

- لقد وهبتكم الآلهة لتكونوا رعاياى، هلموا لنبنى مدينة.

فقبلوا أن يصنعوا ما طلب منهم وشيدوا مدينة سموها كادموس على اسمه، وبمرور الوقت جاء الناس وأقاموا بها، وقد اشتهرت باسم طيبة، وقد سمى الجنود الخمسة الذين نبتوا من أسنان التنين سبارتى، أو الرجال الذين نبتوا من الأرض، وكانوا يلون الملك فى السلطة والجاه وقد علَّم كادموس الإغريق الحروف الهجائية.

ولأن كادموس كان محبوباً من الآلهة، فقد وهبته زوجة جميلة تدعى هارمونيا، ولماذا لا تكون جميلة وهى ابنة فينوس إلهة الجمال، لكن فينوس لم تنجبها من زوجها فولكان الأعرج، بل أنجبتها من خيانة له فى مغامرة مع مارس إله الحرب تلك المغامرة التى كانت تتم تحت جنح الظلام، ولا يعلم بها أحد حتى قام أبوللو بتسليط أضوائه الباهرة عليها فاضحاً إياهما.

وأقيمت احتفالات ضخمة فى كادميا بمناسبة زواج كادموس وهيرمونيا وحضر الحفل كل الآلهة عدا «هيرا»، وقد أسفر الزواج عن ولد واحد هو «بوليدور»، وأربع بنات هن: إينو، أجافيا، أوتونيا، سيميلى. وكانت أسرة هيرمونيا تعسة، لأن فولكان الأعرج لم يغفر لفينوس خطيئتها مع مارس، فعاقب ابنتها «هيرمونيا» بأن أعطاها ثوباً مدنساً بكل أنواع الآثام. فخرج كل ابن لها بمأساة، ولنبدأ بالحديث عن الابنة سيميلى.

- **سيميلى:**

كانت شديدة الجمال فقد ورثت الجمال عن أمها هارمونيكا ابنة فينوس إلهة الجمال وجمعت إلى جمالها طيبة شديدة، ولجمالها الفائق أحبها زيوس وتزوجها سرّاً. وبذلك تزوّج زيوس أخت كادموس وابنته. وقد أنجبت سيميلى من زيوس ديونيسيوس.

لكن سيميلى لم تفلت من غضب هيرا، فتنكرت هيرا فى صورة خادمتها

العجوز التى تثق سيميلى فيها، وأشارت العجوز على سيميلى أن تختبر حب زيوس لها، وذلك بأن ترجوه أن يأتى إليها ولو مرة واحدة بكل ما يحيط به من عظمة وجاه مثلما يفعل عندما يذهب إلى هيرا. وأضافت أنه ليس حقيقة زيوس، بل واحد من البشر خدعها وأوهمها بأنه زيوس.

كانت هيرا تريد بذلك القضاء عليها، ورغم أن سيميلى لم تشك للحظة واحدة فى أنه زيوس، لكن داعبتها فكرة إغراء زوجها بأن يأتى إليها مرة بكل عظمة الآلهة. فعندما جاءها زيوس فى المرة التالية، توسّلت إليه أن يقسم لها بالقسم المقدس «ستايكس» بأنه سوف يلبى ما ستطلبه منه، وقد نصحتها هيرا بأن تجعله يقسم بـ«ستايكس» لأنه القسم الذى لا يمكن للآلهة أن تحنث به، فأقسم زيوس دون أن يخامره الشك، فقد ظن أنها سوف تطلب أن تنمو فجأة الزهور الجميلة وتحيط بمدينة كادميا أو أن يطير بها فى الهواء أو أن يقوم بمعجزة أخرى، فعندما توسلت إليه أن يأتى إليها ذلك المساء كما لو كان ذاهباً إلى هيرا ندم على أنه أقسم دون تروٍّ، وأخبرها أن رغبتها هذه سوف تكلّفها حياتها. وكان فى هذا هلاكها، فلن يستطيع جسدها البشرى أن يصمد للإشعاعات التى تخرج من الصاعقة.

ولأنه أقسم فكان لزاماً عليه أن ينفّذ، وعندما جاء المساء سمع فى السماء صوت جلجلة رهيبة وأبرقت السماء وأرعدت، وجاء زيوس نازلاً من جبل أوليمبوس فى عربة الآلهة، ودخل كادميا، ورأت سيميلى وجهه يتوجه بجمال وجلال يفوقان الوصف، ولكن لم يكن بوسع أى من البشر أن يتعرض لكل هذا الجلال والجمال دون أن يصعف، فسقطت سيميلى جثة هامدة. وأصبحت رماداً بسبب الهدية التى طلبتها، وأسرع زيوس بانتزاع الجنين الذى لم يكن قد اكتمل نموه، وخاطه على فخذه حيث بقى شهور الحمل،

فكان إله الخمر العظيم باكخوس «ديونيسيوس» وبذلك ولد زيوس مرتين، «منيرفا، باكخوس».

- أينو

هى الابنة الثانية لكادموس وهارمونيا، وقد تزوجها الملك أثامس، لكنها لم تكن طيبة مثل أختها، فقد اجتهدت فى طرد زوجته الأولى، وحالت دون أن تدخل القصر أو ترى ولديها، كما عاملت الولدين «فيركسوس وهيللى» معاملة قاسية. وكانت تكره فريكسوس أكثر من أخته هيللى لأنها تراه خطراً عليها لو آل العرش إليه، وقد فكرت فى وسيلة للتخلص منه، فاهتدت إلى خطة شريرة، فعندما حان وقت بذر الحبوب فى الأرض أمرّت كل النسوة أن يشوين الحبوب سرا، فلم تنبت، وهنا أعتقد الناس أن ذلك غضب من الآلهة، وساد البلاد حزن عميق، وأرسل الملك رسله إلى معبد دلفى ليسألوا الوحى أن يدلهم كيف يعود للأرض خصبها من جديد، لكن الملكة الشريرة أينو انتحت بالرسل جانباً، ووعدتهم بمكافأة عظيمة رشوة لو أنهم خدعوا الملك، وتصنعوا أنهم ذهبوا إلى دلفى دون أن يذهبوا، وعندما حان وقت عودتهم، ذهبوا إلى الملك وأخبروه بما أوحت إليهم الملك بأن عليه أن يقدم ابنه فريكسوس قرباناً للآلهة، وبغير هذا لن يعود الخصب إلى الأرض. رفض الملك فى البداية، لكن الشعب ألح عليه حتى قبل تقديم الضحية، إذ كانوا يخشون الهلاك جوعاً لو أنهم لم ينفذوا مشيئة الوحى.

وأشفقت الآلهة على الأم الحزينة التى لا تكف عن البكاء وهى تنتظر تقديم ابنها ضحية، فبعثت بهيرمس رسول الآلهة يحمل لها كبشاً تكسوه فروة ذهبية كالشمس المتوهجة، وأخبرها هيرمس بأن هذا الكبش سيهرب بولديها إلى مكان أمين، فاستراحت الأم، وفى المساء امتطى فريكسوس

الكبش وأمسك بقرونه، بينما جلست أخته هيللى وراءه وقد ضمت ذراعيها عليه، وبعد أن ودعا أمهما، انطلق الكبش فى رحلته فطار فى بادئ الأمر فى الهواء على ارتفاع السحب، واستمرت الرحلة طوال الليل، وعندما أشرقت الشمس كانوا قد ابتعدوا مسافة كبيرة عن البلاد ووجدوا أنفسهم يطيرون فوق البحر الذى يقع بين أوربا وآسيا، وأرادت هيللى أن تلقى نظرة أخيرة على بلاد اليونان، فاستدارت حتى تتمكن من رؤيتها جيداً ولكنها فى لهفتها أفلتت يدها من أخيها وسقطت فى البحر، وحزن أخوها عليها حزناً شديداً، ومنذ ذلك الوقت سمى الإغريق هذا البحر «Helleshont» ومعناها بحر هيللى.

وانطلق الكبش الذهبى متابعاً رحلته حتى مر فوق البحر الأسود ووصل إلى مدينة كولخيس وكانت تبعد مسافدة هائلة عن مملكة أثامس وهناك قدم فريكسوس الكبش ذبيحة للآلهة وقدم فراءه الذهبى لأبيتس ملك البلاد الذى علّقه على شجرة فى غابة، وترك جواره تنيناً جباراً لا يغفو له جفن. وبعد ذلك عندما كبر فريكسوس زوّجه الملك أبيتس من ابنته.

أما أينو فقد لاقت جزاءها من هيرا، فبعد أن اكتمل شهور الحمل لديونيسوس ابن أختها سيميلى فى فخذ والده زيوس، أمر زيوس هرميس أن يأخذ الطفل ويعطيه لأينو لترعاه هى وزوجها بعيداً عن أعين هيرا. فلما عرفت الخالة أن هيرا عرفت بمكانه عهدت به إلى حوريات نيسا.

وقد غضبت هيرا من الملك أثامس لأنه قبل إخفاء الطفل الذى تكرهه، فعاقبته بأن أطارت عقله وصوابه فأفسدت عليه بصره فأصبح يرى كل شىء على غير حقيقته.

وذات يوم وهو عائد من الصيد رأى أينو تجلس على الحشائش أمام البيت وطفلاها إلى جوارها فتمثلت له كأنها غزالة بجوارها ظبييها فأخذ

سهماً وأطلقه على أحدهما فى قلبه تماماً فقتله فى الحال وهنا أدركت أينو أن زوجها قد جُنَّ، فخطفت ابنها الثانى وهربت من أمامه، لكنه انطلق يطاردها وسهمه فى قوسه فاندفعت إلى الماء بطفلها وغرق الاثنان، وهنا استعاد أثاموس قواه العقلية فأدرك ما فعل، وهنا يسيطر عليه الحزن فيترك البلاد بأسرها، ويذهب إلى معبد الوحى يطلب النصيحة، فكان الجواب أنه سوف يستقر فى أرض يكون فيها ضيفاً على الوحوش الضارية، وتجوّل الملك طويلاً وهو لا يتصور أن يكون ضيفاً على الوحوش الضارية، حتى وصل إلى بقعة مهجورة من السكان، وهناك رأى ذئاباً تلتهم خروفاً بعد أن قتلوه، فلما اقترب من الذئاب جرت منه، ونظراً لأنه لم يأكل شيئاً لعدة أيام، ويوشك أن يموت جوعاً فقد قطع لنفسه شريحة من لحم الخروف النيىء والتهمها، وهنا خطر له أنه قد أكل طعام الذئاب ومن ثم فهو ضيفهم، فكف عن التجوال وأقام بذلك المكان. وجاء آخرون ليقيموا فى أماكن مجاورة فاختاروه ملكاً عليهم واستمر يحكمهم حتى توفى بعد عدة سنوات.

- الابن الثالث بوليدور:

أنجب كادموس ابناً وحيداً من زوجته هارمونيا هوبوليدور الذى ورث ملك طيبة بعد أبيه، وقد أورثها من بعده لابنه لابداكوس، وقد تزوج الأخير نيكتيس فأنجبت له لايوس، وقد أنجب لايوس من زوجته جوكستا «ابنة مينيكيا» ابنهما أوديب، ثم تخلصا منه حتى لا تتحقق النبوءة. أخذ الطفل أوديب لبوليبوس ملك كورينث فتبناه، لكنه عاد إلى طيبة وملكها، ثم وعندما اكتشفت جريمته فقأ عينيه وانتحرت أمه يوكستا.

تولى الحكم بعده ابنه ايتوكليز لكنه رفض أن يتنازل عن الحكم لأخيه بولنكيز بل طرده، فرحل الأخير إلى أرجوس يطلب عون الملك أدراستوس الذى رحب به وزوّجه ابنته الصغرى بينما زوّج ابنته الكبيرة من تيديوس

واستعان بحكيمه أمفياراوس الذى كان واسع الحكمة ويجيد التنبؤ بالمستقبل، لكن الأخير رفض أن يخرج معهم لأنه علم أنهم لن يقهروا المدينة وأنهم سوف يهلكون جيمعاً فيما عدا أدراستوس الذى سيعود إلى البلاد وحيداً، ولما تنبأ لهم لم يصدقوه وظنوه خائفاً من الذهاب إلى الحرب، وهنا كان لابد لزوجته أخت أدراستوس أن تفصل فى الأمر «بعد خلاف نشب بين الاثنين اتفقا أن كل خلاف يرجعان فيه إليها، وتحكم بينهما» وذهب بولينيكيز برشوة المرأة عندما قدم لها عقداً وقناعاً قدّمهما هيفايستوس لكادموس وهارمونيا عند زفافهما، وخرج سبعة أمراء ومعهم الجند، لكن أمفياراوس لم ينس أن ينتحى بولديه ويوصيهما أن يقتلا أمهما لأنها بقرارها أودت به إلى الهلاك.

وتولى كريون «أخو جوكستا» الحكم، ومنع دفن جثة بولينيكيز وكل أتباعه وتوعد من يخالف قراره بالقتل، لكن انتيجونى دفنت أخاها فحبسها كريون لتموت حية تحت الأرض.

وشعر أدراستوس بالأسى والغضب عندما علم بعدم دفن ضحايا أرجو، وهنا ذهب إلى أثينا حيث استجاب له ثيسيوس ومضى على رأس جماعة من الأبطال وأنذر بهدم المدينة لو لم يدفنهم كريون، ففعل.

- أخو كادموس:

أنجب أجينور ملك مدينة صور فى بلاد فينيقيا بآسيا إلى جوار كادموس ابنه فينيوس «فينيكس»: وقد تزوج على زوجتّه كليوباترا زوجة ثانية هى «إيدايا بنت داردانوس»، ولإرضاء الزوجة الجديدة أمر بسمل عيون ولديه من زوجته الأولى لأنهما أغضبا زوجته الثانية. وهنا ثار جوبتر وخير فينيوس بين الموت والعمى عقاباً له، واختار فينيوس ألا يبصر فى الشمس فغضب منه إله الشمس، وعذّبه بأن أرسل له طيور الهاربيس لتلويث طعامه كلما انكب عليه.

3 - هيرميس

بعد خمس من دقائق من ولادته تسلل من مهده باحثاً عن مغامرة، مشى بخطوات سريعة نحو منحدر جبل سيلين إلى أن وصل مرجاً رأى فيه قطيعاً من الأبقار الجميلة، لم ير راعياً .فقرر أن يسرق القطيع، سمع الغربان تهتف فيه: إنها لأبوللو.. لكنه لم يأبه، وضع عشباً فى حذائيه للأبقار حتى تتبعه، وغلف بالعشب أظلافها وذهب بها.

غضب أبوللو إذ رأى أبقاره قد ولَّت، وغضب أكثر عندما بحث عن آثارها فلم يجد أحداً، ولم يدر من أين يبدأ البحث، فطاف فى كل مكان لكنه لم يعثر على إشارة واحدة، ولم يحفل بالغربان وهى تقول له:

طفل رضيع سرقهم.. .

وفى يوم سمع أصواتاً تخرج من كهف، اقترب منه، فوجد طيطانة جميلة غلبها النعاس قرب النار اسمها مايا، كان رآها من قبل فى الحديقة على الأولمب. كان يجلس فى حضنها طفل رضيع يعمل فى درع سلحفاة كبير.

قالت مايا «السلام لك يا فويبوس، هل لى أن أقدّم لك أخاك هرمس الصغير».

– لا شك أن ذلك يشرفنى،. بأى شىء كان يلعب..

– إنه يصنع دماه الخاصة، إنك لا تستطيع أن تتصور كم هو ذكى، لقد صنع هذا من قحف سلحفاة قديم وجعل له.أوتاراً من أمعاء بقرة ومنها يعزف هذه الأصوات الفاتنة.

– أمعاء بقرة، هل لى أن أسألك أية بقرة طاردها ليجعل من أمعائها أوتاراً لتسليته. يبدو أن الغربان عندها حق، فهذا هو الطفل الرضيع الذى سرق أبقارى.

صاحت مايا: «ماذا أتتهم هذا الطفل الرضيع بأنه سارق القطيع؟ يا للعار!!».

وهنا وقف الطفل وانحنى لأخيه وقال: «أنا لم آخذ أبقارك أيها الأخ، أنا لم أعرف أنها أبقارك، وهى كلها سليمة إلا واحدة، لقد رغبت أن أبدأ حياتى بعمل قوى فضحيت بها للآلهة، فاسمح لى أن أقدم لك هذه الآلة، سميتها قيثارة..

سُحِرَ أبوللو بهذه الحرفة، ثم لم يلبث أن وجد هرمز يقطع بعض القصب ويجمعها مع بعضها بسرعة ويثقبها بطريقة خاصة، ثم وضعها بين شفتيه وبدأ يخرج أصواتاً أجمل من الأصوات التى أخرجتها القيثارة. فرغب أبوللو أن يأخذه أيضاً، فطلب هرمز مقابلاً له عصا أبوللو الذهبية، عصا الرعى، وقال له إنها وظيفة لا تليق بأبوللو العظيم. ووافق أبوللو، وأعجب بذكاء أخيه فأخذه إلى الأولمب، وانبهر زيوس من فطنة الطفل وحكمته فأخفاه عن عيون هيرا.

واحتار زيوس فكل الممالك والسلطات قد وزعت، لكن هرمز لم يطلب كثيراً، لقد طلب منه أن يجعل مراسله، يحمل أخباره:

- ستجدنى سريعاً وداهية.

وهكذا صار هرمز رسولاً، ينجز واجباته بسرعة وعبقرية حتى صار محبباً ومقرباً لأبيه، بل أصبح هو الذى ينقل الموتى الجدد من الأرض إلى ترتاروس، وكان له مشغل فى الأولمب، وفيه اخترع الأبجدية وعلم القلم والموازين وورق الكوتشينة، وقد انتعل صندلاً مجنحاً عبر الهواء بأسرع مما يطير، وقد قدّم لأبيه فكرة التنكر والاختلاط بالبشر، وساعد والده فى كثير من مغامراته النسائية بعيداً عن عيون هيرا.

- قدّم لباندورا، وهى الحواء الأولى، صندوقاً ذهبياً جميلاً، وطلب منها ألا تفتحه أبداً، لكنها فتحته فانطلقت الأمراض التى تحيط بالناس: الأحقاد والأمراض، والشيخوخة والمجاعة والجنون، لكنها تغلق الصندوق لتمنع خروج أبشع سكانه وهو نذير الشؤم، الذى يجعل الإنسان يعرف حظه العاثر كل يوم من أيام حياته، وعندها يستحيل الأمل.
- عندما مضى بيرسيوس للحصول على رأس الجرجونة ميدوزا أمده هرمز بحذاء فضى مجنح يشبه صندله هو تماماً، يستطيع أن يطير به أسرع من النسر، وهو هدية من أخته أثينا، ثم أعطاه طريقة العثور على مكان الجرجون.
- أنجب ولداً اسمه ميرتيلوس، اشتغل سائساً عند أونوماوس، وساعد بيلوبس «ابن تنالوس» فى الانتصار عليه، عندما فك عجلات عربة الملك، لكى يتمكن بيلوبس من الفوز بابنة الملك هبيو داميا، التى كان والدها لا يزوّجها لأنه يعلم أن موته يوم زواجها، فكان يصرُّ أن يسابق من يريد أن يتقدم إليها، فمن يسبقه يتزوجها، ومن يفشل يقتل، وقد مات قبل ذلك ثلاثة عشر بطلاً، حتى جاء بيلوبس ورشى السائس ابن هرمز، فساعده فى فك عجلات الملك ليلقى الملك مصرعه، لكن بيلوبس يرفض أن يدفع له، بل ويغدر به ويقذفه من فوق الجبال، فيهوى وهو يلعن بيلوبس، وقد حلت اللعنة على بيلوبس وكل أهل بيته.

4 - تانتالوس، وبيلوبس

تانتالوس ملك فريجيا بآسيا الصغرى، وكانت الآلهة تصادق هذا الملك وتزوره فى بيته، وتصعده فى عرياتها إلى أوليمبوس، وتسمح له أن يشاركها طعامها الإلهى على موائدها، لكنه كان متطفلاً فسرق الخمر والطعام الإلهى وأعطاهم للبشر لتذوقهما كما أفشى أسرار جلساته مع الآلهة.

وبلغت به الجرأة أن دعا الآلهة إلى وليمة وقتل ابنه الصغير الجميل بيلوبس وقطعه إلى قطع شواها وقدمه إلى مائدة الآلهة ظنّاً منه أنهم يأكلونه دون أن يكتشفوا حقيقة أمره، لم يأكل أحد منهم شيئاً من هذا اللحم باستثناء الإلهة ديميترى التى كانت تعانى متاعب جمة بسبب اختفاء ابنتها بيرسيفونى.

وأثار هذا غضب الآلهة، فأمر زيوس أن يبعث بيلوبس إلى الحياة فعاد أكثر جمالاً من ذى قبل، ولما كانت ديميترى قد أكلت قطعة من كتفه ولا تستطيع أن ترجعها إليه فقد أخذت قطعة من العاج وصنعت منه كتفاً وضعته فى المكان الخالى فكان أكثر بياضاً ولمعاناً من بقية جسده.

وغضبت الآلهة على أبيه فتدهورت أحواله، وضاعت ثروته وعندما وصل للعالم السفلى صبت عليه الآلهة عذاباً أبديّاً، فوقف وسط مياه عذبة نقية تصل إلى ذقنه، ومن فوق رأسه تدلت أغصان أشجار الفاكهة الشهية، وكلما حاول أن يشرب غاض الماء من أمامه، وكلما حاول أن يمد يده يقطف بعض الثما ارتفعت الأغصان إلى أعلى فى الهواء، وهكذا يحترق ظمأ وجوعاً والماء والثمار أمام عينيه، وهكذا عرفنا كلمة يحنس أو يغيظ أى يعذب بالأمانى الكاذبة. «Tantalise» أو تانتلوس.

وخلفه ابنه بيلوبس ملكاً على فريجيا، لكنه انهزم وسلبت منه بلاده، وغادر البلاد، وراح يتجول فى بلاد غريبة حتى وصل إلى مدينة إيليس فى بلاد الإغريق حيث كان يحكمها أونوماوس الذى كانت له ابنة جميلة يرغب كثير من الأبطال فى الزواج بها، لكنه عندما سأل الوحى عمن يزوجها له، أخبره الوحى أنه سوف يموت عندما تتزوج ابنته، وهنا قرر ألا يزوجها، ووضع أمام زواجها عقبة كئوداً هى أن يسابق من يريد زواجها فإذا سبق الشاب تزوجها وإلا كان جزاؤه القتل، وكان يملك جوادين يسابقان الريح فى عدوهما.

كانت نقطة نهاية السباق هى محراب بوزيدون، وكانت الأميرة تركب إلى جوار المتقدم لها، ويسمح لهما الملك أن يبدأ السباق قبله ثم يلحق بهما وعندما يصل إليهما يطعن المتقدم فى ظهره، وقد فقد على هذا النحو ثلاثة عشر بطلاً حياتهم كانت شدة حسنها تدفعهم إلى عدم التردد فى المخاطرة.

اطمأن الملك لتلك الوسيلة كحائل دون زواج ابنته، لكن بيلوبس الذى فقد ملكه، قرر أن يجرب حظه، فقد كان شجاعاً لا يهاب أحداً وكانت الفتاة جديرة بالمحاولة، بالإضافة لإغراء الملك الذى سوف يرثه لو تزوجها ويعوض ملكه الضائع.

أيقن بيلوبس أنه لن يحقق النصر على هذا الملك الغاشم إلا بالحيلة، فمضى سرّاً إلى ميرتيلوس ابن هرمز سائس خيول إينومايس وطلب منه أن ينزع القطاريب من محاور العجلات لتنفصل عن مركبة إينومايس وتؤخره فى الطريق، ومنّاه بالهبات الثمينة إن هو فعل ذلك، فتردد ميرتيلوس طويلاً لكنه انهار أمام إغراء الوعود، وكان الملك بالغ القسوة مع خدمه فكانوا لا يحبونه، فوعده الرجل أن يساعده فى كسب السباق فرفع المسامير التى تمنع انزلاق العجلات من محورها، وانطلق بيلوبس مع الفتاة، وتأخر الملك

المطمئن لمكسبه بسبب سرعة جياده الفائقة، لكنه لم يكد يلحق بعربة بيلوبس حتى انزلقت العجلة وانقلبت عربة الملك وسقط الملك من خارجها فارتطم بحجر ولقى حتفه فى الحال.

عاد بيلوبس مكلل الهام بالنصر فتزوج من هيبوداميا وملك إيليس «بيزا»، ولما عاد السائس ميرتيلوس يطالبه بنصف المملكة جزاء عمله، أبى بيلوبس أن ينزل له عن كل هذا واستدرجه بدهائه إلى شاطئ البحر، وهناك دفعه من فوق صخرة عالية إلى أحضان الموج الهادرة، فحلت لعنة ميرتيلوس على بيلوبس وعلى كل من ذريته من بعده، وقد أنجب بيلوبس من زوجته ولدين هما أتريوس وثايست.

ولما كبر ولداه تخاصما، لأن ثايست اعتدى على زوجة أخيه أتريوس، فانتقم أتريوس من أخيه انتقاماً شنيعاً فذبح أطفال ثايست وأقام لأخيه مأدبة وأطعم أخاه من لحم بنيه، فحلت اللعنة على آل أتريوس.

وقام أيجستوس بن ثيايست غير الشرعى والذى كان ثايست ينبذه، بقتل عمه أتريوس، وهنا هرب ابنا أتريوس «منيلاوس وأجاممنون» إلى الملك أونيوس ملك أوخاليا الذى زوجهما بنتى تنداروس ملك أسبرطة.

والملك تنداروس ملك أسبرطة كان متزوجاً من الجميلة ليدا، التى وقع عليها اختيار زيوس، فتمثل لها فى هيئة بجعة جميلة بيضاء كالثلج تسبح أمامها فى النهر، وقد أنجبت منه توأم هما بولكس وهيلانة، وأنجبت من زوجها تنداروس «كاستور، كليتمنسترا».

وكانت هيلانة رائعة الجمال فهى ابنة زيوس من ليدا، وهى التى تعرضت وهى صغيرة للخطف من ثيسيوس وصديقه، ووضعها ثيسيوس عند أمه

أثيرا حتى يخطف برسيفونى لصديقه من العالم السفلى، لكنهما جلسا فلم يستطيعا القيام، وفى هذه الأثناء مضى أخواها كاستور وبولكس للبحث عنها. فلما علما بأنها عند أيثرا، ذهبا إليها وخلصاها وأخذا أيثرا وصيفة لها، ولما عادت إلى بيتها فى قصر الملك أدراستوس، تقدم إليها العشرات يطلبونها، ويكون الشرط هو التعاهد على حمايتها.

فقد خشى أدراستوس أن يكون كثرة الخطاب نقمة عليها، فيتحد المرفوضون ويهاجمون من تختاره زوجاً لها، لهذا فكر فى هذا الشرط، يجب أن يتعهد من يتقدم لخطبتها بحمايتها لو لم تصبح ليست من نصيبه، وتعاهدوا على حمايتها وهم لا يدرون لمن ستكون.

وتقدم مينلاوس لخطبتها مع الآخرين فكانت من نصيبه دونهم، كما قام أخوه أجاممنون بالتزوج من أختها كليتمنسترا. وبعد ذلك قام الأخوان بمساعدة صهرهما بمهاجمة عمهما ثايست الذى فر إلى جزيرة كيثيرا واستعادا ملك أبيهما.

وعندما كانت الآلهة فى احتفال يملؤه البهجة والسعادة على جبال الألمبيوس شق ذلك على آلهة الشقاق، فرمت بتفاحة مكتوب عليها إلى أجمل امرأة فى الحفل، فدب الخلاف بين الجميلات جينون «هيرا» امرأة زيوس، وفينوس ومنيرفا، وطلبوا رأى زيوس الذى خشى من غضبة هيرا لو لم يحكم لها، فأشار عليهن أن يلجئن إلى شاب كان يرعى الغنم اسمه باريس، ابن بريام ملك طروادة كان أبوه يدربه على القيادة برعى الغنم.

وقد عرضت كل منهن على باريس إغراءتها لكن لا المال الذى عرضته هيرا، ولا الحكمة التى عرضتها منيرفا أثار لعابه، فينوس وحدها استطاعت

أن تكسبه عندما عرضت عليه أن تمنحه أجمل بنات الأرض، فحكم لها بأنها الأحق بالتفاحة، فأمرت ابنها كيوبيد أن يرمى هيلانة زوجة مينلاوس أجمل بنات الأرض بسهامه لتقع فى حب باريس، فلم تكد تراه حتى هجرت زوجها، وفرت مع حبيبها باريس إلى طروادة تصاحبها وصيفتها أيثرا «أم البطل ثيسيوس».

وهنا استصرخ مينلاوس الأمراء الذين أقسموا على حماية هيلانة لو تعرضت لخطر، فهبوا إليه واجتمعت كلمة اليونان على غزو طروادة واسترداد شرف اليونان المسلوب باستعادة هيلانة ممن خطفها، واختاروا أجاممنون أخا مينلاوس قائداً للحملة.

لكن الربة ارتيمس حامية طروادة كانت غاضبة فأرسلت فى البحر رياحاً عكسية عاقت أسطول اليونان عن الإبحار فانتشر القلق وسادهم السخط، فاستخاروا العراف كالخاس الذى أفتى لهم بأن الأسطول لن يرحل حتى يقدّم سيد اليونان أجاممنون ابنته إيفيجيتا قرباناً للربة ارتميس ففعل أجاممنون ذلك بعد نضال نفسى عنيف فأرسلت لزوجته أنه يريد ابنته لتزف إلى البطل أخيل، وأقلع الأسطول عن الميناء، وحاصر طروادة عشر سنوات حدثت فيها بطولات وقصص هائلة خلّدها هوميروس فى إلياذته، منها أن البطل أخيلوس الذى استحم فى الماء المقدس ماعدا كعبه حيث كانت اليد التى تغسله فى الماء المقدس تمسك به من كعبه كان بطلاً لا يشق له غبار، وقد تمكن من قتل بطل طروادة هكتور، وعلق جثته فى عربته الحربية وبدأ يدور به فى ساحة القتال تحت أسوار طروادة فى زهوٍ لا يحفل بالسهام التى تنطلق عليها لأنها لا تؤثر فيه، حتى استطاع أخو هكتور أن يصوب سهمه على كعبه، المكان البشرى الوحيد فيه، فخرَّ أخيل قتيلاً.

وظلت المعركة شديدة لا تنذر بانتهاء لأن الآلهة كانت تلعب دوراً فى قلب المعركة لهذا الطرف أو ذاك، حتى حاول اليونانيون أن يتسلقوا الأسوار من خلال بناء حصان خشبى ضخم، لكن الطراوديين تمكنوا من صدهم، ليهرب اليونانيون مخلفين وراءهم الحصان الخشبى الذى كان خطراً على أسوار طروادة حيث يمكن التسلق من فوقه إلى داخل الأسوار، وهنا تفتق ذهن الطراوديين إلى سحب الحصان الخشبى إلى داخل أسوار المدينة حتى لا يستفيد اليونانيون منه ثانيةً. وبدأوا فى الاحتفال بالنصر الكبير، ومضى الشعب كله فى رقص وفرح وخمر.

أما اليونانيون فقد كانت تلك ورقتهم الأخيرة، فقد وضعوا فى جوف الحصان الخشبى أبطالاً، فلما جاء الليل والشعب كله لاهٍ فرحاً بالنصر، خرجوا من الحصان الخشبى فقتلوا من قتلوا وفتحوا الأبواب ليدخل اليونايون إلى المدينة فى غفلة منها، وتسقط طروادة بهذه الحيلة الشهيرة.

ويعود الجيش منتصراً بعد غيبة طويلة استمرت عشر سنوات، وفى قصر الملك أجا ممنون بأرجوس كانت زوجته الملكة كليتمنسترا تقيم مع عشيق لها هو إيجيست، ويعود الملك فى موكبه مكللاً بالغار ومعه العذراء كاساندرا أسيرته ابنة ملك طروادة وهى ذاتها التى علّمها أبوللو الغيب فلما صدته أفسد هبته لها عندما جعل الناس لا يصدقون ما تقوله، وقبل أن تدخل كاسندرا القصر تتنبأ لهم بأن الملكة كليتممسترا سوف تقتلها وتقتل الملك فلا يصدقها الناس، ولم تكد تدخل حتى يشق الفضاء صوت الملك هو يخر مجندلاً بطعنات قاضية، وقد قتل هو وأسيرته وتربعت كليتمسنترا على العرش هى وعشيقها.

وقد دافعت كليتمنسترا عن قتلها لزوجها بأن تنتقم منه لأنه قدّم ابنتهما

أفيجينا للقتل، ولا يقتل ابنته إلا رجل ملعون، وأن الآلهة قد تقمصتها واتخذت من يدها أداة للقصاص من هذا الملك الملعون، أما خيانتها له فتبررها بأن زوجها خانها مع ألف معشوقة منذ ارتحل إلى طروادة..

وتتزوّج الملكة من عشيقها إيجيست ويجلسان على العرش، لكن ابنتها الكترا لا تنسى ثأر أبيها، فترسل لأخيها أوريست ليحضر، وكانت أمها قد أبعدته إلى فوكيس خلال العشر سنوات «مدة حرب طروادة» ليصفو لها الأمر هى وعشيقها، ويعود الأب ولا يظفر بلقاء ابنه، ترسل أخته إليه ليحضر لينتقم لأبيه فيحضر هو وصديقه بيلاد، ويحتاط للأمر فيدخل فى ثياب الغريب الذى يحمل للملك رسالة فحواها أن أوريست قد مات وهنا يخف الملك بشخصه ليسمع هذا النبأ السعيد، فيجندله أوريست بحسامه، ثم يعلن عن شخصيته، وتتملك الأم الفزع وتستحلفه أن يتمهل، لكنه لا يتراجع، بل يقتلها.

وهنا تلاحقه ربات الانتقام لأنه قتل أمه، وتقام له محكمة فى معبد الربّة أثينا فيحكم ستة من المحلفين عليه بالإدانة وستة أصوات أخرى تحكم بالبراءة وهنا تتدخل الربّة أثينها وتحكم ببراءته.

وبعد انتهاء حرب طروادة يعود منيلاوس لزوجته هيلانة، ويقدم ابنته منها «هرميون» للبطل بيروس ابن أخيه ليتزوجها، لكن الأخير الذى فاز بأسيرة عزيزة من طروادة هى أندروماك زوجة هكتور وأم ولده، متيم بأسيرته، نافر من خطيبته، ويحضر أورست بن أجاممنون موفداً من أشراف اليونان يطلب من بيروس أن يسلمه ابن هكتور لتقديمه قرباناً للآلهة فلو قدر له أن يعيش لاجتمع الطرواديون من حوله ولثأروا لمدينتهم المخربة، لكن بيروس يرفض طمعاً فى إرضاء أندروماك، فلما صدته يرضخ ويوافق أن يسلمهم الطفل.

لكن أوريست القادم لأخذ الطفل يتمنى أن تفشل مهمته ولا يعود بالطفل، فهذا معناه أن يتزوّج بيروس أندروماك، وينصرف عن هرميون ابنة عم أوريست والتى فى نفس الوقت حبيبته.

تتراجع أندروماك عن صد بيروس حتى لا تفقد طفلها، كانت تحتال عليه فهى شديدة الإخلاص لزوجها وتكره بيروس لأنه ابن قاتل زوجها، فتشترط لزواجها من بيروس أن يقسم أن يكون زوجاً وفيّاً لزوجته أندروماك ويتوّجها على العرش إلى جواره شريكةً له فى ملك البلاد وأن يكون الأب الرحيم البار لولدها يعطيه كل ما للبنين على آبائهم من حقوق، ويأخذ بيروس على نفسه هذين العهدين أمام الآلهة والناس، ونية أندروماك أن تقتل نفسها بعد أن ينفّذ وعدها ويُجلسها على عرشها، دون أن تسمح لزوجها الجديد أن يلمسها، بعد أن تكون قد قيّدته فلا يقدر أن يؤذى ابنها ولا يقدر أن يتزوج غيرها ويصبح ابنها بعد ذلك هو وريثه على العرش.

لكن القدر يخبأ للزوجة العظيمة شيئاً آخر، فهرميون العروس التى حضرت للزفاف إلى بيروس تكتشف أن حفل العرس أقيم لغيرها، فهنا تلجأ لأوريست التى تعلم مدى تأثيرها عليه، وتلح عليه أن يقتل بيروس الخائن الذى يصر على إهانة كل اليونان، ويترك عروسه اليونانية ليتزوج أسيرته زوجة قائد الأعداء.

وينطلق أوريست ليقتل بيروس بعد أن أقسم قسميه وأجلس أندروماك جواره على العرش وألبسها تاج الملك بيديه، وأعطى العهد لولدها أمام جميع المواطنين، وهنا انقض عليه أوريست وأتباعه فقتلوه، وعاد أوريست ليبشّر هرميون، لكنها تقذفه بأشنع اللعنات، فقد قتل حبيبها بيروس، وترفض أن تعود معه إلى اليونان لتبقى جوار قبر حبيبها، وتجرى إلى القبر فتقتل نفسها

لتلحق بحبيبها الذى دفعت أوريست لقتله دفعاً. وهنا تعترى أوريست لوثة من الجنون، ويرى الأشباح والأفاعى ويقوده صاحبه بيلاد تحت جنح الظلام ويخرج به من القصر ومن أبير قبل أن تراه العيون.

ولا يبقى فى أبير إلا أندروماك بنت طروادة متوجة عليها أمام جميع المواطنين ومعها ولدها وريث عرشها، فقد أرادت اليونان له شيئاً وأراد له القدر شيئاً آخر.

5 - لاتونا وأبوللو وديانا

أرتيمس وأبوللو «ديانا، فويبوس»

تزوج زيوس «جوبتر» الجميلة ليتو «لاتونا» خلسة وهى ابنة التيتان «جويس، أو ساتورن»، فغضبت هيرا وطردتها من جبل أوليمبوس فنزلت إلى الأرض، لكن هيرا أمرت الأرض ألا تمنحها الراحة فكانت الأرض تتزلزل تحتها ومضت من مكان إلى آخر، يطاردها الثعبان بيثون، فمضت حتى وصلت إلى ليكيا وقد جف حلقها من العطش فرأت بركة من الماء العذب، فاقتربت وكانت على وشك أن تطفئ ظمأها فى النبع البارد لولا أن حرّم عليها الفلاحون ذلك، فتوسلت إليهم أن يسمحوا لها أن تشرب رشفة ماء، لكنهم أصروا على موقفهم الجاف غير المهذب، وتمادوا فى غيهم فخاضوا بمجرى الماء، وراحوا يثيرون الطمى بأقدامهم كى يعكروا الماء ويجعلوه غير صالح للشرب، فاشتد حنقها ورفعت يديها نحو السماء وهتفت:

- تبّاً لهم فليقضوا حياتهم فى هذه البركة فلا يبرحونها أو يريمون، فتحولوا إلى ضفادع، بأصوات كريهة تستخدم أيضاً فى المضايقة والتنغيص.

وظلت لاتو «لاتونا» هائمة لا يستقبلها مكان، ولم يشذ سوى الجزيرة العائمة ديلوس التى لم يكن للأرض سلطان عليها، إذ لم تكن متصلة بقاع البحر، فأشفق بوزيدون إله البحر عليها فأقام أربعة أعمدة من الجرانيت لتثبيت الجزيرة.

ولدت ليتو طفلين هما: أبوللو وأرتيميس. أبوللو: إلهاً للشمس، وأخته إلهة القمر، وكان إله رمى السهام والنبوءة والموسيقى. كان يهبط بالوحى

ويكشف الغيب للعالم بأسره.

- أبوللو:

ابن جوبيتر ولاتونا، أخو ديانا التوأم، لكنه ولد بعدها بدقائق، كانت أولى أعماله هو تثبيت الجزيرة الطافية التى ولد عليها، ثم لما شب عن الطوق، حمل كنانته وسهامه الرهيبة ليثأر لأمه من الثعبان بيثون الذى طاردها بإلحاح شديد.

كان بيثون ثعباناً ضخماً، يتمدد على عدة أفدنة من الأرض، وهو نتاج المادة الغروية التى جاءت بها مياه الطوفان فكانت سبباً فى خصوبة الأرض بشكل مفرط، مما أفرد للوجود شتى ضروب النتاج، رديئة وجيدة، ومنها بيثون الذى ملأ قلوب الناس رعباً واندس فى كهوب جبل برناسوس.

لم ينس أبوللو له أنه ظل يطارد أمه «لاتونا» بإلحاح. فذهب إليه وقضى عليه بسهامه، وتذكاراً لهذا النصر الرائع أنشأ الألعاب البيثية، حيث كان الفائز فى مباريات القوى وسرعة العدو وسباق المركبات الحربية يتوّج بإكليل من أوراق أشجار الزان. وقد سلخ أبوللو جلد الثعبان واستخدمه فى تغطية المقعد ثلاثى القوائم الذى كانت تجلس عليه «بيثونيس» دلفى لتلقى نبوءاتها.

تاه أبوللو عجباً بانتصاره على الثعبان الضخم بيثون، وشاهد الصبى كيوبيد يلعب بقوسه وسهامه، فقال له أبوللو:

- ما شأنك بأسلحة الحروب، أيها الغلام الوقح، اتركها للأيدى الجديرة بها.. ألم تسمع بما فعلته عندما قضيت على بيثون الذى بسط جسمه السام على أفدنة كاملة من السهل.

غضب كيوبيد، ابن فينوس وقال:

- قد تصيب سهامك يا أبوللو جميع الأشياء، لكن سهامى ستصميك.

فأراد كيوبيد أن يشفى غليله منه فاعتلى صخرة فوق جبل برناسوس فأصابه بسهم الحب الذهبى، بينما قذف حورية البحر دافنا ابنة النهر بنيوس بسهم رصاص مثلوم لصد الحب، فاستولى حبها على قلب أبوللو، فى حين نفرت من فكرة الحب نفوراً شديداً، وتوجهت بالصيد، تزدرى كل من يحاول التودد إليها وقررت أن تكون مثل أرتيميس «ديانا» عذراء دون زواج.. وأصبحت فكرة الزواج عندها من الكبائر رغم توسل والدها لها: الذى كان يقول لها: أنت مدينة لى بزوج، أنت مدينة لى بأحفاد.

لكنها كانت تلقى بذراعيها حول عنق والدها وقد خضبت حمرة الخجل وجهها بأكمله ثم تقول:

- أطلب إليك يا والدى العزيز أن تسدى لى جميلاً، وتسمح لى بأن أبقى دائماً دون زواج مثل ديانا.

فاستجاب لطلبها، لكنه قال:

- إن وجهك ذاته لن يسمح بهذا..

وأصاب حبها أبوللو، وزاده هياماً بها جمالها الشديد، فتبعها، ففرت منه وهى تسابق الريح، ومضى يستحلفها أن تقف:

- قفى يا بنة بنيوس، لست عدوّاً، لا تفرى من أمامى كما لو كنت حملاً يفر من الذئب، أنى أتبعك حبّاً فيك، إنك تشقيننى إذ أخشى أن تقعى فتصيبك الأحجار بالأذى، أو أكون سبباً فى إيذائك - أستحلفك أن تبطئى فى عدوك.. أنا لو تعلمين رب الأغانى والقيثار، سهامى لا تخطىء المرمى، ولكن يا لأسفى، إن سهماً أبعد أثراً من سهمى نفذ إلى قلبى.. أنا أبو الطب

وأعلم كل مزايا الأعشاب الشافية، وا أسفاه، إنى أعانى من داء ليس له دواء..

وهكذا أصيب أبوللو الذى لا تخطئ سهامه الرمى بسهم نافذ، وعانى من داء ليس له دواء وهو أبو الطب الذى يعلم مزايا كل الأعشاب الشافية.

لكنها واصلت الفرار، واستحوذت على لبه، فنفد صبره، وبدأ يطاردها، هو على أجنحة الحب وهى على أجنحة الرعب، لكنه كان أشد سرعة وأوشك على اللحاق بها، وكانت أنفاسه اللاهثة تكاد تلفح شعرها، وهنا بدأت قواها تخور، فراحت تستغيث، وتطلب من السماء أن تنشق الأرض وتبلعها.

وما كادت تتكلم، حتى تصلّبت كل أعضاء جسمها، وأخذ صدرها تغلفه قشور شجر غضة، وتحول شعرها إلى أوراق شجر خضراء، وذراعاها إلى أغصان، ثم ضربت بقدمها فى أعماق الأرض فأصبحت جذراً، وأصبح وجهها قمة الشجرة، ولم يحتفظ بشىء من معالمه القديمة سوى الجمال.

فوقف أبوللو مبهوراً، فلمس الجذع، وأحس اللحم يختلج تحت القشر الغض، وعانق الأغصان، وراح يمطر الخشب بالقبلات، فنفرت الأغصان من شفتيه، فراح يقول:

- ما دام من المتعذر أن تصبحى زوجة لى فستصبحين شجرتى، سأضع تاجك على رأسى، وسأزين بك قيثارتى وجعبة سهامى، وعندما يتقدم الفاتحون العظماء على رأس مواكب النصر الفخمة، ستتسقين في أكاليل تزين هاماتهم، ولما كان الشباب الخالد من صفاتى، فستظلين مورقة دائمة الاخضرار، ولا تذبل أوراقك أو تتساقط.

وآنئذ أحنت حورية البحر التى استحالت إلى شجرة غار، رأسها فى فهم مطيع شاكر. ومن هذه اللحظة اختص أبوللو شجرة الغار لنفسه، وأصبح المنتصر

والفائز فى الألعاب البيثية يتوج بأكاليل الغار بدلاً من أوراق شجرة الزان.

ومرة أخرى يقع أبوللو فى الحب، لكن حبيبته هذه المرة هى ماربيسا وهى ابنة إيفينوس بن آريس، التى كان والدها يرفض أن يزوّجها لأحد، حتى تقدم إليها بطل شجاع نبيل يدعى إيداس، وأيضاً رفضه أبوها، فساعده بوزيدون إله البحر وأعطاه عربة عجيبة تجرها خيول سريعة العدو.. وحمل إيداس ماربيسا إلى العربة وانطلق بها، يطاردهما أبوها الملك مُصرّاً على قتلهما لو لحق بهما، لكنه لا يلحق بهما، وحين يئس من اللحاق بإيداس ذبح خيله وأغرق نفسه، وسُمى النهر إيفينوس تخليداً لذكراه.

وقبل أن يلتقط إيداس أنفاسه، إذ بأبوللو يعترض طريقه ويطلب ماربيسا زوجةً له، كان أبوللو وسيماً فى ملامحه وفى قامته يبدو كشاب فى مطلع رجولته، وكان يحمل قوساً من الفضة الخالصة ويتدلى من رقبته جراب ذهبى ملئ بالسهام..

أمسك أبوللو بعنان الخيل، وطلب من إيداس إما أن يتخلى عن الفتاة أو أن ينازله، كان إيداس فى غاية الشجاعة وكان دائماً مستعدّاً للقتال، لذا قفز في الحال من العربة واستعد للمعركة، وفى تلك اللحظة نزلت صاعقة بينهما وسمع الاثنان صوت زيوس يناديهما:

- دعوا الفتاة تختار من تريد..

وأطرقت إلى الأرض لحظة تفكر، تختار بطلاً أو إلهاً.. ثم رفعت بصرها ومدت يدها لإيداس وهى تقول:

- عندما تتقدم بى الأيام ستكون أنت عجوزاً مثلى، وسوف تكرمنى، ولكن أبوللو سيبقى دائماً شباباً، وفى شيخوختى سوف يهجرنى ويتخذ

لنفسه زوجة أخرى.

وبذلك اختارت البطل إيداس وفضّلت أن تتزوج منه، ولم يكن أمام أبوللو إلا أن يعود أدراجه بدونها.

ولأبوللو قصة أخرى مع ابنة بريام كاساندرا أو اسكندرا ابنة بريام ملك طروادة وأخت باريس، فقد غمرها بفضله وأعطاها القدرة على التنبؤ ليظفر بحبها، لكنها بعد أن تلقت هبته صدته عنها، وإذا لم يكن فى عرفه رد ما تفضل به من عطايا، قضى أبوللو أن تستحيل موهبتها إلى نقمة عليها، وقرر أن يفسد تلك الهبة، ويجعلها لا تستفيد منها، إذ وهبها هبة أخرى مضادة، فجعل الناس لا يصدقون ما تتنبأ به، فلما كاشفت أهلها بنبوءتها عن الخطر الذى سوف يحيق بطروادة لم يعرها أحد أذناً صاغية. وبعد هزيمة قومها أسرها أجاممنون وأخذها معه إلى بلاد اليونان، وقبل أن يدخل لزوجته تنبأت له بأن زوجته ستقتله، فلم يصدقها، ودخلت مع أجاممنون ليلقيا مصرعهما.

وقد تكرر ما حدث له من كاساندرا مع سبيل «كوبيلى» عرافة كوما، فقد حقق لها أمنيتها التى طلبتها وهى أن تعيش عدداً من السنوات بقدر ما تحمل قبضتها من حبات الرمل، فأجابها، وكانت تحمل ما يقرب من ألف حبة، فبذلك قُدّر لها أن تعيش قرابة ألف عام، لكنها نسيت أن تقرن طلبها الأول بطلب آخر بأن تظل شابة. ولما صدته عن فراشها فلم تظفر منه بهبة أخرى وهى الشباب الدائم، فعاشت عمراً طويلاً جدّاً، لكن دون شباب أو عافية، فطعنت فى السنين واستحالت مخلوقاً ضامراً وضع فى قارورة معلقة حتى ضاقت بالحياة وكانت تجيب الأطفال عندما يسألونها: ماذا تريدين ياكوبيلى؟ بقولها أريد الموت.

ولا نستطيع أن نقول إن أبوللو كان نموذجاً للفشل، لكنه كان كثير

الغراميات تزوج أبوللو بحورية الماء «كليمينا» فأنجب منها عدداً كبيراً من الأطفال أشهرهم: فايتون، لكن زميلاً لفايتون سخر من قوله إنه ابن أبوللو، فذهب لأبيه يطلب منه أن يثبت له ذلك، فاعترف أبوللو بأنه ابنه.

وأقسم أبوللو بالبحيرة الرهيبة أن يحقق له ما يريد، فطلب فايتون أن يسمح له بقيادة عجلة الشمس الحربية، فندم الأب على وعده، الذى لا يستطيع أن يحنث به وطلب منه أن يسحبه، فهذا الطلب فوق طاقة البشر، فلا يستطيع أحد سواه أن يقود عربة النهار الملتهبة، وفقد ابنه.

وقصة أخرى، فقد كان شديد الحب لشاب يدعى هياكنثوس أو ياسنت.. فكان يصاحبه كلما خرج للتسلية واللهو، وفى يوم كانا يتسليان بلعبة قذف الأقراص، فرمى أبوللو القرص بقوة وبراعة فمرق بعيداً، وأخذت هيباكنثوس «ياسنت» نشوة اللعبة وجرى إلى الأمام كى يمسك القرص لتلهفه على أن يقوم برميه، وإذا بالقرص يرتد من الأرض ويصيبه فى جبهته، وشحب وجه الإله، واستخدم كل فنه كى يقطع النزيف ويحفظ عليه حياته، ولكن دون جدوى.

- ليتنى أستطيع أن أموت عنك، ولكن مادام هذا غير مستطاع، فستحيا معى فى الذاكرة والنغم، فقيثارتى ستحتفل بك، وأغنيتى ستتحدث عن مصيرك، وأنت ستصبح زهرة منقوشاً عليها ندمى.

وهنا كف الدم الذى تساقط على الأرض وخصب العشب وبرزت مكانه زهرة ذات لون أجمل من القرمز الصورى، شبيهة بالزئبق، وتحول إلى زهرة أرجوانية اللون، ووسم أوراق التويج بطابع حزنه، ونقش عليه «آه، آه» التى تعبر بالأغريقية عن الألم وتحمل هذه الزهرة اسم الياسنت، ومع عودة كل ربيع تتجدد ذكرى مصيره.

«ويقال إن زفيروس: الرياح الغربية التى كان هو الآخر متيماً بهيماكنثوس ومغتاظاً لإيثاره أبوللو عليه هو الذى أخرج القرص عن مجراه».

وهناك من ساقه الغرور فتحدى أبوللو، ذلكم ميداس، ملك فريجية، وكان ميداس يعشق «بان» إله الحقول، وفى مناسبة دفعه حماسه لبان أن يقارن موسيقاه بموسيقى أبوللو، بل ويتحداه، ويدعوه إلى مباراة فى المهارة، فقبل أبوللو التحدى، وتم اختيار تمولس إله الجبل للتحكيم وعزف بان على مزماره نغمة ريفية جافة ملأت تمولس نشوة عارمة، ثم نهض أبوللو وعلى جبينه إكليل من غار جبل برناسوس، ويتدلى على الأرض رداؤه المصنوع من أرجون مدينة صور، وبدأ يوقع عزفه على قيثارته، فأخذت تمولس روعة الإيقاع وملكت عليه لبه، وفى الحال أعلن فوز أبوللو ووافق الجميع ماعدا ميداس، فقد اعترض، وشكك فى عدالة التحكيم.

غضب أبوللو، ولم يطق أن يظل هذا الزوج من الآذان الفاسدة صورة بشرية فأمر بها، فازداد طولها، وغزر شعرها من داخلها وخارجها، وأصبحت متحركة تدور حول منابتها، مثل آذان الحمير. كدرت هذه البلية صفو الملك ميداس، وحاول أن يتغلب عليها باستخدام عمامة ضخمة، ولم يطلع على سره سوى الحلاق، الذى تعَّهد ألا يذكره، وهدده ميداس بأقسى العقوبات. لكن الحلاق لم يطق أن يكتم السر، فخرج إلى المراعى وحفر حفرة فى الأرض ثم مال عليها وهمس إليها بقصته، وهال عليها التراب، ولم يمض وقت طويل حتى أشرأبت مجموعة كثيفة من أعواد البوص وسط المراعى، وعندما استكملت نموها راحت تتهامس بالقصة، واستمرت تفعل هكذا منذ ذلك اليوم حتى الآن كلما هب نسيم فوقها:

- آذان الملك طويلة.. أذان الملك طويلة..

- أبنا أبوللو:

لم تنجب أرتيميس لأنها ظلت عذراء دون زواج، بينما أنجب أبوللو أكثر من ابن لأنه تزوج عدة مرات، ومن هؤلاء: أورفيوس الذى أنجبه من إلهة الموسيقى كليوبا «كاليوبى»، وقد علّمه أبوه العزف فأتقنه ووصل سحر موسيقاه إلى التأثير على البشر والحيوانات والوحوش والأشجار والصخور، وتزوّج أورفيوس يوريديكا «أوريديكى» وبعد زواجها بقليل كانت تتجول مع الحوريات فرآها الراعى أرستاوس «وهو ابن أبوللو من الحورية كيرينا أى أخو زوجها» فافتتن بجمالها وراح يتودد إليها، فلاذت بأذيال الفرار وبينما هى تعدو وطأت حية بين الحشائش فنهشتها فى قدمها فماتت، وهنا حزن أورفيوس وعقد العزم على النزول إلى العالم السفلى وبدأ يعزف أنغامه الشجية التى أثرت فى كل سكان العالم السفلى، وهنا وافق بلوتو أن يردها له شريطة ألا يلتفت لينظر إليها حتى يصل بها إلى الفضاء الأعلى وإلا يفقدها ويعود وحده، وانطلقا معاً وسط الظلمة والصمت وحين اقتربا من سطح الأرض أخذ القلق يساور أورفيوس مخافة أن يكون الإعياء قد بلغ من زوجته مبلغه، أو تكون قد تخلّفت عنه، وفى لحظة نسيان نظر خلفه ليستوثق من أنها لا زالت تتبعه، فإذا بيوريديكا التعسة تعود لساعتها إلى الأعماق وهى تمد ذراعيها نحوه عبثاً محاولة أن تدفعه إلى الإمساك بها أو تتعلق به، لكنها لا تمسك إلا الفراغ، وتموت للمرة الثانية دون أن تلفظ شكاة.

ويمزق الحزن فؤاد أورفيوس، ويحاول أن يعبر ثانيةً نهر ستيكس، غير أن محاولته ذهبت هباءً، فبقى مطروحاً على شاطئ النهر سبعة أيام لا يذوق طعاماً أو شراباً، يقتات من الحزن والقلق والدموع.

وظل حزيناً وصدف عن حب النساء حتى استشاطت الفتيات اللاتى

كن يتشوقن للزواج منه غضباً لتجاهله إياهن، وحاولت عذارى تراقيا أن يستحوذن على لبه، لكنه تمادى فى صدهن، هنا قمن بقتله وألقت النساء رأسه وقيثارته فى نهر هبروس وهنا عاد للعالم السفلى ليلتقى بزوجته بينما وضع زيوس قيثارته بين النجوم.

رأى أبوللو كيرينا حفيدة نهر بنيوس فوقع فى غرامها عندما رأى شجاعتها فى الصيد والطراد على جبل بيليون حيث كانت تصارع أسداً بيديها دون سلاح فتزوجها وأنجب منها ابناً اسمه أريستايوس، وحملها إلى مكان بأفريقيا سمى باسمها وهو تفسير أسطورى لتأسيس مستعمرة كيرينا أو سيرينا وهى برقة فى ليبيا.

وكان أرستاوس أول من علّم تربية النحل، لكن نحله هلك، فلجأ إلى أمه يلتمس معونتها، فأخذته إلى حكيم يدعى بروتيوس لكنه لا يجيب عما يعرفه إلا قسرا، وانتظر أرستاوس حتى نام وقيده بالأغلال، وهنا أخبره الحكيم أن ما حدث له جزاءً وفاقاً على عمله الذى أدى إلى وفاة يوريديكا «زوجة أورفيوس» لأنها عند فرارها منه وطأتها حية فماتت من لدغتها وللأخذ بثأر موتها أرسلت الحوريات رفيقاتها هذا الوباء للقضاء على نحلك، لذا فعليك أن تسكن غضبهم بتقديم قرابين لهم وتقديم شعائر التكريم الجنائزى لأورفيوس ويوريديكا.

أحب أبوللو كورنيس ابنة فليجياس، لكن غرابه الأبيض أخبره بأنها خانته مع رجل من البشر، فما كان منه إلا أن رماها بسهمه القاتل، ثم اكتشف أنها كانت بريئة، فعاقب الغراب ذا الريش الأبيض بتحويله إلى غراب أسود هو الذى يظهر لنا حتى الآن.

وهُرع إلى زوجته التى يحبها حبّاً شديداً، لكنه تيقن أنه لن يستطيع إعادة الحياة إليها، فأنقذ حياة ابنها إسكلبيوس من رحمها وأسلمه إلى خيرون القنطور الحكيم، وتحت وصايته العلمية البارعة سرعان ماحذق أسرار العشب وفن الطب حتى بلغ أن يعيد الحياة إلى الموتى.

وكان أن استخدم فنه فى إحياء هيبوليت الذى أحبته فيدرا زوجة أبيه فرفض عشقها، فأخبرت أباه أنه حاول إغواءها، فغضب الأب ودعا عليه، فسقط بعربته من فوق الصخور، وهنا قام اسكلبيوس بعلاجه، واستطاع بعقاقيره أن يعيد إليه الحياة، برغم اعتراض هاديس رب العالم السفلى مما أثار زيوس فأرسل صواعقه للقضاء عليه حتى يوقف إحياءه للموتى وإخراجهم من مملكة بلوتو.

واستشاط أبوللو غيظاً لموت ابنه، وأنفذ سهامه فى العمالقة الكيكلوبيس «الكوكلوب» الذين صنعوا الصاعقة، وهنا طُرد أبوللو من الأولمب ونُفى من السماء إلى الأرض، وحُكِم عليه أن يصبح عبداً لأحد البشر لمدة عام. نزل أبوللو وخدم أدميتوس ملك تساليا، فتكاثرت ماشيته وازداد غنى، فتوجه أدميتوس بالشكر لعبده الغامض، وكان يجهل حقيقته.

كان أدميتس سيداً طيباً أحسن معاملة أبوللو، الذى رد له عطفه بأن جعل قطعانه تنمو وتتزايد، حتى لم يعد لها مثيل فى البلاد ولم يسبق أن حظى أدميتس بمثل هذا الراعى المخلص ففضله فى المعاملة على غيره من الخدم، واعترف بفضله، وقد سر أبوللو بهذا الاعتراف بالجميل. وبعد أن انقضى العام أخبر أبوللو سيده بحقيقة أمره، وأخبره أنه إن وقع يوماً فى شدة، وطلب نجدته فسوف يهب لمساعدته.

وأراد أدميتس أن يتزوج ألستيس ابنة الملك بيلياس، فأجابه الملك أن الفوز بابنته لا يمكن أن يكون بهذه البساطة، وأن على من يريد الزواج منها أن يأتى طالباً يدها فى عربة يجرها أسد وخنزير برى.

كان أدميتس بطلاً شجاعاً وصياداً ماهراً، لكن ماذا تفيده شجاعته مع هذا المطلب؟ وهنا تذكر أن أبوللو وعده أن يساعده فى وقت الشدة، وحضر أبوللو حيث ذهب معه إلى الغابة وطارد أسداً وأمسك به وشدد قبضته عليه، ثم طارد خنزيراً بريّاً وهو ممسك بالأسد، وبعد أن اصطاده أمسك به من أذنه وسحبه، وهكذا أمسك الأسد بإحدى يديه والخنزير باليد الأخرى، ونظر كل وحش منهما فى غضب يحاول الهجوم عليه، ولكن أبوللو قبض عليهما بقوة، وخرج بهما من الغابة ثم شدهما إلى عربة فخمة وكانت معه حربة استخدمها لوخزهما كلما هم أحدهما بأن يؤذى الآخر، حتى صار فى النهاية أليفين وأطاعا العنان وأسلسا قيادهما، إلا أن أدميتس لم يستطع رغم ذلك أن يسلس قيادهما، فقادهما أبوللو بنفسه، وهكذا وصل أدميتس إلى قصر الملك فى مركبة يقودها أبوللو وتجرها الحيوانات التى أرادها الملك، وطلب ابنة الملك زوجة له، ولم يعد فى مقدور الملك أن يرفض بعد ذلك. وبعد أن وافق الملك أن يعطى الجميلة الستيس زوجة لأدميتس، عاد أبوللو فى المركبة إلى الغابة وأطلق الوحشين.

لم يمض وقت طويل حتى أقيمت حفلة الزواج فى القصر الملكى، وكان حفلاً بالغ الرونق والبهاء، وكان أبوللو بالطبع أحد ضيوفه، وكانت هديته لهما بهذه المناسبة وعداً من إلهة القدر، يقضى بأنه إذا مرض أدميتس وأشرف على الموت، وتطوع واحد من أقرب الناس إليه أن يموت بدلاً منه، فسوف يُقبل ذلك بديلاً عن موت أدميتس الذى تعود إليه صحته ثانية.

أحب أدميتس وألستيس كل منهما الآخر حبّاً جمّاً، وعاشا سعيدين لسنوات كثيرة، إلا أنه بعد وقت أصيب أدميتس بمرض عضال واعتقد الجميع أن موته أمر محتوم إلا إذا أُنقذت حياته على النحو الذى وعد به أبوللو.

وقال الناس إن أباه وأمه قد هرما ولا يأملان أن يعيشا كثيراً على أى حال، ومن ثم فإنهما على استعداد للموت بدلاً منه، ولكن حب الأبوين للحياة كان يفوق حبهما لأدميتس، فلم يقبلا فكرة الموت. ومن ثم دخلت الجميلة ألستيس إلى حجرتها وتوسلت إلى الآلهة أن تسمح بتقديم حياتها فداءً لزوجها، ورقدت فى مخدعها وماتت، وفى اللحظة ذاتها استرد أدميتس صحته واستطاع أن يقف وأن يمشى، لم يصدق أدميتس نفسه، ولم يعلم كيف عادت إليه العافية بهذه السرعة، وهرع إلى حجرة حبيبته ليبشرها بشفائه، ولم يكد يدخل حجرتها حتى رآها ترقد فى مخدعها وقد فارقت الحياة، وهنا أدرك كيف تم شفاؤه. وكم حزن وتمنى لو مات هو بدلاً منها.

انتشرت فى القصر صيحات الحزن، إذ كان كل من فيه يحب ألستيس لأنها كانت تحسن معاملتهم وتعطف عليهم، ولم يطق أدميتس أن يفارق مخدعها، بل جلس بجوارها ممسكاً بيدها الباردة وقد بلّلها بدموعه. وحل المساء وأشرق الفجر مرة أخرى ولكن أدميتس لم يحفل به.

وأخيراً أصدر أمره بتهيئة احتفال فاخر لدفن الفقيدة خير النساء، وأمر أهالى المدينة ببكائها ثمانية أشهر على التوالى، فخيّم الحزن على المدينة، ولبس الناس الحداد فقد كانت الملكة محبة للخير محبوبة من كل قلب.

وبينما كان هرقل عائداً بسفينته بعد أن حقق مأثرته الثامنة وعاد بأفراد ديوميد رأى أن يزور صديقه أدميتس، ولم يدر هرقل أن الوقت غير مناسب

بالمرة، فقد حضر هرقل لزيارته وقد تهيأ القوم لحمل جثمان زوجته التى ماتت بدلاً منه إلى مقره الأخير، ويمضى هرقل ليلتقى بصديقه عند بوابة القصر فيحتفى به أدميتس أصدق احتفاء، ويحاول أن يكظم شجونه أمامه كى لا يُدخل إلى فؤاده الحزن.

فطن هرقل إلى حزن صديقه، فسأله، فأجابه بأن واحدة من نسيباته قد ماتت وأنه سيمضى لدفنها، ويأمر أدميتس خدمه بأن يمضوا بهرقل إلى غرفة الضيوف ويقدموا له وليمة فاخرة وأن يوصدوا أبواب الجناح النسائى فى القصر لكى لا يصل إلى مسامعه الندب والعويل.. ويمضى هرقل إلى شرابه ولهوه، يكرع كؤوس الشراب واحدة تلو الأخرى غير مدرك بما حل بصديقه، والخدم قائمون على خدمته وقد ساءتهم إقامة مجلس اللهو والأفراح لهذا الضيف وسيدتهم قد فارقت الحياة منذ قليل. ويلحظ هرقل ما يعلو وجوههم من أسى وحزن، رغم محاولاتهم أن يظهروا غير ذلك تنفيذاً لوصية سيدهم، فيدعوا هرقل أحدهم ليشاركه لهوه، لكن الخادم يرفض دعوته، فيحس هرقل إذ ذاك بأن كارثة عظمى قد دهمت بيت صديقه، فيلح على الخادم أن يفيده بالجواب اليقين.. ويخبره الخادم بالحقيقة، وهنا يخجل هرقل من نفسه، لأنه كان يلهو ويرفع عقيرته بالغناء فى بيت صديقه وهو يعيش فى مصيبته، ويقرر أن يشكر صديقه الكريم النفس الذى أكرم مقدمه بالرغم من فجيعته وينطلق بسرعة حيث قبر الكستيس، وينتظر هناك نزول إله الموت تانات إلى القبر ليرتوى من دم الضحايا، وينقض هرقل عليه ويمسكه بيديه الحديديتين وتحتدم بينهما معركة ضارية يبذل كل منهما ما لديه من عزيمة وصبر لينتصر على غريمه، واستطاع البطل المجيد أن يطيح بإله الموت ويوثق يديه. وطالبه أن يفتدى نفسه بإعادة الكستيس إلى الحياة فامتثل

تانات للأمر، وهكذا عاد هرقل بزوجة صديقه أدميتس إلى قصر زوجها.

ولا يصدق أدميتس نفسه من الفرحة ولكن كان عليه أن ينتظر ثلاثة أيام بلياليها حتى ينطلق لسانها بالكلام، وتتخلص من سلطان العالم الثالث، وعمت الأفراح المدينة. وخرجوا جميعاً على رأسهم ملكهم يودعون هرقل العظيم.

وشاركهم الفرحة بالطبع أبوللو، الذى لا ينسى أنه عاش فى خدمة هذا السيد عاماً كاملاً، أحسن معاملته، وقد عاد أبوللو بعد أن قضى مدة عقوبته إلى الأوليمبوس، وأخذ يستعطف زيوس ليرفع إسكلبييوس من جديد إلى مصاف الآلهة، وقبل زيوس، وأصبح إلهاً للطب ومن أشهر الحيوانات المرتبطة بإسكليبيوس الثعبان الملتف حول القائم الذى غدا رمزاً لمهنة الطب حتى يومنا هذا.

أما كليتيا إحدى حوريات الماء فعشقت أبوللو، فلم يستجب لغرامها، فنحل جسمها، وظلت تسعة أيام لا تذوق طعاماً ولا شراباً، تظل طول النهار تتفرس فى الشمس حين شروقها وخلال دورتها اليومية حتى مغيبها ولم تكن ترى شيئاً آخر سواها، إذ كانت تستقبلها دائماً بوجهها، فانغرست أطرافها فى الأرض، وأصبح وجهها زهرة تدور على ساقها كى تواجه الشمس دائماً خلال دورها اليومية وسماها الناس زهرة عباد الشمس.

- ديانا «أرتيميس»:

لم تنجب أرتيميس لأنها ظلت عذراء دون زواج، ويقال فى كراهيتها للزواج إنها ولدت قبل أخيها أبوللو بلحظات. فشهدت ما تحمّلته لاتونا كأم من آلام فكرهت الزواج كرهاً شديداً فطلبت من زيوس أن يأذن لها أن تحافظ على بكارتها أبد الآباد أسوة بمنيرفا أختها من الأب. اختارت أرتيميس الأحراش مملكة لها واختارت الصيد حرفة، وظلت أرتيميس عذراء لم تتزوج، فقد

كان كل مرادها أن تقيم فى الغابة مع وصيفاتها، وكانت رقيقة مع الحيوانات الأليفة وكان أحب الحيوانات إليها إناث الغزال الجميلة فكانت تعاقب كل من يقتلها.

وترتبط أرتيميس بقصة أكتايون.. الذى كان يحب الصيد أكثر من أى شىء آخر، وكان أغلب أوقاته فى الغابة، وكان يجل أرتيمس إلهة الصيد أكثر من باقى الآلهة، وكان لديه خمسون من كلاب الصيد الممتازة تحبه حبّاً شديداً، وهو يدللها ويحادثها كما لو كانت تفهمه، فكانت تخرج معه إلى الصيد لمطاردة الحيوانات المتوحشة ليصرعها بسهامه.

وفى وقت اشتد فيه الحر، ترك كلابه تستريح، ومضى يتجول بين الشجيرات المنعشة يبحث عن ينبوع ماء ليطفئ ظمأه، فوصل لمسامعه طرطشة الماء حيث كانت آلهة الصيد أرتيمس «ديانا» تستحم هى وحورياتها، اقترب اكتيون وهو لا يدرى، وأزاح الأغصان فشاهد الملكة العظيمة وحورياتها يسبحن فى الماء، فلم يستطع أن حول بصره عنهن، فلما رفعت أرتيميس بصرها ورأت الصياد الذى نسى نفسه ملأها الغضب لأنه تجاسر بالنظر إليها فرفعت يدها الجميلة وفى الحال تحول أكتايون إلى وعل بأرجل نحيلة طويلة وقرون متشعبة.

لكنه كان لا يزال يفكر كإنسان فارتجف وانطلق يجرى حيث ترك كلابه، فلم تتعرف عليه وراحت تطارده، فراح يناديها لكن الصوت صوت غزال، فأطبقت عليه كلابه ومزقته إرباً، ثم مضت الكلاب تجوب الغابة تبحث عن سيدها، وبدأت تعتل لعزوفها عن الطعام وفشلها فى العثور على سيدها، وأشفق عليها مثال ماهر، فصنع تمثالاً من الطين شبيهاً بأكتايون حتى ظنته الكلاب سيدها، واستراحت.

وإن كان اكتايون قد تعرض لنقمة ارتيمس بدون قصد منه، فثمة آخران تعمدا التطاول عليها.. وهما أوتس وأفيالتس ابنا بوزيدون، كانا يكبران فى العام الواحد ياردتين طولاً وياردة عرضاً، لكنهما كانا غبيين فقررا أن يتسلقا جبل أوليمبس وأن يوثقا الآلهة بالسلاسل كما قررا أن يتزوّج أولهما هيرا ملكة الآلهة وأن يتزوّج الثانى العذراء أرتيميس، فخرج إله الحرب لقتالهما لكنهما قيداه بطوقين من الحديد حول جسده، لكن هيرميس أوسع الآلهة دهاء تسلل وفك قيوده.

واصل العملاقان أسلوبهما القديم فى الاستخفاف بالآلهة وهنا حوّلت أرتيميس نفسها إلى غزالة بيضاء، واقتربت منهما ومرقت بينهما تماماً فرفع كل منهما حربته فى نفس اللحظة وألقاها عليها، إلا أنها مرقت كالسهم فلم يصيباها، بل اندفعت حربة كل منهما إلى صدر أخيه فقتل الاثنان نفسيهما.

لكن ديانا وقعت فى الحب مرة وحيدة، ولم تظفر بحبيبها، فالمرة الوحيدة التى أحبت فيها أحبت نائماً، هو اندميون الذى طلب أن ينام نوماً أبديّاً ويحلم أحلاماً لذيذة فنام فى غار بتل لاتموس فى كاريا، فبقى شابّاً لا يعرف متاعب الشيخوخة أو الموت، وهناك تأتى «ديانا القمر» كل يوم لتزوره.

6 - داناى «أم بيرسيوس» مملكة الأرجوس

كان أكرزيوس يحكم الأرجوس، وكانت له ابنة وحيدة تدعى داناى، غاية فى الحسن والجمال، لكن النبوءة قالت: إنها سوف تنجب ابناً سيلقى أكرزيوس حتفه على يديه. فزع أكرزيوس أشد الفزع لذلك، فأعد حجرة فسيحة من النحاس لداناى تعيش فيها تحت الأرض، وتجد فيها كل ما تريد، ولكنه لم يسمح لها أن ترى ضوء النهار أو ترى البشر. وبذلك اطمأن أنه حال بينها وبين الزواج خلسة أو إنجاب طفل.

لكن زيوس ملك الآلهة أحب داناى، فحوّل نفسه إلى رذاذ من المطر الذهبى الجميل تساقطت قطراته على سطح الحجرة النحاسية، وبذلك تزوّجها وأنجب منها ابنه بيرسيوس، ولم يبق الصغير طويلاً مع أمه تحت الأرض، فقد بلغ مسامع أكرزيوس صوت الصبى وضحكه، وهنا اغتاظ أكرزيوس غيظاً شديداً، فوضعها هى والطفل فى صندوق خشبى وألقى به فى البحر، ووصل الصندوق لجزيرة فأخذهما صياد فوق جزيرة سيريف كان يصيد السمك فوق شاطئ البحر، ودهش الصياد لرؤية المرأة الراقدة فى الصندوق تضم طفلاً ساحر المحيا، فحملها إلى أخيه بوليديكتيس، ملك سيريف.

نشأ بيرسيوس فى قصر بوليديكتيس، وأصبح شاباً قوياً جميل القوام، فلم يكن هناك من يضارعه فى الجمال أو القوة. بينما ظن أكرزيوس أن داناى وابنها هلكا فى البحر.

كان ملك الجزيرة يرغب أن تكون داناى زوجة له، لكنها كانت تمقته لفظاظته وظلمه، ولم يستطع الملك أن يرغمها على الزواج به لوجود ابنها ففكر فى حيلة يبعد بها ابنها، وبدأ الملك تنفيذ حيلته. فدعا أصدقاءه ومن

بينهم بيرسيوس، وأخبرهم أنه ذاهب ليتقدم لعروسه وأنه يرغب أن يُحضر كل منهم هدية يقدمها لأبيها، وكانت العادة فى تلك الأيام تحتم على من يريد أن يظفر بعروس أن يقدم لأبيها الهدايا، فطلب من أصدقائه جياداً أصيلة، بينما طلب من بيرسيوس هدية يتطلب الحصول عليها رحلة شاقة وخطرة إلى بلاد بعيدة.

كانت تعيش فى نهاية الأرض الجرجون ميدوزا، التى من ينظر إليها يتحول فى لحظة إلى صخر، فطلب الملك منه أن يأتيه برأسها، وكان يأمل أن يكون فى هذه المحاولة هلاكه. وقال له الملك:

- إذا كنت ابن زيوس حقّاً، فأنت جديرٌ بهذه المأثرة المجيدة..

لم يخالج بيرسيوس أى خوف، بل ردَّ عليه بكبرياء وشمم:

- حسناً، سآتيك بما طلبت.

وفى الحال انطلق البطل يطلب رأس الجرجون، وكان عليه أن يحصل على ثلاثة أشياء ثمينة، بدونها يستحيل عليه أن يحاول الوصول إلى ما يريد، هذه الأشياء هى جراب يضع فيه رأس ميدوزا بعد أن يقطعها، وثانيهما خفٌّ يستطيع من يضع فى أقدامه أن يطير فى الهواء، وثالثها خوذة بلوتو التى تجعل كل من يضعها على رأسه خفيّاً عن الأعين. وهذه تملكها ثلاث من الحوريات لكن المشكلة أن لا أحد يعلم مكانهن سوى ثلاث عجائز يرفضن أن يَبُحْنَ بمكانهن، وقرر بيرسيوس أن يجبر العجائز على إخباره.

كانت العجائز تعيش بعيداً عن العمران، وقد كساهن الشيب منذ ولادتهن، ولهن عين واحدة وسنة واحدة يستخدمنهما فيما بينهن بالتناوب. ذهب بيرسيوس إلى المغارة التى يعشن فيها وراقبهن إلى أن رأى إحداهن تخلع العين والسنة لتعطيهما لأختها، فخطفهما من يدها، وقال إنه لن يردهما إلا

إذا أخبرنه عن مكان الحوريات، فاضطررن أن يجبنه إلى طلبه، وعندئذ رد إليهن العين والسنة، وتابع رحلته إلى الحوريات اللاتى عطفن عليه وأعطينه الأشياء الثلاثة.

ولأن الآلهة أحبت بيرسيوس لشجاعته، فقد حضر هيرميس إلى الأرض، وأعطاه منجلاً من الصلب القاطع ليقطع به رأس الجرجون ميدوزا.

وضع بيرسيوس الخف فى قدميه، فطار به إلى المحيط الممتد الذى يجرى حول العالم، فقد كانت هناك وسط المحيط جزيرة تغطيها الحشائش الكثيفة وتملؤها الثعابين، حيث كانت الجورجون تعيش فى كهف، يغطى جسد كل منها درع لامع من الحراشيف القاسية كالفولاذ، وكانت لها أذرع نحاسية مهولة تنتهى بمخالب فولاذية حادة، ولها أجنحة ذهبية، وينمو على رؤوسها بدلاً من الشعر ثعابين حية ترسل فحيحاً مروِّعاً، وكان كل من ينظر إليهن يتحول إلى صخر. وكانت الجرجونات تنطلق مسرعة فى الفضاء محمولة على أجنحتها الذهبية البراقة، والويل لمن كانت تفاجئه فى طريقها، لقد كانت تُمزق جسده بأذرعها النحاسية وتمتص دماءه الحارة.

كانت ميدوزا هى البشرية الوحيدة بين أخواتها الجرجونات، فهى الوحيدة التى ينالها الموت، فلا يمكن قتل سواها، فلو حاول أن يقتل غيرها ما أثّر فيها، وسوف ينتبهن وهنا لا يمكنه أن يفعل شيئاً.

رفع بيرسيوس درعه اللامع أمام وجهه كمرآة، لأنه لو نظر إليهن مباشرةً لتحول إلى صخر، لكنه فى المرآة استطاع أن يبصرهن دون أن يصيبه أذى، وكن مستلقيات فى صف واحد، وقد استندت كل منهن على الأخرى. وكانت ميدوزا أقل منهن حجماً، وبذا أمكنه التعرف عليها، كانت تسند رأسها على حَجر، فرفع بيرسيوس المرآة أمامها وضرب رقبتها بمنجلة حتى سقطت

الرأس فأخذها ووضعها فى الكيس دون أن ينظر إليها، وفر عائداً، ولكن جسدها لم يزل ينتفض، مما أيقظ الجورجونز فرأينها واندفعن خارج المغارة فى إثر بيرسيوس، علهن يمسكنه ويمزقنه إرباً بمخالبهن الحديدية، فطرن فى الهواء يبحثن عنه، وكانت لهن عيون حادة تستطيع الرؤية إلى مسافة بعيدة، إلا أنهن لم يعثرن على بيرسيوس الذى لبس قبعة الخفاء الخاصة ببلوتو فجعلته خافياً عن الأعين فاختفى عن أنظار أختيها «ستينا ويوريبالا»، ولم يجدن بدّاً من العودة بدونه، بينما واصل بيرسيوس طريقه عائداً بالرأس فى جرابه.

وكان أكرزيوس قد ترك مملكته عندما علم بعودة ابنته وحفيده خوفاً من تحقيق النبوءة، وذهب ليشاهد الاحتفالات ظنّاً منه أنه سيكون بمأمن من حفيده، لكنه كان يشارك فى الألعاب الرياضية ولما أمسك بالقرص انزلق من يده وطار فى اتجاه جانبى فأصاب العجوز فى رأسه وقتله، فحزن حزناً شديداً عندما علم أنه جده، ودفن جثمانه فى احتفال مهيب، وهنا أصبحت أرجوس من نصيبه، لكنه كره أن يقيم فيها بعد أن قتل جده، فتبادل مملكته مع ملك كان يحكم مدن ميينا وتيرنس.

وقد تزوج ثيسيوس فيدرا ابنة مينوس وأخت أوريان زوجته الأولى، وكانت صغيرة فى السن فوقعت فى غرام ابنه هيبوليت وانتحرت بعد أن تسبب فى مقتل هيبوليت.

ويقوم هو وصديقه باختطاف أجمل بنات الأرض هيلانة، ويقترعان على من تكون هى من نصيبه، بشرط أن من يفوز بها يساعد الآخر على أن تكون له امرأة لا تقل جمالاً عنها، فأصبحت من نصيب ثيسيوس، فأخذها إلى أمه أيثرا ورجاها أن ترعاها حتى يعود إليها، ومضى مع صديقه إلى العالم السفلى ليخطفا برسيفونى زوجة بلوتو وملكة العالم السفلى، وهناك قررا أن يستريحا فجلسا على حجر لكنهما عندما حاولا الوقوف وجدا أنهما قد

التصقا بالحجر ولم يستطيعا الحركة.

وبقى سجينين فى العالم السفلى، بينما خرج كاستور وبولكس شقيقا هيلانة فى البحث عنها، فلما وجداها فى ترويزن مع أيثرا أخذاها وأخذا أيثرا معها.

وقد ظل ثيسيوس سجيناً هو وصديقه حتى نزل هرقل ليأخذ الكلب ذى الرءوس الثلاثة، فشد ثيسيوس شدة قوية جبارة واستطاع أن يقف، بينما لم يستطع بيرثياوس أن ينهض وقدر له أن يبقى جالساً إلى الأبد لكنه تجرأ وفكر فى الزواج من ملكة العالم السفلى.

وقد حضر إلى أثينا بعد غياب عدة سنوات بعد أن شاب شعره وتغير مظهره، كما ذكرنا فوجد الشعب منصرفاً عنه لأنه يتركهم ويقضى وقته فى المغامرات، فاستاء ثيسيوس واتجه إلى جزيرة سكيروس التى يحكمها الملك ليكوميديز الذى تظاهر بالترحيب به، وإن لم يخل من قلق، إذ خشى أن يسلبه ثيسيوس حكم جزيرته، فتظاهر بالترحيب به، ودعاه أن يذهب معه إلى جبل يستطيع من فوقه أن يرى البلاد كلها، وتسلق الاثنان الجبل، وكان أحد جانبيه شديد الانحدار، ثم دفعه لاكوميدس فسقط من هذا العلو الشاهق ومات البطل الشجاع بيد جبانة، وقد دفنت جثته عند سفح المنحدر بتلك الجزيرة، وهكذا مات البطل الشجاع، ولم يهنأ بالفتاة الجميلة التى خطفها، واستردها أخوها وحملا معهم أم البطل، بل لم يخلص البطل أمه التى ظلت وصيفة للجميلة وصاحبتها إلى طروادة مع باريس.

وكذلك مات ابنه العظيم هيبوليت ضحية استهزائة بأفروديت عندما جعلت زوجة أبيه فيدرا تعشقه، ولم يبق من البطل العظيم سوى ابنه من فيدرا.. ديموفون.. الذى قدر له أن يشترك فى حرب طروادة ويقابل جدته هناك.

7 - منيرفا أو أثينا بالاس:

نظر زيوس إلى ميتيس آلهة الحذر، لتحلو فى عينيه، ودفعته شهوته الطاغية إلى مخدعها فحملت منه، وحين عاد إلى رشده ساوره الخوف من أن تنجب طفلاً يرث حكمة أبيه كرونوس وأمه جيا، فالتهم ميتيس بما فى بطنها من جنين، وابتسم راضياً عن حكمته مهنئاً نفسه، فقفز الجنين من حلقه إلى أم رأسه، فأصابه بالصداع المزمن، حتى حل وقت اكتمال خلقته وأعضائه، فتضاعف صداعه فجأر بالصياح والشكوى، وهنا شق على ولده هيفايستوس «فولكان» أن يرى أباه معذَّباً مكدرَ النفس، فلم يجد بدّاً من أن يشج رأسه بمطرقة ليفتح بها ثغرة يتسرب منها الألم، وإذا بغادة جميلة تتخطر خارجة من رأس أبيها بعد أن استحوذت على كل ما بها من حكمة وسميت أثينا «وعند الرومان تسمى منيرفا». وقد خرجت أثينا من دماغ أبيها مدججة بالسلاح.

أرادت أن تخلع اسمها على عاصمة أثينا، فتصدى لها «بوزيدون» إله البحار «نبتون عند الرومان»، وأصر أن يكون هو صاحب هذا الشرف. واحتدم بينهما الخلاف، فانعقد مجلس الآلهة ليفضّ الخصومة المضطرمة وأصدر قراره بأن يأتى كل منهما عملاً خارقاً يكتسب به الفوز فى هذا الصراع أو بمعنى آخر من يقدم أفيد شىء للمدينة يطلق اسمه عليها.

ضرب بوزيدون البحر بشوكته الهائلة، فانشق موجه العاتى عن جواد مفتول العضل مرفوع الهامة شامخ العنق يعدو كالإعصار. وابتسمت أثينا الحكيمة فى هدوء، ولمست الأرض بخفة فانطلقت منها نبتتان رقيقتان مازالتا تنموان حتى غدتا شجرتى زيتون مستويتين مورقتين مثمرتين. وابتسم

أعضاء مجلس الآلهة وأصدروا حكمهم لصالح أثينا لأن شجرة الزيتون ترمز للسلام، بينما يرمز الجواد للقوة والبطش. وهكذا فرضت أثينا نفوذها فى البلاد، وسميت المدينة باسمها، وأطلق الناس عليها أثينا بالاس أى العذراء القوية. وبالاس هذا كان شاباً حاول اغتصابها، فقهرته وسلخت جلده وجعلت منه إزاراً يحميها.

ومن القصص الشهيرة أيضاً المتعلقة بها هى قصة أراخنى، التى تحدَّت منيرفا فى التطريز، فلما انتصرت منيرفا عليها حوّلتها إلى عنكبوت.

***

8- أسطورة طيبة

طيبة الإغريقية المدينة ذات البوابات السبع. هذه المدينة هى كبرى مدن إقليم بيوتيا التى تبعد عن أثينا بسبعين كيلومتراً وتقع فى الشمال الغربى منها.

أسس الملك كادموس قلعتها المعروفة «كادميا» وأصبح سكانها يعرفون منذ ذلك الوقت بالكادميين.

ثم تغير اسم هذه القلعة ليصبح «ثيباى» وقد عرفها العرب باسم «طيبة» وطيبة هذه مسقط عدد هائل من الشخصيات الأسطورية مثل الإله ديونوسوس والبطل هيراكليس والعراف تيريسياس والملك امفيون وهى التى داعبت أساطيرها خيال كتاب التراجيديا الإغريقية: إيسخولوس وسوفوكليس ويوييبيديس.

لقد قاست طيبة من الحروب والأهوال لم تقاسه أى جارة من جيرانها .. أضف لما تعاقب على عرشها من ملوك أصبحوا فيما بعد شخصيات أسطورية مثل: كادموس ونيثيوس وبولودوس ولابداكوس ولايوس وأدويب وإتيوكليس ولامودا ماس وغيرهم.

كانت إيو امرأة من نساء البشر والدها النهر إناخوس، وهى كاهنة فى معبد زوجة كبير الآلهة زيوس الربّة هيرا الأروجوسية.

يونكس هى ابنة الإله يان من الأميرة ايخو التى أوقعت كبير الآلهة زيوس تحت تأثير سحرها وشعوذتها.

كبير الآلهة زيوس عشقها.. ولأول مرة فى تاريخ الكون أن يعشق إله امرأة من نساء البشر.

هذه المرأة يونكس كانت هى نفسها إيو امرأة من نساء البشر ووالدها

النهر إناخوس.

أحب زيوس إيو

هيرا زوجة زيوس شمت رائحة الخيانة فغضبت من يونكس فمسختها صورة طائر اللواء.

واجهت هيرا زوجها زيوس بشكوكها..

انكر زيوس علاقته بإيو. كذب كبير الآلهة زيوس على زوجته هيرا

هيرا طلبت من زوجها أن يقسم بأنه لم يلمس إيو.

أقسم كبير الآلهة وكان صادقاً فى قسمه.

زيوس كبير الآلهة يحرقه الشوق نحو إيو.. أراد الهروب من مراقبة زوجته هيرا..

لاحقته هيرا فى كل مكان..

لجأ كبير الآلهة زيوس إلى الخداع.. مسخ إيو فى صورة بقرة..

فاجأته هيرا مع البقرة إيو..

سألته عنها..

قال إنها بقرة هائمة.

ادعت هيرا السذاجة والغباء وجعلته يظن انها صدقته.. أبدت إعجابها بالبقرة.

قالت هيرا لزوجها زيوس:

أريد أن تقدم هذه البقرة هدية لى رفض كبير الآلهة زيوس ذلك.

ألحّت هيرا عليه..

أطرق زيوس كبير الآلهة رأسه وقال لنفسه:

- كيف أرفض طلبها وهى زوجتى الشرعية؟

قالت هيرا لنفسها:

كيف يرفض ان يهدينى بقرة هائمة؟

لم يجد زيوس وسيلة فترك البقرة بين يديها..

استولت هيرا على البقرة.. وكانت تعرف حقيقتها.. أنها إيو.

هيرا سلمت البقرة إلى المسخ أرجوس.. وضعتها تحت حراسته.. أمرته بتشديد المراقبة عليها، أمرته أن يذهب بالبقرة إلى أبعد منطقة نائية.. إلى منطقة نيميا.. أمرته أن يذهب بها سرّاً إلى هناك يربطها إلى ساق شجرة زيتون.. يربطها بحبل تستطيع من خلال طوله أن ترعى على الكلأ.

واختفت أيو..

بحث كبير الآلهة هنا وهناك فلم يجدها..

كبير الآلهة يعلم ما خفى من الأمور فيكتشف مكانها،

أرسل كبير الآلهة زيوس فى طلب تابعه هرميس اللص الماهر المحتال المخادع السريع العدو الذى لا يدركه أحد.

أمره كبير الآلهة زيوس أن يفك وثاق البقرة.

وبالرغم أن اللص الماهر هرميس يعرف أن المسخ أرجوس له عدد لا يحصى من العيون تنتشر فى أجزاء جسمه ويرى القادم من جميع الجهات وعيونه لا تنام.

لكنه ونزولاً تحت رغبة كبير الآلهة زيوس استعد للقاء المسخ أرجوس.

اقترب هرميس من المسخ أرجوس وأمسك بمزماره وظل يعزف ألحاناً ساحرة جعلت أرجوس يتمايل لليمين واليسار فقد سحرته أنغام مزمار هرميس.

نامت عيون أرجون.. وظل هرميس يعزف.. ويعزف تلك الألحان الشجيّة.

راح أرجوس فى سبات عميق.. لم يقدر على رؤية من حوله.

هرميس حمل صخرة ضخمة وأهوى بها على رأس المسخ أرجوس.. وهجم عليه وقطع رأسه عن جسده.

هرميس فك قيود البقرة إيو.. حررها

كبير الآلهة زيويس منحه لقب أرجيفونتيس.

حزنت هيرا على أرجوس حزناً عظيماً.. نثرت عيونه على ذيل الطاووس والناظر إلى ذيل الطاووس يتذكر عيون المسخ أرجوس الذى له عدد لا يحصى من العيون والتى تنتشر فى أجزاء جسمه.

غضبت هيرا من هرميس أنه رسول كبير الآلهة زيوس وابنه بنفس الوقت هو إله خالد لا يموت.

غضبت هيرا من زوجها كبير الآلهة زيوس إنه حاكم الآلهة والبشر وهو الآمر الناهى.

لم تستطع هيرا أن تفعل شيئاً لهرميس.

لم تستطع هيرا أن تفعل شيئاً نحو زوجها زيوس..

غضبت هيرا بحقد على البقرة إيو فسلطت عليها ذبابة شرسة.

ذبابة البقرة ظلت تلدغ بالبقرة إيو ليل نهار وتطاردها فى كل مكان.

البقرة إيو حاولت الخلاص من الذبابة ولكن دون جدوى لذا ظلت تعدو تسابق الريح.

تجولت إيو فى كل مكان فى العالم والذبابة لا تفارقها فقد ظلت تلدغها .. تلدغها ..

وصلت إيو إلى دودنا .. إلى البحر الأيونى.. اتجهت شمالاً حتى وصلت جبل هايموس والذبابة لا تزال تطاردها ..

عبرت إيو دلتا نهر الدانوب.. اتجهت غرباً حول البحر الأسود .. عبرت مضيق البسفور.. سارت بجوار نهر هوبريتيس وصلت إلى منبعه فى منطقة القوقاز حيث كان هنا التيتن بروميثيوس مقيداً .. والذبابة تطاردها.

عادت إيو إلى أوروبا عن طريق كولخيس والأراض الخالوبية ومضيق الدردنيل وتجولت عبر آسيا الصغرى إلى تارسوس إلى جوبا فى فلسطين ثم إلى ميديا وباكتريا ثم إلى الهند ومرت بالجزيرة العربية بعد تجوالها فى الاتجاه الجنوبى الغربى.

عبرت إيو مضيق باب المندب ووصلت إلى أثيوبيا ووصلت إلى منابع النيل فى وسط أفريقيا وسارت بجوار نهر النيل وأخيراً وصلت إلى مصر.

إيو لم تذق طعم الرحة والذبابة اللعينة ظلت تطاردها وتلدغها وتسبب لها ألماً شديداً.

وأثناء رحلة إيو هذه كانت عيون كبير الآلهة زيوس اللاهثة بالشوق تراقبها ..

تحرسها ..

ترعاها.

وصلت إيو إلى مصر فوجدت الراحة هناك بعد هذا العناء الطويل.. إيو لمسها كبير الآلهة زيوس لمسة مقدسة فأعادتها إلى صورتها الناسوتية هنا فى مصر وضعت إيو مولودها الذكر فى صورة عجل له مواصفات خاصة وقد عرف بلقب إبافوس وقد أسماه المصريون القدماء «أبيس» كما دعوه «أوزوريس»

هذه العلاقة بين طيبة الإغريق وطيبة مصر..

إيو الإغريقية هى والدة أبيس وقد عرف المصريون إيو باسم «إيزيس» وعرفوها باسم «ديميتر».

أوزوريس أصبح ملكاً على مصر وأنجب ابنة تدعى «ليبيا».. ليبيا تزوجت من الإله الإغريقى بوسيدون وأنجبت له أجينور وبيلوس.

وفى رواية أخرى:

ابناخوس هو ابن يابيتوس كان أناخوس ملكاً على أرجوس فأسس مدينة إيو بوليس.

كان أهل أرجوس يقدسون القمر ويدعونه إيو لذلك سميت المدينة «إيو بوليس» تكريماً للقمر إيو.

كبير الآلهة زيوس أعجب بابنة إيناخوس فأرسل تابعيه لاختطافها فحُملت إلى قصره، اغتصبها زيوس على الفور فأنجبت له ابنة تدعى ليبيا.

حاولت إيو أن تهرب من سلطان زيوس ذهبت إلى مصر وهناك وجدت أن هرميس بن زيوس هو الحاكم.

تراجعت إيو وواصلت رحلتها حتى وصلت إلى جبل سيلبيوم فى سوريا وهناك اعتزلت الحياة حتى ماتت.

لم يعلم ايناخوس أين ذهبت إيو

أرسل ايناخوس أشقاءها وأقاربها للبحث عنها وحذرهم من العودة بدونها..

أشقاء إيو.. أقاربها وصلوا سوريا وبحثوا عنها تحت قيادة تريبتو ليموس..

سألوا فى كل مكان.. وطرقوا كل الأبواب وعندما وصلوا إلى جبل سيلبيوم ظهر لهم شبح بقرة.. صرخ الشيخ:

ها هنا أرقد أبا إيو

هناك أسسوا مدينة جديدة عرفت باسم مدينة «أنطاكيا»

حكم إبافوس مصر، أنجب ليبيا..

تزوج إله البحر بوسيدون ليبيا.. أنجبت له توأما: اجينور وبيلوس هاجر أجينور من مصر واستقر فى أرض الكنعانيين.

أجينور هناك تزوج تليفاسا فأنجبت له عدة أبناء: كادموس وفوينيكس وكيليكس وثاسوس وفينيوس وابنة واحدة تدعى يوروبى.

كبير الآلهة زيوس أحب يوروبى ابنة أجينور لكنها لم تكن تحبه..

ظل زيوس يراقبها وهى تلهو مع رفيقاتها على شاطئ البحر

طلب زيوس من الإله هرميس أن يطارد قطيع أجينور حتى وصل شاطئ البحر..

يوروبى حضرت مع رفيقاتها وبدأن اللعب بالقرب من شاطئ البحر بالقرب من القطيع.

كبير الآلهة زيوس تقمص شكل ثور أبيض له لغد يتدلى أسفل رقبته، له قرنان صغيران بينهما شريط من الشعر أسود اللون.

يوروبى لمحت الثور الأبيض فأُعجبت بجماله.. تقدمت نحوه، فوجدته

هادئاً.. أحنى الثور زيوس كبير الآلهة رأسه للأسفل فاطمأنت يوروبى إليه فداعبته.. أتت ببعض الزهور ووضعتها فى فمه.. جدلت بعض الأغصان وكللت به قرنيه.. أمسكت قرنية بيديها.. جلست فوق ظهره العريض.. تحرك الثور بهدوء فوق الرمال نحو الماء..

يوروبى أحست بسعادة غامرة، ظنت أنه سيتوقف عند حافة اليابسة ولكنها فوجئت به يسبح فى الماء بسرعة هائلة..

أخذت يوروبى تصرخ.. تصيح فى فزع إلا أن صيحاتها ضاعت وسط زمجرة الرياح وهدير الأمواج

لجأ زيوس الثور كبير الآلهة إلى شاطئ جزيرة كريت..

تحول كبير الآلهة زيوس إلى صقر، اغتصب الفتاة يوروبى..

يوروبى أقامت فى الجزيرة عدة سنوات. وظل الصقر زيوس كبير الآلهة يتردد عليها.

أنجبت يوروبى ثلاثة أبناء:

رادامانثوس، مينوس، ساربيدون

الملك اجينور أرسل أبناءه للبحث عن شقيقتهم وحذرهم من العودة بدونها خرجوا.. بحثوا فى كل مكان.. لم يعثروا على الثور الذى سبح فوق صفحة الماء وغاب عن الأنظار.

أبحر الإخوة.. فونيكس نحو الغرب فعبر ليبيا ووصل للشاطئ الشمالى لأفريقيا إلى منطقة عرفت واستقر هناك وأصبح سكان هذه المنطقة باسم الفينيقيين، نسبة إلى فونيكس.

رحل كيليكس إلى أرض الهيباخين واستقر هناك وأصبحت المنطقة

تدعى «كيليكيا».

رحل فينيوس إلى ثونيا واستقر هناك فترة ليست بالقصيرة إلا أن الهاربيات بدأن فى مضايقته وتعكر صفوة حتى أنقذه من شرهن البطل ياسون.

رحل ثاسوس ورفاقه إلى أولمبيا وهناك أقام تمثالاً من البرونز تكريماً للبطل هيراكليس الصورى.

ثم رحل تاسوس إلى إحدى الجزر وكون مستعمرة هناك باسم جزيرة ثاسوس.

استغل ثاسوس خيرات هذه الجزيرة الغنية بالذهب.

هجرات الإخوة استمرت خمسة أجيال.. قبل أن يولد البطل هيراكليس ابن أمفيتريون فى بلاد الإغريق.

عندما رحل كادموس مع والدته تليفاسا إلى جزيرة رودس.. قدم قرباناً هناك إلى الربة أثينا.

وأقام كادموس معبداً للإله بوسيدون.. وعين هيئة من الكهنة على خدمته.. واصل كادموس رحلته حتى وصل إلى ثيرا..

فى ثيرا أقام كادموس معبداً آخر للإله بوسيدون.

واصل كادموس رحلته حتى وصل إلى أرض الإيدونيين فى تراقيا.. تليفاسا والدة كادموس ماتت فجأة..

كادموس أقام لوالدته تليفاسا قبراً فخماً كما أقام لها الشعائر الدينية.

كادموس مع رفاقه ذهبوا سيراً على الأقدام إلى نبوءة دلفى، قدم الصلوات للإله أبوللون صاحب النبوءة، شرح إلى كاهنة المعبد المهمة التى خرج من

أجلها جاء ليسأل النبوءة عن مكان شقيقته يوروبى.

الكاهنة لجأت إلى قدس الأقداس.. سألت الإله وخرجت إلى كادموس تعلن له رأى الإله أبوللون.

ماذا كان رأى الإله؟

يا كادموس من العبث أن تقضى حياتك لتبحث عن شقيقتك يوروبى.. كف عن البحث..

يا كادموس ستقابلك بقرة تسير على غير هدى.. اتبعها.. ستسير لمسافة طويلة.. سترقد البقرة من شدة التعب..

أينما تتوقف البقرة توقف يا كادموس أنت ورفاقك..

يا كادموس هنا حيث ترقد البقرة عليك أن تنشئ مدينة جديدة امتثالاً لما أمر به الإله، خرج كادموس ورفاقه من المعبد.. سلكوا الطريق الذى أمرهم به الإله.. تعبوا لكنهم لم يتوقفوا فالنبوءة قالت عليكم مواصلة السير بلا توقف.

كادموس ورفاقه ساروا وبعد جهد رأوا قطيعاً من الدواب..

سارع كادموس ورفاقه نحو قطيع الدواب إلا أن ذلك القطيع كان يبتعد..

وبعد جهد جهيد أدرك كادموس ورفاقه قطيع الدواب..

هذا القطيع يملكه الملك بيلاجون

التقى كادموس الملك ورجاه أن يبيعه بقرة.. اشترى كادموس البقرة من بين عشر بقرات كانت ضمن القطيع..

البقرة على أحد جانبيها دائرة بيضاء تشبه القمر.. أمسك البقرة.. تركها وشأنها..

سارت البقرة فى منطقة بيوتيا متجهة شرقاً وكادموس يتابعها..

أدرك التعب البقرة بعد مسيرة طويلة فرقدت مجهدة..

توقف كادموس ورفاقه وهناك أقام مدينته.. مدينة كادميا..

أقام كادموس تمثالاً ضخماً للربة أثينا صنعه النحات خليليال..

كادموس أسمى التمثال أونجا.

بعد أن استقر كادموس فى مدينته الجديدة قرر أن يذبح البقرة ليقدمها نذراً للربة أثينا.

طلب كادموس من رفاقه الحصول على ماء صافى عذب من ينبوع أريس.

لم يكن كادموس يعلم أن الينبوع تحرسه حية مقدسة.

خرجت الحية من بين الأحراش عندما بدأ رفاق كادموس فى الحصول على الماء..

الحية قتلت عدداً منهم.

بعد أن عرف كادموس بالأمر استشاط غضباً.. فهرع إلى الينبوع.. هاجم الحية المقدسة الحارسة..

دارت معركة شرسة بين كادموس والحية المقدسة الحارسة.. بعد معركة دامت حوالى نصف نهار حمل كادموس صخرة ضخمة وضرب بها رأس الحية فهشم الرأس.. ماتت الحية المقدسة الحارسة.

كادموس ذبح البقرة قرباناً للربة أثينا.

الربة أثينا ظهرت لكادموس وأعربت عن رضاها عن كادموس لقتله الحية الشرسة..

قالت الربة أثينا:

انتزع أسنان الحية جميعها، بذرها، سيخرج لك رجال مسلحون سبارتوى.

كادموس انتزع أسنان الحية.. بذرها.. خرج له رجال مسلحون مزروعون.. تذكر كادموس نصيحة الربة أثينا التقط حجراً من جانب الصخرة قذف به رأس واحد منهم.. قذف رأس آخر.. فآخر..

الرجال المزروعون كان كل واحد منهم يظن أن صاحبه هو الذى ضربه بالحجر..

بدأ الرجال المزروعون يحاربون بعضهم بعضاً.. قتل بعضهم بعضاً.. بقى منهم خمسة رجال مزروعين:

إخيون ويودايوس وختونيوس وهو بيرنيور وبلوروس..

أعلن هؤلاء الرجال الخضوع لكادموس..

الإله أريس غضب من كادموس، لقد قتل الحية الشرسة المقدسة التى تحرس الينبوع..

حاولت الربة أثينا تهدئة غضب الإله أريس..

قدم كادموس للمحاكمة..

صدر ضده حكم مقدس.. عليه أن يظل فى خدمة الإله أريس لمدة عام عظيم.

قضى كادموس العام العظيم فى خدمة الإله أريس فعفى عنه الإله.. عفى عنه كونه قتل الحية الحارسة لينبوع أريس.. هذه الحية الكاستالية ربيبة الإله.

بعد انتهاء الحكم منحته الربة أثينا الأمن والأمان فى منطقة بيوتيا وأمرته أن يحصن مدينته.. الرجال المزروعون الخمسة ساعدوه فى ذلك.

كادميوس بنى القلعة والتى سميت كادميا تكريماً له، لقن أسرار عبادة الإله زيوس التى سبق أن لقنها الإله زيوس إلى ياسيون.

تزوج كادموس هارمونيا ابنة الإله أريس من أفروديت.

وفى الاحتفال احتفلت كل الآلهة بزواج كادموس وهارموينا.. نزل الآلهة من عليائهم فوق جبل أولمبوس..

أعد اثنى عشر عرشاً من الذهب.. جلست الآلهة الاثنى عشر على تلك العروش الذهبية المقامة فى قصر كادموس..

حمل الجميع الهدايا الفاخرة للعروسين..

قدمت أفروديتى إلى هارمونيا قلادة ذهبية رائعة صنعها الإله هيفايستوس بناء على طلب الآلهة زيوس.

قدمت الربة أثينا إلى العروس ثوباً منسوجاً من خيوط الذهب.

قدمت الربة أثينا هدية ثانية مجموعة من آلات الفلوات ذات النغمات الساحرة.

قدم إليها هرميس قيثارة رائعة..

قدم كادموس إلى عروسه هارمونيا ثوباً ثميناً.

تقدمت الحورية الكترا والدة ياسون نحو العروس علمتها شعائر الربة الكبرى..

أما هيرا زوجة كبير الآلهة زيوس فقد قدمت هدية غير عادية.. ضمنت لها ولمدينتها الرخاء والمحصول الوفير طول العام وكل عام.

ذهبت هيرا إلى حقل محروث ثلاث حرثات استدعت ياسيون.. ضاجعت ياسيون أثناء إقامة حفل الزواج وبذلك منحت أرض طيبة خصوبة دائمة ومحصولاً وفيراً فى كل عام.

الإله أبوللون عزف على قيثارته ألحاناً ساحرة ووقفت حوله الموسيات يعزفن ويغنين ويرقصن.

أنجبت هارمونيا لكادموس أربع بنات: إينو. سيميلى. أوتونوى. أجافى فى حب إينو وقع أثاماس ملك بيوتيا.. تزوجها وكان قبلها قد تزوج امرأة أخرى تدعى ينفيلى «أى السحابة».. تزوج إينو سرّاً وأنجب منها ولدين: لياخوس وميليكرتيس.

علمت نيفيلى بزواج أثاماس من إينو فبعثت تشكو أهالى الربة هيرا.

أقسمت هيرا أن تعاقب الزوج الخائن.

تآمرت جميع النسوة ضد نيفيلى لأنهن يتعاطفن مع إينو..

أفسدت إينو محصول القمح السنوى.. تآمرت مع رجال الدولة ضد نيفيلى..

نقلوا رسالة مزيفة من نبوءة دلفى بضرورة تقديم فريكسوس بن نيفيلى قرباناً للإله زيوس كى تعود الأرض صالحة للزراعة.

تآمرت خالته بياديكى أيضاً ضده.. أدعت أن فريكسوس حاول اغتصابها.

غضب أثاماس من ولده فريكسوس الذى كان بريئاً من التهمتين وأراد أن يذبحه ويقدمه قرباناً للآلهة زيوس.

وبناءً على رغبة الآلهة زيوس وزوجته هيرا أنقذه البطل هيراكليس..

أرسل هرميس حملاً من السماء، اعتلى فريكسوس وشقيقته هيلى ظهر الحمل، فر الحمل بهما هارباً. وصل فريكسوس إلى كولخيس هناك ذبح الحمل وقدمه قرباناً إلى الإله زيوس.

فريكسوس احتفظ بفروة الحمل الذهبية.

نيفيلى تتوسل إلى الربة هيرا لتقضى على زوجها الخائن أثاماس.. الربة هيرا أصابت أثاماس بالجنون.. أمسك بالقوس. تراءى له أنه يرى غزالاً فقذف بسهمه فأصاب ولده ليارخوس الذى أنجبه من إينو.

خافت إينو من زوجها وهو يمزق جسد ابنها وهو يظنه الغزال الذى اصطاده.

حملت إينو ولدها الأصغر ميليكرتيس وولت به هاربة..

حاول أثاماس الانتقام من زوجته أصابه ديونوسوس بالعمى

ومن على صخرة مولوريا ألقت إينو بنفسها فى البحر العميق.. ماتت غرقاً.

كبير الآلهة زيوس لم يرسل روحها إلى تارتاروس أبقاها فى عالم المباركين فأصبحت روحاً مقدسة وحلت محل الربة ليوكوثيا وجعل ولدها روحاً مقدسة أصبح معبوداً تحت اسم الإله بالايمون أرسله إلى كورنثا على ظهر دولفين.

أقام عمه سيسيفوس الألعاب الاسثميية تكريماً لذكراه.

هناك رواية أخرى:

تزوج أثاماس من إيثو أنجب منها ولدين: لياخروس وميليكرتيس.. لم يكن قد تزوج قبلها.

خرجت إينو فى رحلة صيد ولم تعد.. أثاماس ظن أن حيواناً مفترساً قد قتلها..

إينو أصيبت بالجنون بسبب هجوم فهد شرس عليها.. دافعت عن نفسها.. مزقت جسد الفهد بأسنانها وأظافرها.. خلعت ملابسها الملكية وارتدت ملابس الياختات.

أعلن أثاماس الحداد على وفاتها.. ظن أنها ماتت.

تزوج أثاماس امرأة تدعى ثميستو أنجبت له طفين..

اكتشف أثاماس أن زوجته إينو ما زالت على قيد الحياة أحضرها على القصر..

ادعى أثاماس أن إينو أسيرة حصل عليها أثناء هجومه على جبل كثيرون.

تظاهرت ثميستو بعدم معرفة الحقيقة التى حصلت عليها من وصيفاتها..

ثميستو طلبت من إينو أن تعد ردائين من الصوف الأبيض لولديها هى وأن تعد ردائين أسودين لولدى إينو..

ثميستو أمرت مجموعة من الحراس بالذهاب حيث يوجد الصبية الأربعة.. طلبت منهم قتل الصبيين اللذين يرتديان الثياب السوداء.

كانت إيو قد شكت فى نوايا ثميستو فالبست ولديها الثياب البيضاء والبست ولدى ثميستو الملابس السوداء.

ذهب الحراس ونفذوا أمر الملكة ثميستو قتلوا ولديها.

علم أثاماس بما حدث فأصيب بالجنون. قتل ولده من إينو ليارخوس ظناً منه أن يقتل غزالاً.

هربت إينو بولدها الآخر ميليكرتيس ألقت بنفسها فى البحر.. كانت من الخالدين.

سيميلى ابنة كادموس الثانية أحبها كبير الآلهة زيوس.. بادلته الحب.. تزوجها سرّاً.. علمت هيرا لكنها لم تفاجأ زوجها بمعرفتها بالموضوع لجأت إلى الخديعة.. ذهبت إلى سيميلى.. بدأت تشككها فى حبه قالت لها إنه سيأتى إليها فى صورة بشر.. طلبت منها أن تطلب من زيوس لها فى صورته الربانية..

زيوس هو إله البرق والرعد.. طلبت منها أن يظهر كذلك..

فى الليل أراد زيوس معانقة زوجته سيميلى.. ابتعدت عنه.. سـ لها عن السبب طلبت منه أن يظهر إليها بصورة بشر..

زيوس حذرها لن يظهر أمامها فى صورته الربانية.. لن تحتمل الـ صاعقة البرقية والرعدية.. لم تصدق ذلك..

كبير الآلهة زيوس أشفق عليها وحذرها ولكن بلا جدوى ـ ـرج من الصورة الناسوتية.

ظهر فى صورة شاب وسيم عاصفة رعدية برقية تكتسح أمامها كل شىء..

تحرق كل شىء.. لم يحتمل جسد سيميلى الرقيق فاحترق أمـ م البرق الربانى.

كان فى أحشاء سيميلى جنين لم يبلغ مرحلة الاكتمال .

اشفق زيوس على ولده.. انتزع الجنين من رحم أمه.

فى رواية أخرى:

إن هرميس بناءً على أمر من زيوس هو الذى انتزعه.. قيل إنه د ى شهره السادس أحدث زيوس جرحاً فى فخذه.. أخفى الجنين فى ذلك الجرح. أخاط الجرح بخيوط من ذهب.. ظل الجنين فى فخذه والده زيوس .. اكتمل نموه.. أكمل شهره التاسع.. أنجب زيوس الجنين من فخذه.. أصبح فيما بعد يعرف بالإله ديونوسوس الذى أصبح ذا خطوة عند آلهة اولومبوس .

ذهب إلى تارتاروس قابل برسيفونى زوجة بلوتو إله تارتاروس، قدم إليها هدية رائعة.. استعاد روح والدته سيميلى.. ذهبت معه إلى معبد الربة

ارتميس ترويزين.

خشى ديونوسوس من حسد الموتى فقدمها إلى عالم الآلهة والبشر تحت اسم مستعار.. أسماها الربة ثيونيز

خصص ديونوسوس مكاناً لافة مكانا فوق جبل أولومبوس، اوتونوى الابنة الثالثة لكادموس تزوجت من إريستايوس ابن الإله أبوللن، أنجبت له قورينى ابنة الملك هوبسيوس. أنجبت اتونوى ولداً:

اكتايون وبنتا:

ماكريس التى أصبحت وصيفة الإله ديونوسوس بعد ذلك.

عارضت أوتونوى وشقيقتها أجافى دخول عبادة ديونوسوس إلى طيبة.. غضب الإله ديونوسوس منهما.. أصابهما بالجنون..

اكتايون مات قتيلا..

اجافى الابنة الرابعة لكادموس تزوجها أخيون أحد الرجال المزروعين الخمسة أنجبت له ولداً يدعى بنثيوس الذى أصبح بعدئذ ملكاً على طيبة بعد جده كادموس أثناء حياته.

عارض بنثيوس دخول الإله ديونوسوس إلى طيبة.. حاول أن يمنع انتشا عبادة الإله..

آمر بنثيوس بالقبض على الإله. أرسل رجاله.. قبضوا على الإله قيدوه.. أحكموا وثاقه.. هكذا خيل إليهم.. قيدوا ثوراً بدلاً عن الإله.

تسلل الإله بروحه إلى داخل جسد بنثيوس أصابه بالجنون.

قادته والدته أجافى وخالته أوتونوى النسوة فوق جبل كثيرون.. أثارت

والدته ضده بقية النسوة المجنونات، هاجمته، مزقن جثته بأسنانهن وأظافرهن حملت أجافى رأسه مغروسة فى طرف فرع شجرة وعادت به إلى طيبة.. ظنت أنه رأس اسد وليس بنثيوس.

كادوس والد أجافى أعادها إلى رشدها.. اكتشفت الحقيقة.. تزوجت أجافى من لوكوثرسيس ملك إكليريا.. قتله بعد ذلك، سلمت عرشه لوالدها كادموس..

أنجب كادموس أربع بنات.

لم يكن الإله أريس قد هدأ بعد بسبب قتل كادموس للحية الكاستالية.. تنازل كادموس عن عرش طيبة لحفيده بنثيوس الذى أنجبته ابنته أجافى من إخيون أحد الرجال المزروعين الخمسة..

تنبأ الإله ديونوسوس بمستقبل جده كادموس وجدته هارمونيا.. سيركبان عربة تجرها بقرات.. كادموس سيصبح حاكماً على شعوب غير إغريقية.. هذه الشعوب ستقوم بعدد من المعارك ضد المدن الإغريقية.. ستسطو على معبد الإله أبوللون لكن أريس سيدركهم فى النهاية.

كادموس.. هارمونيا سيتحولان إلى ثعبان وحية..

غادر كادموس طيبة مع زوجته هارمونيا.. وصلوا إلى أرض الإنخيليين.. أصبح كادموس ملكاً على تلك القبائل فى أرض الإنخيليين.. كانوا فى حرب أهل الليريا.. قاد كادموس جيشاً.. هاجم مملكة الليريا..

أجافى كانت قد تزوجت من لوكوثريس ملك الليريا بعد موت ولدها بنثيوس علمت أجافى أن والدها على رأس الجيش المهاجم.. قتلت زوجها الملك سلمت العرش إلى والدها كادموس.. تحققت نبوءة الإله ديونوسوس.

تحول كادموس وهارمونيا إلى ثعبان وحية لونهما أسود عليهما بقع زرقاء

اللون أرسلهما كبير الآلهة زيوس إلى جزر المباركين.

حكم أبيس مصر.. أصبح مصرياً.. أنجب ابنة مصرية تدعى ليبيا تزوج الإله الإغريقى بوسيدون من الأميرة المصرية ليبيا..

أنجب الإله الإغريقى بوسيدون من الأميرة المصرية ليبيا ولدين توأم:

اجينور، بيلوس.

أنجب أجينور من زوجته تليفاسا كادموس.

كادموس أسس مدينة طيبة الإغريقية.

أنجب بيلوس من زوجته المصرية انخينوئى ابنة نهر النيل المصرى ولدين توأم:

إيجويتوس، دناوس.

حكم إيجويتوس أرض النيل التى سميت بعده باسم مصر «إيجبت»

حكم دناوس أرجوس

أصبحت العشائر الإغريقية تسمى عشائر الدنائيين.

هكذا اختلطت الدماء المصرية والإغريقية فى أسطورة واحدة.

أسطورة طيبة التى بدأت أحداثها فى بلاد الإغريق.

انتقلت إلى مصر..

انتقلت إلى أرض الكنعانيين.

عادت مرة أخرى إلى مصر..

عادت أخيراً إلى بلاد الإغريق.

بيلوس توأم أجينور.. ابن الإله الإغريقى بوسيدون الأميرة المصرية ليبيا ابنة الإله المصرى أبيس، تزوج من الأميرة المصرية إيجويتوس ابنة الإله المصرى النيل.

أنجب بيلوس من أنخينوئى توأما: ايجوبتوس، دناموس وولداً آخر: كيفيوس.

أصبح أيجوبتوس ملكاً على العرب..

ايجوبتوس بعد مدة غزا أرض النيل وأخضع سكانها الميلامبوديس.

الميلامبوديس سكان أرض النيل سميت بلادهم ايجوبتوس.

إيجوبتوس أنجب خمسين ولداً من نساء مختلفات الجنسية.

مات الوالد بيلوس..

اختلف الشقيقان التوأم حول توزيع الميراث..

إيجوبتوث أراد الاستيلاء على السلطة.. اقترح تزويج بنات شقيقه دناوس الخمسين لأبنائه الخمسين.

دناوس اكتشف خطة أخيه ايجوبتوس الخادعة.. الماكرة.

رفض دناوس اقتراح أخيه..

علم دناوس أن إيجوبتوس يفكر بحيلة ماكرة أخرى.. سوف يقتل بناته الخمسين استعد دناوس للهرب، اصطحب بناته الخمسين فى رودس.. سميت ثلاث مدن بأسمائهن: لندوس، يالوسيس، كاميروس.

واصل دناوس رحلته البحرية.. وصل إلى جزيرة البلوبونيس.. وصل إلى مدينة ليرنا.

دناوس أعلن فى مدينة ليرنا أن الآلهة نصبته ملكاً على أرجوس..

دناوس استلم الحكم رغم المناقشات الحادة.

أقام معبداً للإله أبوللن، نشرع عبادة الربّة ديميتر.. لقن النساء تعاليم العبادة المصرية.

الإله بوسيدون رضى عن أرجوس.. اختفى الجفاف، نهر ليرنا جمل المياه الوفيرة من ينبوع أمومونى الذى سمى على اسم إحدى بنات دناوس.

أرسل ايجوبتوس أبنائه الخمسين للبحث عن بنات عمهم الخمسين.. أمرهم بعدم العودة إلى بعد تأديب عمهم وبناته الخمسين..

أولاد ايجوبتوس طلبوا من والدهم أن يتزوجوا بنات عمهم.. وافق ايجوبتوس بشرط أن يقتلوهن ليلة الزفاف.. لم يوافقوا على ذلك.. رفض طلبهم.. أعلنوا الحرب على أرجوس، حاصروا المدينة، وعدهم دوناس بالموافقة أن فكوا الحصار عن المدينة.

تزوج أبناء ايجوبتوس بنات عمهم دناوس. اتفقت البنات على قتل أزواجهن ليلة زفافهن.. أعطى دناوس لكل واحدة من بناته دبوساً حادّاً..

كل بنت أخفت دبوسها الحاد بين خصلات شعرها.

فى منتصف الليل قتلت كل واحدة منهن زوجها ما عدا هوبرفسترا رفضت أن تقتل زوجها.. بأمر من الربّة أرتميس.

هوبرفسترا نصحت زوجها بالهروب تحت جنح الليل إلى مدينة لونكيا.. طلبت هوبرفسترا من زوجها أن يبعث إليها باشارة ضوئية من قلعة المدينة. هرب لونكيوس، وصل للمدينة، بعث بالإشارة الضوئية.. أجابته بإشارة ضوئية من فوق قلعة أرجوس.

والدها اكتشف الحقيقة.. هوبرفسترا قدمت للمحاكمة.. قضاة أرجوس

أبرأوا ساحتها.

بعد عام قتل لونكيوس دانـوس، دانوس أصبح حاكماً على أرجوس.. إيجوبتوس علم بمصير أبنائه.. غادر مصر.. حضر لأرجوس ثم فرّ هارباً ظل ايجوبتوس طريداً حتى مات.

إيجوبتوس دفن فى مدينة باتراى الإغريقية.

كادموس بنى قلعة سميت باسمه كادميا.. هذه القلعة عرفت بعدئذ بمدينة طيبة.. أشهر ملوك الذين تعاقبوا على طيبة كانوا ينتمون للملك لايداكوس، لايداكوس هو ابن بولودوروس أنجبه من نوكتيس ابنة نوكتويس أنجبها من بولوكسو.

بولودوروس هو ابن كادموس مؤسس مدينة طيبة.

أنجب بولودوس لابداكوس مؤسس الأسرة الحاكمة المتأخرة فى طيبة.

لابداكوس حكم طيبة.. قتله بانديون ملك أثينا أثناء صراع عسكرى دار بينهما، ترك ابنه لايوس طفلاً.. تركه فى عامه الأول.

لوكوس أحد سلالة الرجال المزروعين الخمسة انتهز الفرصة وولى نفسه وصيّاً على عرش طيبة.

كان للملك لوكوس شقيق يدعى نوكتويس.. أنجب نوكتويس ابنة تدعى إنتيوبى، كبير الآلهة زيوس أعجب بأنتيوبى.. بادلته الإعجاب. نشأت بينهما علاقة.. غضب والدها منها.. خافت منه.. فرّت إلى طيبة..

إنتيوبى وصلت إلى سيكوون فى شبه جزيرة البلوبونيس.. تزوجت الملك ابويويس.

نوكتويس الوالد مات حزناً عليها، قبل موته أوصى أخاه بالبحث عن أنتيوبى وأن ينتقم منها.

لوكوس جهز جيشاً ضخماً.. هاجم سيكوون.. المعركة طاحنة بين طيبة وسيكوون.. سقطت سيكوون.. سيطر الملك الطيبى لوكوس.. قتل الملك أبوبويس.

أرغم أهل سيكوون على تسليم أنتيوبى إلى عمها لوكوس.

فى أسرها.. أثناء العودة.. أنجبت طفلين توأم: امفيون وزيثوس.

الملك لوكوس لم يعترف بهما.. ألقى بهما فى العراء فوق جبل كثيرون.

لوكوس ألقى بأنتيبى فى السجن واذاقها سوء العذاب.. زوجة عمها ديركى عاملتها بقسوة.. عشرون عاماً مضت على أنتيوبى.

أنتيوبى هربت من السجن.. أفلتت من الحراس. أفلتت من ديركى.. هامت على وجهها بين أحراش جبل كثيرون.

أنتيوبى وصلت إلى كوخ أحد الرعاة.. وجدت شابين يافعين فى الكوخ.. لجأت إليهما.. طردوها.. نهروها.. ابتعدت عن الكوخ باكية.. وواصلت رحلة البحث عن ولديها..

عاد الراعى للكوخ، قص عليه الشابان قصة المرأة، طلب منهما أن يصفاها له.. نهرهما الراعى.. أمرهما فوراً بالبحث عنها.. أخبرهما.. أنها أمهما.

الراعى روى القصة كاملة للشابين.. أسرع الشابان أمفيون وزيثوس إلى الأحراش، ديركى اكتشفت هروب أنتيوبى.. خرجت مع حراسها للبحث عنها.. أصابها جنون باخى.. هامت على وجهها، وجدت أنتيوبى أمسكت بها.. عذبتها.. عثر الشابان أمفيون وزيثوس على ديركى فوق الجبل وهى

تعذب أمهما أنتيوبى.. أنقذاها.. ربطا خصلات شعر ديركى فى قرنى ثور..

زيثوس ضرب الثور.. هاج الثور.. ظل يجرى هنا وهناك.. ماتت ديركى.

فى رواية أخرى:

والد أنتيوبى هو الإله النهر أسويوس، زوجها الملك لوكوس.. الملك سيكوون تقمص شخصية زوجها. اغتصبها. اكتشف لوكوس ما حدث فى تلك الليلة.. انفصل عنها.. حملت منه..

اكتشف ديركى أن أنتيوبى حامل، ظنت أن زوجها لوكوس هو والد الجنين.

غضبت منه أرادت الانتقام لكرامتها. عاملت أنتيوبى بقسوة.. ألقت بها فى سجن مظلم.

كبير الآلهة زيوس علم بالأمر. خف لنجدتها.. أنقذها من السجن. أنتيوبى وضعت ولديها التوأم: أمفيون وزيثوس فوق جبل كثيرون.

عاشت أنتيوبى مع ولديها بين الرعاة. ذات يوم كبرا.. أرادا الانتقام لأمهما.. ذات يوم شاهدا ديركى تهيم على وجهها فوق جبل كثيرون. وعليها الجنون الباخى.

ربطا خصلات شعرها فى قرنى ثور برى.. الثور قفز هنا وهناك.. الثور كان هائجاً.. ضرب الصخور برأسها وجسدها.. ماتت ديركى.

غضب الإله ديونوسوس من أجل ديركى إحدى عابدات الإله.. تفجرت عين ماء من باطن الأرض.. عين ماء جارية.. عين سميت مجرى ديركى..

الإله انتقم لموت ديركى. أصاب أنتيوبى بالجنون.. هامت على وجهها.. قابلها حفيد سيسيفوس الذى يدعى فوكوس بن أورنوثيون. خلصها من الجنون

تزوجها هاجم التوأم أمفيون وزيثوس مدينة طيبة. لقى لوكوس مصرعه. نفى الشقيقان الملك الطفل لايوس، استوليا على عرش طيبة.

كادموس كان قد بنى قلعة كادميا.. الجزء الأعلى للمدينة..

الشقيقان بنيا الجزء الأسفل.. أصبحت المدينة تعرف باسم طيبة..

قيل إن الإله هرميس أعطى أمفيون هدية قيثارة عذبة الألحان..

تزوج ثيوس من الأميرة ثيبى أصبحت المدينة تعرف باسم طيبة تكريماً لها تزوجت أمفيون من نيوبى. الشقيقان حكما مدينة طيبة مدة من الزمن.

رواية أخرى:

أنجبت نيوبى لامفيون سبع إناث وسبعة ذكور.. تفاخرت بذريتها بغرور.. تحدت البشر والآلهة، تطاولت على ليتو والدة الإله أبوللون والربة أرتميس،

قالت نيوبى: أنا أفضل من ليتو.. ليتو لم تنجب سوى اثنين فقط.

سمعت الكاهنة مانتو ابنة العراف تيريسياس ما قالته نيوبى.

أمنتو نصحت أهل طيبة أن يهدأو اغضب ليتو وأن يسترضوا ولدها الإله أبوللون وابنتها الربة أرتميس.

أحرق أهل طيبة البخور أمام المحراب المقدس.. توجوا تمثال الربة لينتو بأكاليل الغار.

أنكرت نيوبى على أهل طيبة ما فعلوه قالت:

إن ليتو ليست سوى امرأة مجهولة النسب. ابنها تغلب عليه صفات الأنوثة، ابنتها تغلب عليها صفات الذكورة.

قالت:

أنا نيوبى حفيدة كبير الآلهة زيوس والتيتن أطلس الجبار الذى يخشاه كل الفروجيين أنا ملكة متوجة على عرش طيبة المجيد. أمنعكم من مواصلة تقديم القرابين إلى الربة ليتو.

الربة ليتو قررت عقاب نيوبى. أرسلت ولديها إلى جبل كثيرون. سلحتهم بالسهام القاتلة.

كان هناك أبناء نيوبى الذكور السبعة يقومون برحلة صيد.

ألقى أبوللون سهامه القاتلة نحوهم، أرداهم قتلى ما عدا أموكلاس.

أموكلاس كان غير راض على سلوك والدته وكان دائم الصلاة للربة ليتو.

كانت بنات نيوبى السبع يغزلن داخل القصر. ألقت الربة أرتيمس نحوهن سهاماً قاتلة.. أردتهن قتيلات ما عدا ميليبويا.. كانت غير راضية عن سلوك والدتها.. كانت دائمة الصلاة للربة ليتو.

اشتهرت ميليبويا بلقب خلوريس أى شاحبة الوجه وذلك لما تركه مشهد شقيقاتها عليها.

فى رواية أخرى:

أن جميع أفراد ذرية نيوبى الأربعة عشر قد لقوا حتفهم.

قيل أيضاً:

إن أمفيون زوج نيوبى قد لقى مصرعه أيضاً.

علمت نيوبى بموت أبنائها.. ظلت تبكى تسعة أيام بلياليها. لم تجد نوبى أحداً يساعدها على دفن أولادها.

زيوس كبير الآلهة غضب من أجل التطاول على أم ولديه أبوللون وأرتميس

مسخ كل أهل طيبة أصناماً حجرية.

فى اليوم العاشر ساهم آلهة أولومبوس فى عملية الدفن..

أصبحت نيوبى وحيدة. هجرت القصر الملكى.. غادرت طيبة، ذهبت إلى جبل سيبيلوس موطن والدها تانتالوس.

كبير الآلهة أشفق عليها.. خلصها من عذابها.. حولها إلى تمثال حجرى، فى بداية كل عام يبكى التمثال الحجرى بحرقة.. يذرف الدمع الحزين.

حزن كل الرجال لموت الملك أمفيون..

لم يحزن أحد من أجل مصير نيوبى سوى شقيقها المغرور بلوس.

مات لابداكوس بن بولودوروس بن كادموس مؤسس مدينة طيبة. ترك ولده رضيعاً. لوكوس أصبح وصيّاً عليه. مات لوكوس. زيثوس استولى على الحكم شاركه شقيقه امفيون فى عرش طيبة.

كبر لايوس.. خاف من زيثوس هرب إلى بيزا.. وجد صديقه بلوبس.

مات زيثوس.. مات أمفيون.. كادلايوس واستعاد ملك والده.. أصبح ملكاً على طيبة.

لايوس عاد محملاً بلعنة من الآلهة.. كانت اللعنة سبباً لما أصاب ولده أوديب وأفراد أسرته من مصائب وكوارث.

كان لبلوبس ولد من زوجته هيبوداميا يدعى خروسيبوس أنجبه من الحورية أستيوخى أحس لايوس برغبة شديدة نحوه لجماله.. تقرب إليه.. أغراه.. لم يرع حرمة الضيافة.. وعده بأن يجعل منه بطلاً من سباق العجلات.. أغراه بالذهاب معه إلى طيبة.. حملة إلى طيبة.. هناك أصبح فى قبضته.

خروسيبوس أحس بالخزى والعار.. تخلص من حياته.. انتحر.

فى رواية أخرى:

إن زوجته والدة هيبوداميا حقدت عليه خشيت أن يخلفه على العرش.

اتفقت مع ولدى بلوبس - أتريوس وثويستيس - حرضتهما على التخلص من أخيهما الذى أنجبه من امرأة أخرى. رفض أتريوس.. رفض ثويستيس.. قامت أمهما بالمهمة.. تسللت إلى مخدع لايوس ليلاً كان خروسيبوس نائماً بجوار رفيقه لايوس انتزعت السيف من غمده.. طعنت خروسيبوس طعنة قاتلة.. اتهم لايوس بقتله لم تثبت التهمة على لايوس.

سمع بلوبس بنبأ مقتل ولده. عفى عن لايوس. منحه العذر. هيبوداميا انتحرت، الربة هيرا لم تعف عن لايوس أرسلت الهولة التى هددت أهل طيبة أثناء فترة حكمه.

أصبح لايوس ملكاً على طيبة بلا منازع، تزوج من يوكاستى..

حذرته الآلهة سوف ينجب ولداً يقتله ويتزوج والدته. أنجب الولد، ألقاه فى العراء نشأ الوليد. قتل والده دون أن يعرف أنه والده.. تزوج والدته دون أن يدرى تلك هى أسطورة أوديب الشهيرة.

لقى أوديب مصيره بعد أن أنجب ولدين: بولونيكيس واتيوكليس وابنتين: إنتجونى وإيسمينى.

اكتشف أوديب خطيئته التى ارتكبها. انتحرت يوكاستى. غاب أوديب عن طيبة. فقدت طيبة ملكاً عادلاً، لكن اللعنة التى ورثها عن أبيه لم تمكنه من ذلك، اختلف الشقيقان كل منهما يعتبر نفسه خلفاً شرعيّاً لوالده أوديب الملك، توصلا أخيراً أن يحكم كل منهما لمدة عام واحد على أن يغادر الثانى طيبة أثناء فترة حكم شقيقه.

اتيوكليس أصبح حاكماً على طيبة.. رحل بولونيكيس إلى أرجوس. فى نهاية العام عاد لاستلام السلطة رفض شقيقه ذلك.

جمع بولونيكيس جيشاً تحت قيادة أدراستوس ملك أرجوس، هاجم طيبة.. تقابل الأخوان.. دارت معركة شعواء.. قتل كل منهما الآخر. تولى السلطة كريون شقيق الملك يوكاستى.. أمر بعدم دفن جثة بولونيكيس الذى مات أثناء هجومه على وطنه طيبة. أمر بتكريم جثة إيتوكليس لأنه استشهد دفاعاً عن وطنه طيبة.

ثارت إنتجونى ضد قرار خالها الملك كريون.. دفنت جثة شقيقها بولونيكيس.

ثار الملك كريون. ماتت إنتجونى.

تلك أسطورة إنتجونى ابنة الملك أوديب ابن الملك لايوس ابن الملك لايداكوس ابن الملك بولودوروس ابن الملك كادموس ابن الملك اجينور ابن الإله بوسيدون.

تحكى الأسطورة هموم طيبة وكوارثها. تروى كيف توارث ملوكها وحكامها اللعنة مات الشقيقان اثيوكليس وبولونيكيس. كل منهما قتل على يد الآخر. لقى كل القادة الطيبيين والأرجوسيين على السواء مصرعهم ما عدا أدراستوس الذى فرّ فوق صهوة جواده أريون.

ذلك الجواد الذى قيل إنه من ذرية الإله بوسيدون كانت الربة ديميتر تبحث عن ابنتها برسيفونى. قابلها الإله بوسيدون. حاول اغتصابها أرادت أن تهرب منه.

خرجت من صورتها الإلهية، تقمصت هيئة فرس طاردها بوسيدون. خرج من صورته الإلهية. تقمص صورة حصان، اغتصبها، أنجبت جواداً سريعاً يدعى أريون. «أى السريع». أسرع آريون يحمل فوق ظهره الملك ادراستوس

عاد إلى أرجوس بعد أن فقد كل قواته.

عاد أرجوس مقهوراً مهزوماً.

وصلت الأنباء من طيبة إلى أرجوس. علم أدراستوس أن كريون قد أصدر قراره الظالم. أصدر قراراً لا يتنافى فقط مع الذوق العام بل فيه معصية لأوامر الإله. أصدر قراراً بمنع دفن كل من مات أمام بوابات طيبة أو بالقرب من أسوارها أثناء الهجوم.

أسرع ادراستوس بالذهاب إلى أثينا لجأ إلى ساحة الملك شيوس. توسل إليه رجاه أن يتدخل ليمنع تنفيذ ذلك القرار الظالم. توسل إلى شيوس أن يسير بجيشه نحو طيبة.. أن يقوم بتأديب كريون. أن يرغمه على التراجع عن تنفيذ قراره. لجأ أدراستوس إلى معبد الإله شاركتهم أثيرا والدة شيوس فى الدعوة. اقتنع تسيوس بفكرة الذهاب إلى طيبة.

جمع تسيوس جيشاً ضخماً. هاجم طيبة. اقتحمها. قبض على كريون. أودعه السجن أصدر أوامره بدفن جميع الجثث. أعطى كل جثة إلى ذويها. أقيمت المحارق الضخمة. أحرقت الجثث.. انتهى الجميع من الشعائر الجنائزية الواجبة.

أعدت محرقة خاص للقائد كابانيوس، كان كابانيوس قد لقى حتفه بواسطة صاعقة أرسلها نحوه كبير الآلهة زيوس. طبقاً للتقاليد المرعية.

كان مثل ذلك الميت من حقه أن تقام محرقة خاصة به. غافلت زوجته أفادنى الجميع صعدت فوق سور المدينة. ألقت بنفسها فوق محرقة زوجها كابانيوس احترقت.

دفنت معه فى قبر مميز عن بقية قبور الآخرين.

سقط الأبطال السبعة صرعى أمام بوابات طيبة السبع. أقسم أبناء الأبطال أن يثأروا لموت آبائهم. وقد عُرفوا بلقب أبيجونوى «أى أبناء الجيل الأصفر».

وعدتهم نبوءة الإله أبوللون فى دلفى بالنصر. وضعت النبوءة شرطاً للنصر. أن يقود الحملة الكمايون ابن القائد امفياراوس. لم يكن الكمايون راغباً فى الهجوم على طيبة. رفض مجرد الاشتراك فى الحملة، حاول رفاقه إقناعه. فشلت كل محاولاتهم ففكروا بالتراجع. مادامت القيادة لغير الكمايون سوف تتسبب فى الهزيمة فقد قرر الجميع استشارة أريغولى.

هنا تقدم ثرساندر نحو أريغولى. قدم إليها رشوة. كانت الرشوة ثوباً رائعاً هدية جدته الكبرى هارمونيا بمناسبة زواجها من جده الأكبر كادموس. سلك ثرساندر نفس السلوك التى سلكها والده بولونيكيس مع أريغولى من قبل.

رأى أريغولى له وزنه. يطيع أوامرها الجميع. رأت أريغولى اشتراك الكمايون فى الحملة.

نصحت بأن يكون قائداً أعلى للقوات. وقد اشترك فى الحملة كذلك إيجياليوس ابن الملك أدارستوس.

تم تجهيز جيش ضخم يجمع أجناساً مختلفة وزع القائد العام المهام على بقية القادة. وصلت الحملة إلى طيبة. بدأت الهجوم على أسوار المدينة من الخارج سرعان ما فقدت الحملة الأمير إيجياليوس بن الملك أدراستوس. لقى مصرعه علي الفور. أعلن أهل طيبة فرحتهم اعتبروا ذلك فألاً طيباً.

لقد سقط ابن الملك أدراستوس الذى كان وما زال يمثل عدوّاً خطيراً على طيبة والشعب الطيبى. احتفل أهل طيبة بالنصر حضر العراف ثيريسياس

أعلن نبوءة الإله. وقعت كلمات ثيريسياس على أهل طيبة وقوع الصاعقة. حذرهم العراف ثيريسياس من نتائج مصرع إيجياليوس كلمات ثيريسياس كانت واضحة كل الوضوح.

سوف تظل أسوار طيبة قوية متينة صامدة طالما ظل حيّاً أحد أبناء الأبطال السبعة الذين هاجموا طيبة فى عهد الملك أيتوكليس.

البطل الوحيد الذى ما زال على قيد الحياة هو ادراستوس. الذى قتل عند أسوار طيبة هو ابن أدراستوس. بالتالى لن تصمد طيبة ضد هجوم أبناء الجيل الأصفر.

سوف تسقط طيبة سوف تهوى أمام أول هجوم يشنونه على أهل طيبة أن يهربوا الليلة.

بدأ الهمس ينتشر بين جموع أهل طيبة انقسم الجميع إلى فريقين، فريق معارض وآخر مؤيد. لاحظ تيريسياس تردد أهل طيبة. واصل حديثه لا يهم ثيريسياس أن يقتنع أهل طيبة بحديثه أو لا يقتنعون لم يعد شيء يهم بالنسبة لتيريسياس.

فهو نفسه سوف يموت فور سقوط مدينة طيبة. سوف تسقط مدينة طيبة. سوف يموت ثيريسياس. ألقى ثيريسياس الكلمات فى هدوء شديد وثقة كاملة، انضم المعارضون من أهل طيبة إلى المؤيدين. نفذت كلمات ثيريسياس إلى أعماق قلوبهم.

جمع أهل طيبة ما استطاعوا جمعه حملوا ما استطاعوا حمله، اصطحبوا زوجاتهم وأبناءهم، فروا تحت ستار الليل الأسود. هجروا مدينتهم، ابتعدوا عن طيبة. أصبحوا بعيدين عن المدينة. توقفوا فى طريقهم. أسسوا مدينة

جديدة سميت بمدينة هيستياكا.

خرج ثيريسياس مع أهل طيبة. وصل معهم إلى ذلك المكان البعيد. كان ظلام الليل على وشك الرحيل. ظهرت بشائر فجر يوم جديد فر ثيريسياس فاقد النطق. لفظ أنفاسه الأخيرة.

فى صباح اليوم التالى بدأ القادة الأرجوسيون فى تنظيم صفوفهم لاحظوا أن المدينة خالية من المراس. تقدموا بقواتهم. أدركوا أن المدينة خالية من السكان. دمروا الأسوار حطموا المبانى والمنشآت. نقلوا الكنوز والثروات نهبوا كل شيء وجدوه فى طريقهم.

كان انتصاراً سهلاً غير متوقع، أرسلوا الكنوز الرائعة إلى معبد الإله أبوللون فى دلفى. وجدوا مانتو ابنة العراف ثيريسيان فى المدينة استسلمت فى هدوء. أرسلوها إلى دلفى. أصبحت كاهنة المعبد هناك.

كان من الممكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد. لكن الأسطورة تتواصل يبرز ثرساندر من بين صفوف القوات الأرجوسية. يصرخ بأعلى صوته فى فخر شديد لقد انتصر جيش أرجوس. حصل على النصر والفضل له وحده. الفضل لشخصه. لولا ثرساندر لما حقق لأرجوس النصر. لولاه لما استطاع أهل أرجوس الانتقام لهزيمة آبائهم.

حاول بعض القادة مقاطعة ثرساندر. إن ذلك النصر يعزى إليهم جميعاً لم يفهم القادة حقيقة ما كان يرمى إليه ثرساندر ذلك الأمي الساذج شرح لهم ما خفى عليهم. شرح لهم الأمر فى سذاجة بالغة.

شرح لهم كيف كانوا رافضين الذهاب إلى طيبة. شرح لهم كيف قدم رشوة إلى أريغولى. بسبب تلك الرشوة أعلنت أريفولى تزكيتها لفكرة الحرب.

حاول البعض الدفاع عن أريغولى. إنها ليست من ذلك النوع الذى يقبل الرشوة أنها امرأة فاضلة تعمل على ما تمليه عليها الآلهة. تمسك ثرساندر برأيه. أكد لهم صدق روايته. لقد قبلت رشوة من والده بولونيكيس من قبل فوافقت على خروج الحملة الأولى بقيادة أدراستوس.

هنا قفز الكمايون غاضباً. لو كان والد ثرساندر قد فعل ذلك حقّاً. لو أن أريفولى قد قبلت رشوة من والده.

كان من الممكن أن تكون سبباً فى قتله هو أيضاً.

وقع الكمايون فى بحر شاسع من القلق.. لم يكن أمامه سوى نبوءة الإله أبوللون فى دلفي.

ذهب الكمايون إلى دلفي.

دلفي استشار الإله.. الإله قال:

أريفولى تستحق الموت.. أمره الإله بقتل والدته.. الكمايون قتل والدته.. شاركه شقيقة أمفيلوخوس فى قتل والدته.. ريفولى قبل أن تفارق الحياة نظرت إلى ولديها بغضب.

قالت ريفولى: يا ليت بلاد الإغريق وأرض آسيا وكل بقاع العالم تلفظ من قتلنى طاردت ربات الانتقام الكمايون وشقيقه قاتلى أمهم.

تنقل الكمايون من مكان لآخر حاول أن يتطهر من جريمته.

تيرياس العراف عاش فترة طويلة.. أهل طيبة لجأوا إليه فى أحرج الأوقات والمواقف.

أما بقية الشخصيات فإنها أصبحت مجرد أشباح.

تيرياس هو أحد الرجال الخمسة المزروعين الذين بقوا على قيد الحياة.. أنجبه يويريس.. جده لوالده هو يودايوس أحد الرجال المزروعين الخمسة الذين بقوا علي قيد الحياة.

والدته هى الحورية خاريكلو. ظل على الحياة لمدة سبعة أجيال.

ذات مرة كان يسير فوق جبل كللينى شاهد ثيريسياس ثعباناً يداعب حية.. ظل يراقبهما.. المداعبة وصلت إلى ممارسة الجنس.

هجم ثيريسياس على الحية قتلها.

غضبت منه الآلهة حولته إلى أنثى. ظل ثيريسياس سبع سنوات وهو امرأة يمارس عاداتها وتقاليدها.

ذات مرة كان يسير فوق جبل كللينى.. شاهد ثيريسياس ثعباناً يداعب حية.. ظل يراقبهما.. المداعبة وصلت إلى ممارسة الجنس.

هجم تيريسياس على الثعبان وقتله

أعادته الآلهة مرة أخرى إلى صورته الأولى.. أصبح ذكراً

تيريسياس يختلف عن بقية البشر كونه مر بتجارب الجنسين.. الذكر والأنثى.

ذات مرة حدث خلاف بين كبير الآلهة زيوس وزوجته هيرا: الخلاف كان:

- أيهما يشعر بلذة أكثر الذكر أم الأنثى؟

تيريسياس أرسل عليه الآلهة.. سأله.. أجاب بصراحة:

- إن قدرة اللذة الذى تشعر به الأنثى يبلغ تسعة أضعاف القدر الذى يشعر به الرجل.

هيرا غضبت من تيريسياس، أفقدته البصر.. أصبح أعمى..

زيوس كبير الآلهة لم يتخل عنه وهبه القدرة على التنبؤ ووهبه عمراً مديداً.

رواية أخرى حول فقد تيريسياس لبصره:

ان الربة أثينا كانت عارية أثناء الاستحمام.. لم تشأ الربة أن تفقده حياته بعد أن نظرها وهى عارية.. أفقدته البصر..

قيل ايضاً:

إن تيريسياس كان قادراً على معرفة الغيب.. قادراً على معرفة أسرار الآلهة.. أفشى ذات مرة بعض الأسرار الخاصة بالإلهة.. أفقدته بصره عقاباً له.

أثناء حصار القادة السبعة لمدينة طيبة أعلن تيريسياس أن لعنة كادموس مازالت تطارد أهل طيبة.

هنا لابد أن واحداً من سلالة الرجال الخمسة لابد أن يضحى بنفسه، تطوع الصبي مينويكيوس ابن الملك كريون ليكون الضحية لكى تُرفع اللعنة عن أهل الطيبة.

مينويكيوس ألقى بنفسه من فوق أسوار المدينة.. أنقذ أهل طيبة. نصح تيريسياس أهل طيبة بالهروب من المدينة.. تيريسياس خرج معهم من طيبة. توقف معهم عند ينبوع تلفوسا.. شرب قليلاً من ماء الينبوع.. فاضت روحه غاب عن عالم البشر للأبد.

لتيريسياس ابنة واحدة تدعى مانتو.. مانتو فى طيبة.. رفضت الهرب.. أسرها أبناء الجيل الأصفر.. أرسلوها إلى معبد أبوللون فى دلفى. أصبحت

كاهنة للإله.

لم تنته أسطورة طيبة.. الأحداث باقية

ذهب مجد طيبة..

أصبحت طيبة مدينة عادية..

تاهت طيبة وسط المدن الإغريقية..

هنا تتوقف الأسطورة.

فهرس المحتويات